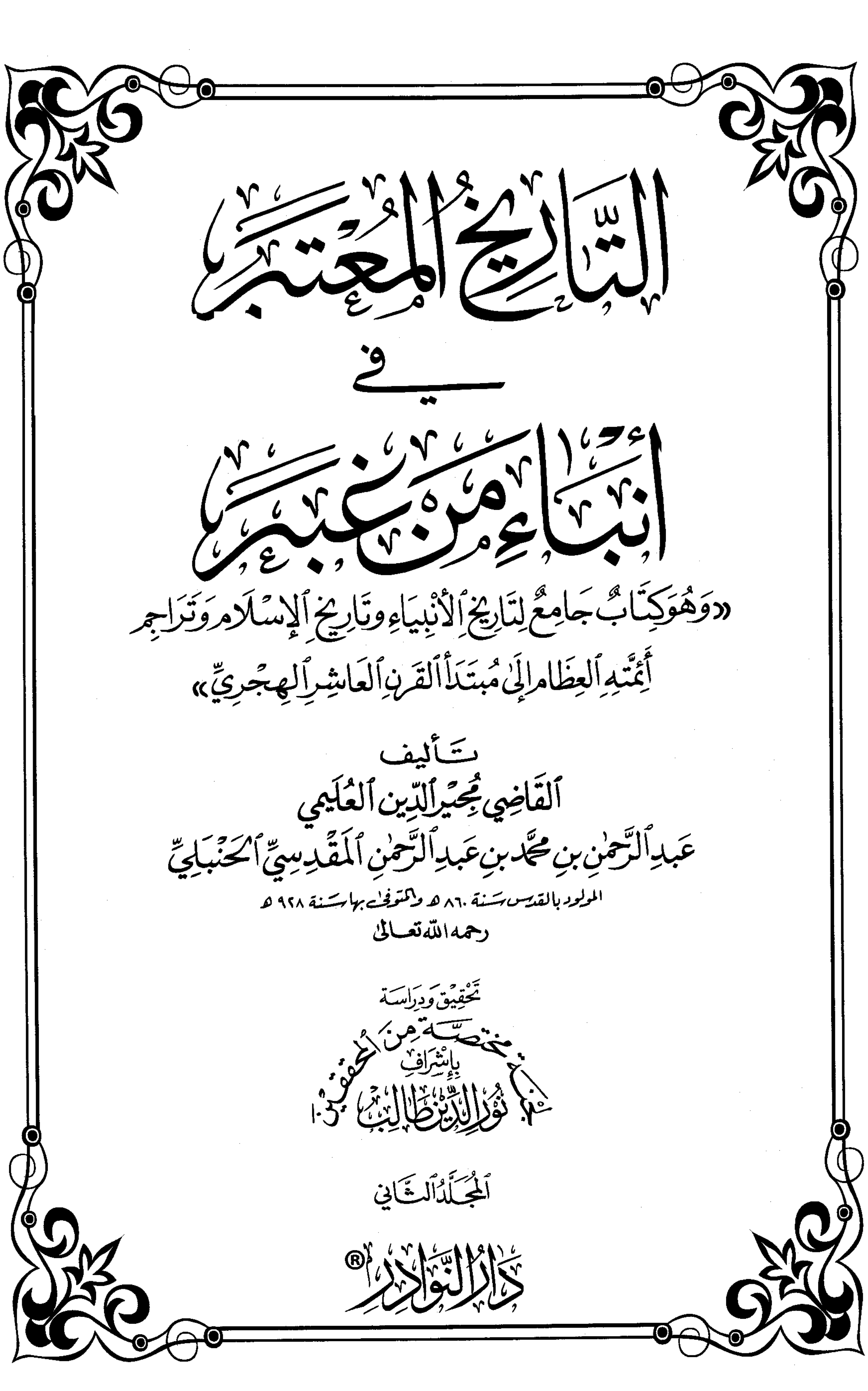


التاريخ المعتبر في أنباء من غبر

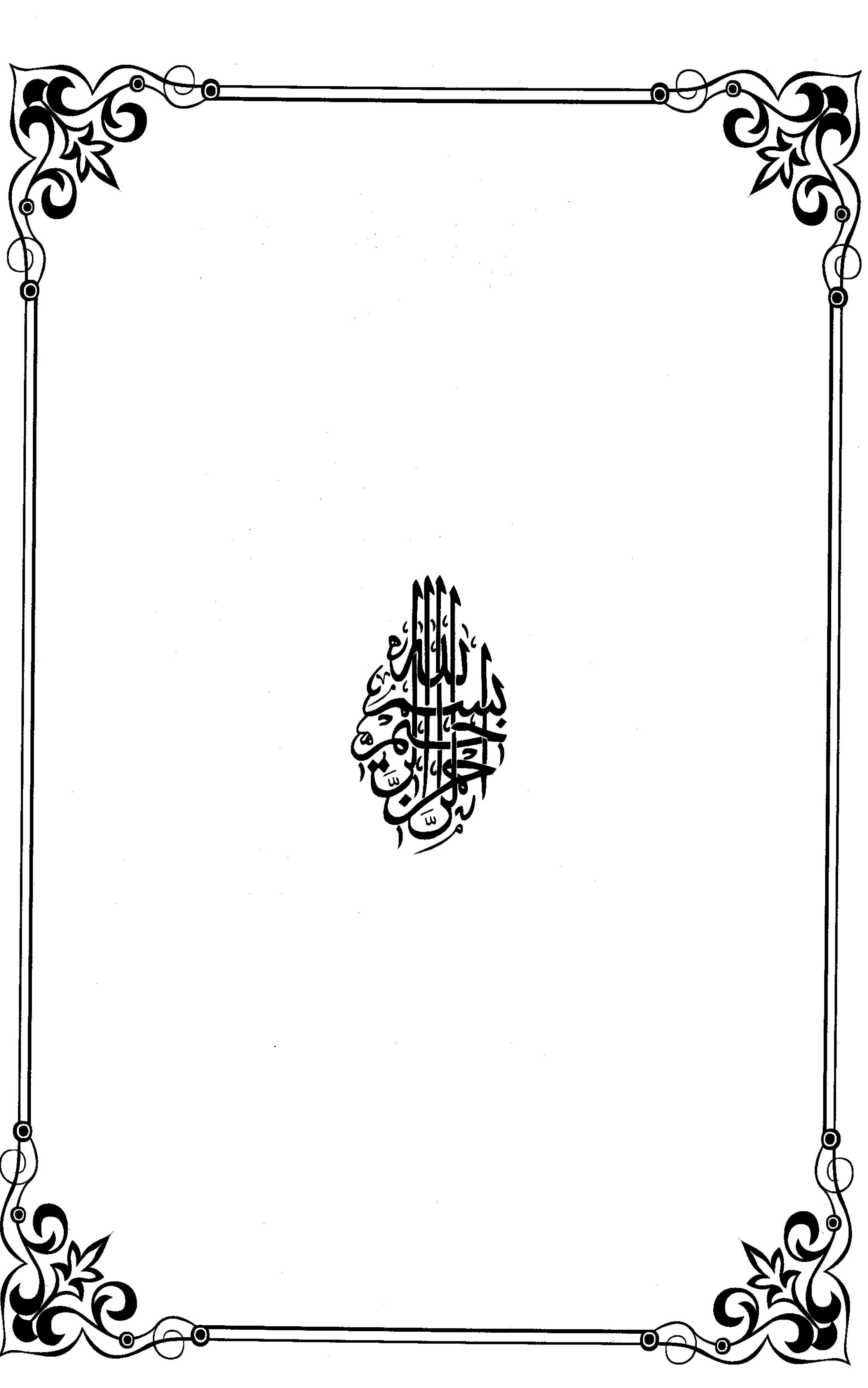
«وهو كتاب جامع لتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام وتراجم أئمته العظام إلى مبتدأ القرن العاشر الهجري»

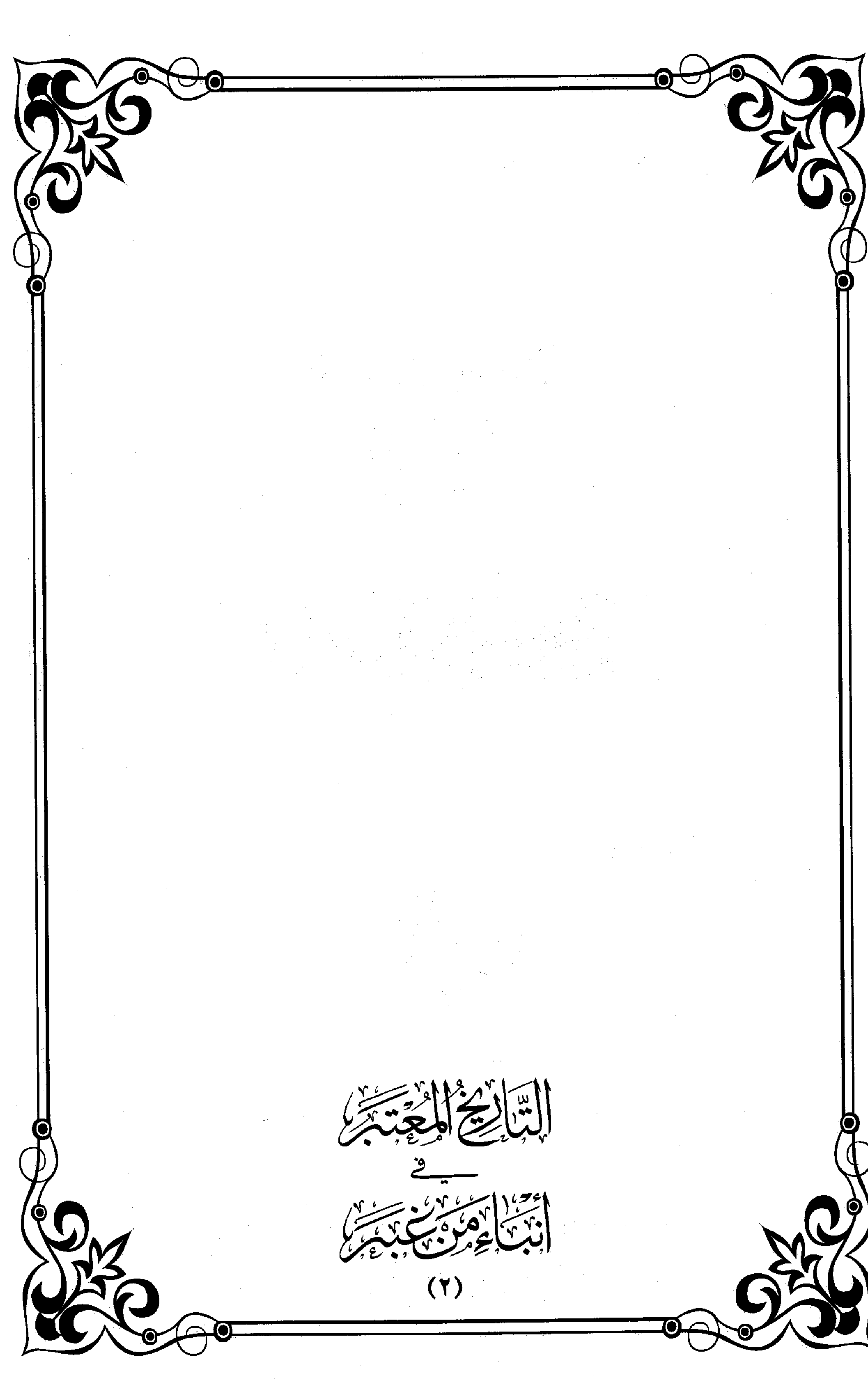
تأليف
القاضي مجير الدين العليمي
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي
المولود بالقدس سنة ٨٦٠ هـ والمتوفى بها سنة ٩٢٨ هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة
لجنة مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب

المجلد الثاني

دار النوادر ®


بسم الله الرحمن الرحيم

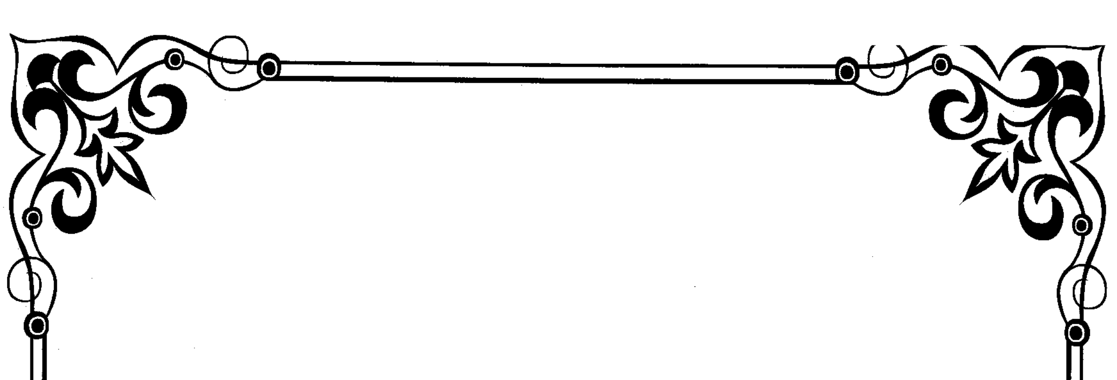


التاريخ المعتبر

في

أنباء من غبر

(٢)



الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣١هـ - ٢٠١١م

ردمك : ٨ - ٨٧ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN
9789933418878

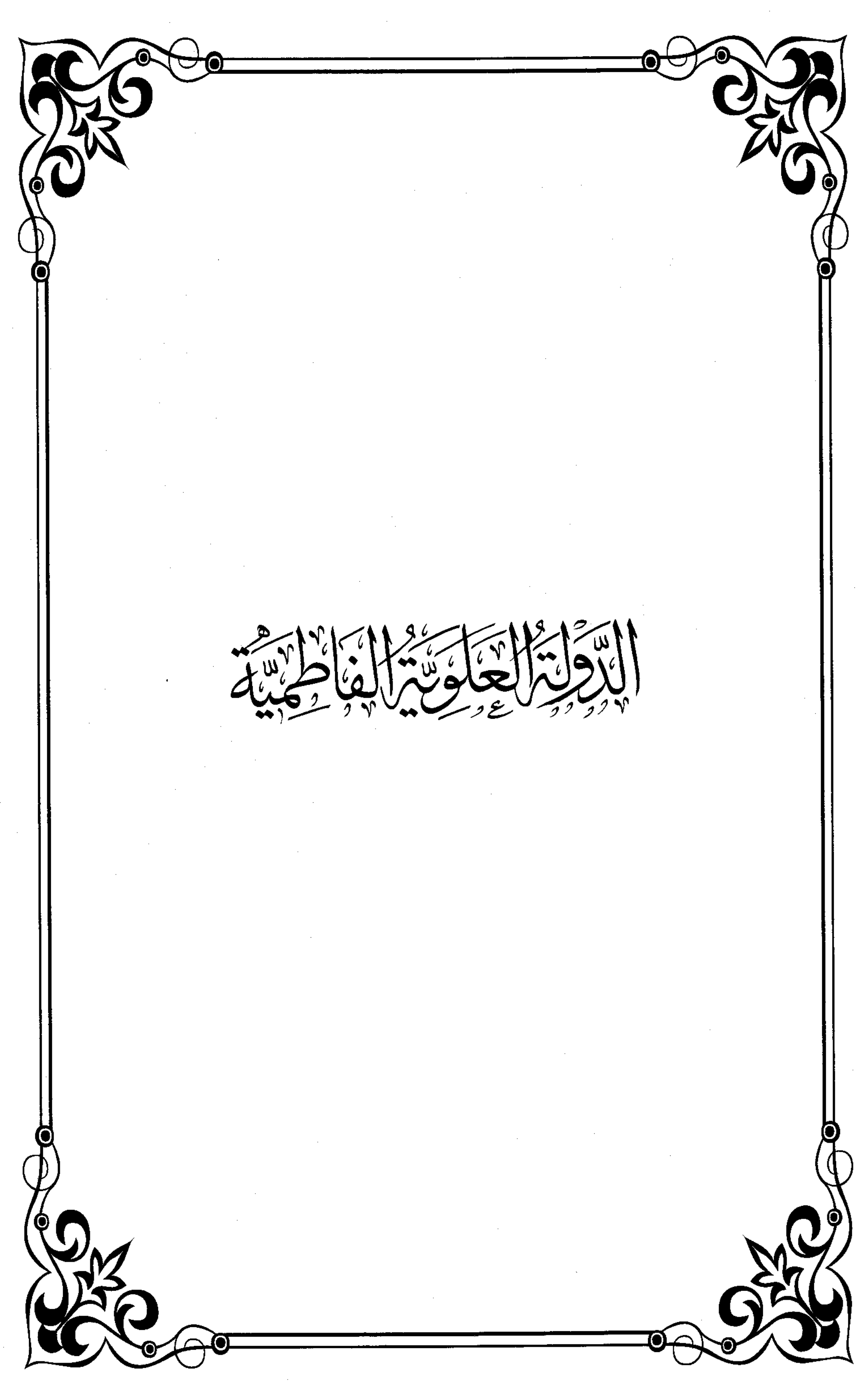


سورية - لبنان - الكويت

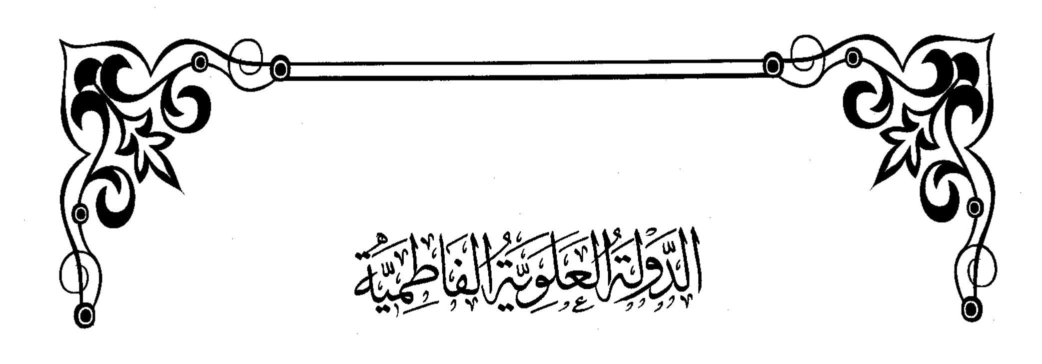
مُؤَسَّسَةُ دَارِ النَّوَادِرِ م.ف - سورية * شَرِكَةُ دَارِ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لبنان * شَرِكَةُ دَارِ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة ذ.م.م - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة: ٢٠٠٦م نُورُ الدِّينِ طَالِبُ المدير العام والرئيس التنفيذي


الدولة العلوية الفاطمية





وهم أربعة عشر خليفـة : أولهم المهـدي بالله، وآخرُهم العاضـد لدين الله، استولوا على الخلافة بإفريقية والمغرب، ثم وصل استيلاؤهم إلى الديار المصرية والشام، وما والاهما، ومكة واليمن وبيت المقدس، وكان مدة ملكهم مئتين وسبعين سنة، ونحو شهر تقريباً.

وابتداء مدتهم في أيام المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد العباسي خليفة بغداد في أواخر سنة ست وتسعين ومئتين، وانقراض دولتهم على يد الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب في أول سنة سبع وستين وخمس مئة في أيام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله العباسي خليفة بغداد ـ كما سيمر بك ذلك في تراجمهم، وفي ترجمة الملك صلاح الدين إن شاء الله تعالى ـ.

خلافة عبيدالله المهدي

هو أبو محمد، عبيدالله، الملقب بالمهدي، وفي نسبه اختلاف كبير، فقيل: هو عبيـدالله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقيل: هو عبيدالله بن التقي بن الوفي بن الرضي، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم: المستورون في ذات الله، واستتروا خوفاً على أنفسهم؛ لأنهم كانوا مظلومين من جهة الخلفاء من بني العباس؛ لأنهم علموا أن فيهم من يروم الخلافة؛ أسوة غيرهم من العلويين، وقضاياهم ووقائعهم في ذلك مشهورة، والمحققون ينكرون دعواه في النسب، حتى بالغ بعضهم، وذكر أن في نسبه يهود، وادعى الخلافة بالمغرب بعد رجوعه من سجلماسة.

وقد جرى لـه فيها ما جرى من المحن بواسطة الخلفـاء من بني العباس وكان ظهوره بها يوم الأحد، لتسعٍ خلون من ذي الحجـة، **سنـة ست وتسعين ومئتين**، وخرجت بلاد المغرب من ولايـة بني العباس، وكان الخليفة ببغداد حينذاك المقتدر بالله أبو الفضل جعفرُ بن المعتضد، ودُعي للمهدي بالخلافة على منابر رقادة[1]، والقيروان، يومَ الجمعة، لتسعٍ بقين من ربيع الآخر، سنة [سبع] وتسعين ومئتين.

وبنى المهدية بإفريقية، وكان الابتـداء في بنائهـا في يوم السبت، لخمسٍ خلون من ذي القعدة، سنة ثلاث وثلاث مئة، وفرغ من بنائها في شوال، **سنة ثمان وثلاث مئة**، وهي على ساحل البحر، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند، فبناها، وجعلها دار ملكه، وجعل لها سوراً محكَماً، وأبواباً عظيمـة، وزنُ كل مصراع مئة قنطار، ولما تم بناؤها، قال

(١) في الأصل: «رماك».

المهدي: الآن أمنتُ على الفاطميات بحصانتها.

وبنى سور تونس، وأحكم عمارتها، وجدَّد فيها مواضع، فنسبت إليه.

وملك بعده ولـدُه القائم، ثم المنصور، ثم المعز، وهو الذي سَيَّر القائد جوهرًا، وملك الديار المصرية، وبنى القاهرة.

واستمرت دولتهم حتى انقرضت على يـد السلطـان صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ، ولأجـل نسبتهم إلى عُبيدالله المذكـور يقال لهم: العُبيديون.

*** ذكر ما قتله القرامطة بمكة:**

وفي أيامه في **سنة سبع عشرة وثلاث مئة** وافى أبو طاهر القرمُطي مكةَ يومَ التروية، وكان الحُجاج قـد وصلوا مكـة سالمين، فنهـب أبو طاهر[1] أموالَ الحجـاج، وقتلَهم، حتى في المسجـد الحرام، وداخلَ الكعبة، وقلعَ الحجر الأسود من الركن، ونقله إلى هَجَر، وقتل أمير مكة ابن محلب[2] وأصحابه، وقلع باب البيت، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب، فسقط فمات، وطَرح القتلى ببئر زمزم، ودَفن الباقين في المسجد الحرام، وحيث قتلوا، وأخذ كسوة البيت، فقسمها بين أصحابه، ومكث الحجرُ الأسود عنـدهم اثنتين وعشرين سنة، ثم أعادوه إلى مكـة **في سنة تسع**

---

(١) في الأصل: «أبو طالب».

(٢) في الأصل: «فجلى».

وثلاثين وثلاث مئة.

وتقدم ذلك في ترجمة المقتدر بالله العباسي.

وتوفي المهـدي بالله في ليلة الثلاثاء، منتصف ربيـع الأول، **سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة** بالمهدية.

* * *

خلافة القائم بالله

هو أبو القاسم، محمدُ بنُ عُبيدالله المهديُّ العلويُّ.

لما توفي والده المهدي، أخفى موته سنة لتدبيرٍ كان، ولما أظهر ابنُه القائمُ وفاته، بايعه الناس، واستقرت ولايته.

وفي **سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة** سَيَّر جيشاً من إفريقية في البحر، ففتحوا مدينة جنوة، وأوقعوا بأهل سردانية، وعادوا سالمين.

وتوفي القائم لثلاثَ عشرةَ مضـت من شوال، **سنة أربـع وثلاثين وثلاث مئة.**

* * *

خلافة المنصور

هو أبو الطاهر، إسماعيلُ بن القائم بن المهـدي صاحب إفريقية، الملقب بالمنصور.

بويع له يوم وفاة أبيه القائم، وكان بليغاً فصيحاً، يرتجل الخطبة.

وذكر أبو جعفر المروزي، قال: خرجت مع المنصور يوم هدمَ [أبو] يزيد القيسارة، ومعه ريحان، فسقط أحدهما مراراً، فمسحته، وناولته إياه، وتفاءلت به، وأنشدت:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى

كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالإِيَابِ مُسَافِرُ

فقال: ألا قلتَ ما هو خيرٌ من هذا وأصدقُ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾[الأعراف: ١١٧]؟ فقلتُ: أنتَ يا بنَ رسول الله قلتَ ما عندَك من العلم.

ولما حاصر المنصور أبا يزيد بن مخلد بسوسة، وهزمه، وأسره، ومات من جراحة أصابته، وأمر بسلخه، وأن يحشى جلده قطناً، وصلبه، وبنى مدينة موضع الوقعة، وسماها المنصورية: واستوطنها، وخرج في شهر رمضان، **سنة إحدى وأربعين** منها إلى مدينة جلولاء يتنزه بها، ومعه حظيته قضيب، وكان مغرماً بها، فسلَّط الله عليهم برقاً ورياحاً، فخرج منها إلى المنصورية، فاشتد عليهم البرد، وأوهن جسمه، ومات أكثرُ من كان معه، فاعتلَّ بها، ومات يوم الجمعة، آخر شوال، **سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة**، ودفن بالمهديَّة.

وكان مولده بالقيروان، سنة اثنتين، وقيل: إحدى وثلاث مئة.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

خلافة المعزّ لدين الله

هو أبو تميم، مَعَـدٌّ، الملقب بالمعزّ لدين الله بنِ المنصور بنِ القائم ابنِ المهدي عُبيدالله.

وكان المعز المذكور قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور، ثم جُددت له البيعة بعد وفاة أبيه، ودبر الأمور، وساسها، وأجراها على أحسن أحكامها، إلى يوم الأحد، سابع ذي الحجة، **سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة**، جلس على سرير ملكه يومئذ، ودخل عليه الخاصةُ، وكثير من العامة، وسلَّموا عليـه بالخلافـة، وسُمِّي بالمعـزّ، ولم يُظهـر على أبيه حزناً.

ثم خرج إلى بلاد إفريقية؛ ليمهد قواعدها ويطوف بها، وانقاد له العُصاة من أهل تلك البلاد، ودخلوا لطاعته، وعقـد لغلمانه وأتباعه على الأعمال، وأسند في كل ناحيـة من يعلم كفايتـه وشهامتـه، وضمَّ إلى كل واحد منهم جمعاً كثيراً من الجند وأرباب السلاح.

ثم جهَّـز أبا الحـسن جوهراً القـائـد، ومعـه جيـش كبيـر؛ ليفتح ما استعصى عليـه من بـلاد المغـرب، وسـار إلى فـاس، ثـم منهـا إلى سجلماسة، وفتحها، ثم توجـه إلى البحر المحيط، وصاد من سمكه، وجعله في قِلال الماء، وأرسله إلى المعز.

ثم رجع إلى المعز، ومعـه صاحـب سجلماسة، وصاحـبُ فاس أسيرين في قفصي حديد، ولم يرجع القائد جوهر إلى مولاه المعز إلا وقد

وطّأ لـه البلاد، وحكم على أهل الزيغ والعناد، من باب إفريقية إلى البحر المحيط، ومن جهة المشرق من باب إفريقية إلى أعمال مصر، ولم يبق بلد من هذه البلاد إلا أقيمت فيه دعوته، وخُطب له في جمعته وجماعته، إلا مدينة سبتة، فإنها بقيت لبني أمية أصحابِ الأندلس.

ولما وصل الخبر إلى المعز بموت كافور الأخشيديِّ صاحبِ مصر، تقدم المعز إلى القائد جوهر المذكور؛ ليتجهز للخروج إلى مصر، فخرج أوّلاً إلى جهـة المغرب لإصلاح أموره، وكـان معـه جيش عظيم، وجمع قبائل العرب الذين توجـه بهم إلى مصر، وجبي القطائـع التي كانت على البربر، فكانت خمس مئة ألف دينار.

وخرج المعز بنفسه في الشتاء إلى المهديَّة، وأخرج من قصور آبائه مئـة ألف حِمل دنانير وأمتعـة وسلاح، وعاد إلى قصره، ثم عاد جوهر بالرجال والأموال، وكان قدومه على المعز يوم الأحد، لثلاثٍ بقين من المحرم، **سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة**.

وأمر المعزُّ بالخروج إلى مصر، فخرج ومعـه أنواع القبائـل، وأنفق المعز في المسير صحبته أموالاً عظيمة، حتى أعطى ألف دينار إلى عشرين، وغمـر الناسَ بالعطاء، وانصرفوا إلى القيـروان وغيـره في شراء جميـع حوائجهم، ورحلوا ومعهم ألفُ حمل من المال والسلاح، ومن الخيل والعدد ما لا يوصف، وكان في مصر تلك السنة غلاء عظيم ووباء، حتى مات في مصر وأعمالها في تلك السنة ستُّ مئة ألف إنسان ـ على ما قيل ـ.

ولما كان منتصف شهر رمضان، سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة،

وصلت البشارة إلى المعز بفتح الديار المصريـة، ودخول عساكره إليها، ثم وصلت النجب بعد ذلك بصورة الفتح، وكانـت كتب جوهر تتردد إلى المغرب باستدعائـه إلى مصر، وتحث المعزَّ على ذلك، ثم أرسل إليه يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز، وإقامـة الدعوى لـه بهذه المواضع، فسُرَّ المعز بذلك سروراً عظيماً.

ولما ثبت قواعدَه بالديار المصرية، استخلف على إفريقية بكتكين الصماخي، وخرج المعز متوجهـاً إليها بأموال جليلة المقدار، ورجال عظيمة الأخطار، وكان خروجه من المنصوريـة دار ملكه لثمان بقين من شوال، **سنة إحدى وستين وثلاث مئة**، وانتقل إلى سودانية، وأقام بها ليجمع رجاله وأتباعه، ومَنْ يستصحبه معه، وفي هذه المنزلة عقد العهدَ لبكتكين، ورحل عنها يوم الخميس، خامس صفـر، سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، ولـم يزل في طريقـه، يقيم بعض الأوقات في بعض البلاد أياماً، ويجد المسير في بعضها، ودخل الإسكندرية لست بقين من شعبان من السنة، وركب فيها، ودخل الحمام، وقدم عليه قاضي مصر، وهو أبو طاهر محمد بن أحمد، وأعيـان أهل البـلاد، وسلَّمـوا، وجلس لهم، وخاطبهم خطاباً طويلاً يخبرهم فيه: أنـه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه، ولا مالٍ، وإنما أراد إقامة الحق والحج والجهاد، وأن يختم عمره بالأعمال الصالحـة، ويعمل ما أمره به جده رسول الله ﷺ، ووعظهم، وأطال حتى بكى بعض الحاضرين، وخلع على القاضي وبعض الجماعة، وودعوه، وانصرفوا.

ثم رحل منها في أواخر شعبان، ونزل يوم السبت ثاني شهر رمضان على ساحل مصر بالجزيرة، فخرج إليه القائد جوهر، وترجَّل عند لقائه، وقبَّل الأرض بين يديه.

وبالجزيرة ـ أيضاً ـ اجتمع به الوزير الفضل جعفر بن الفرات، وأقام المعز هناك ثلاثة أيام، وأخذ العسكر في التعدية بأثقالهم إلى ساحل مصر، ولمّا كان يوم الثلاثاء، لخمسٍ خلون من رمضان من السنة، عَبَر المعز النيل، ودخل القاهرة، ولم يدخل مصر، وكانت قد زينت، فظنوا أنه يدخلها، وأهلُ القاهرة لم يستعدوا؛ لأنهم بنوا الأمر على دخوله مصر أوّلاً، ولما دخل القاهرة، دخل القصر، ودخل مجلساً منه، وخر ساجداً، ثم صلى ركعتين، وانصرف الناس عنه.

وهذا المعز هو الذي تنتسب إليه القاهرة، فيقال: القاهرة المعزيَّة؛ لأنه بناها القائد جوهر له.

وفي يوم الجمعة، لثلاثَ عشرةَ ليلة بقيت من المحرم، سنة أربع وستين عَزَل المعزُّ القائد جوهراً عن دواوين مصر، وجباية أموالها، والنظر في سائر أموره.

وكان المعز عاقلاً حازماً، حسنَ النظر، ينسب إليه من الشعر:

لِلَّـهِ مَا صَنَعَتْ بِنَا تِلْكَ المَحَاجِرُ في المَحَاجِرْ
أَمْضَى وَأَقْضَى فَتْكها حِقْدَ النُّفُوسِ مِنَ الخَنَاصِرْ
وَلَقَدْ بَقِيتُ لِبَيْنِكُمْ تَعبَ المَهَاجِرِ في الهَوَاجِرْ

وتوفي المعزُّ يوم الجمعة، السابع عشر من ربيع الأول، **سنة خمس وستين وثلاث مئة** بالقاهرة، ومولدُه بالمهديَّة من أفريقية، حادي عشر رمضان، سنة تسع عشرة وثلاث مئـة، فيكون عمره خمساً وأربعين سنة، وستة أشهر تقريباً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة العزيز بالله

هو أبو المنصور، نزارٌ، الملقب: العزيزُ بالله بنُ المعزِّ بنِ المنصور ابنِ القائمِ بن المهديِّ العُبيدي صاحب مصر وبلاد الغرب.

ولي العهد بمصر يوم الخميس، في شهر ربيع الأول، **سنة خمس وستين وثلاث مئـة**، واستقل بالأمر بعد وفاة أبيه، وستر وفاةَ أبيه، ثم أظهرها في عيد النحر من هذه السنة، وسُلِّم عليه بالخلافة، وكان كريماً شجاعاً، حسنَ العفو عند المقدرة.

وهو الذي اختط أساسَ الجامع بالقاهرة، مما يلي[1] باب الفتوح، وحفره، وبدأ بعمارته **سنة ثمانين وثلاث مئة** في شهر رمضان.

وفي أيامـه بُني قصرُ البحر بالقاهرة، الـذي لم يبنَ مثلُه في شرق ولا غرب، وقصرُ الذهب، وجامعُ القرافة، والقصور بعين شمس.

---

(١) في الأصل: «يصلى».

وكان أصهبَ الشعر، أشهلَ العين، عريضَ المنكبين، حسنَ الخلق، قريباً من الناس، لا يؤثر سفك الدماء، يصيد بالخيل والجارح من الطير، محباً للصيد، مغرًى بصيد السباع، ويفرق الجوهرَ والدر، وكان أديباً فاضلاً.

وزادت مملكته على مملكة أبيه، وفتحت له حمص، وحماة، وسيجر، وحلب، وخُطب له بمكة، وخَطب له ابنُ المقلد بن المسيب العقيلي صاحبُ الموصل بالموصل وأعمالها في المحرم، **سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة**.

وضُرب اسمُه على السكة والبنود، وخُطب له باليمن، ولم يزل في سلطانه، وعظمِ شأنه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجِّهاً إلى الشام لغزو الروم، فابتدأت به العلة في العشرين من رجب، سنة ست وثمانين وثلاث مئة، ولم يزل مرضه يزيد وينقص، حتى ركب يوم الأحد، لخمسٍ خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة إلى الحمام بمدينة بلبيس، وخرج منها إلى منزل الأستاذ أبي الفرج بن جواف، وكان صاحب خزانته بالقصر، فأقام عنده، وأصبح يوم الاثنين وقد اشتد به الوجع يومه ذلك ونهاره، وكان مرضه من حمى وقولنج، فاستدعى القاضيَ محمدَ بنَ النعمان، وأبا محمد الحسنَ بنَ عمار الكنانيَّ الملقب: أمين الدولة، وكان شيخَ كنانة وسيدَها، وخاطبهما في أمر ولده، ولم يزل العزيز في الحمَّام، والأمر يشتدُّ به إلى بين الصلاتين من ذلك النهار، وهو الثلاثاء، الثامن والعشرون من شهر رمضان، **سنة ست وثمانين وثلاث مئة**، وتوفي

في مسلخ الحمَّام.

وقيل: إن الطبيب وصف له دواء ليشربه في حوض الحمام، فغلط فيه، وشربه، فمات من ساعته.

ولم ينكتم موته ساعة واحدة، وترتب موضعه ولدُه الحاكم أبو علي المنصور، وبلغ الخبر أهلَ القاهـرة، فخرج الناس غداةَ الأربعاء لتلقي الحاكم، فدخل البلد، وبين يديـه البنود والرايات، وعلى رأسه المظلة يحملها زيدان الصِقِلي، فدخل القصر بالقاهـرة عنـد اصفرار الشمس، ووالدُه العزيزُ بين يديه في عمارية، وقـد خرجت قدماه منها، وأدخلت العمارية القصر، وتولَّى غسلَه القاضي محمد، ودفن عند أبيه المعز في حجرة بر القصر، وكـان دفنـه عنـد العشاء الآخرة، وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر، والأحوال مستقيمة، وقد نودي في البلد: أنْ لا كلفة ولا ظلم، وقـد أمنكم الله على أنفسكم وأموالكم، فمن عارضكم، أو نازعكم، فقد حلَّ ماله ودمه.

وكانت ولادة العزيز يوم الخميس، رابع عشر المحرم، سنة أربع وأربعين وثلاث مئة بالمهدية من أرض إفريقية.

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة، وخمسة أشهر، ونصف شهر، ومات وعمره اثنان وأربعون سنة، وثمانية أشهر.

وكان العزيز قد ولَّى كتابتـه رجـلاً نصرانيـاً، يقال لـه: عيسى بن نسطورس، واستناب بالشام رجلاً يهودياً اسمه: ميشا، فاستطالت النصارى

واليهود بسببهما على المسلمين، فعمد أهل مصر إلى قراطيس، فعملوها على صورة امرأة ومعها قصة، وجعلوها في طريق العزيز، فأخذها العزيز، وفيها مكتوب: بالذي أعزَّ اليهودَ بميشا، والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذلَّ المسلمين بك إلا كشفتَ عنا.

فقبض على عيسى النصراني المذكور، وصادره.

وكان العزيز يحب العفو، ويستعمله، انتهى.

* * *

خلافة الحاكم بأمر الله

هو أبو عليٍّ، المنصورُ، الملقب: الحاكم بأمر الله بنُ العزيزِ بالله ابنِ المعزِّ بنِ المنصورِ بنِ القائم بنِ المهديِّ صاحب مصر.

وتولى الحاكم المذكور بعهد من أبيه في حياته، وذلك في شعبان، **سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة**، ثم استقل بالأمر يوم وفاة أبيه، وعمرُه إحدى عشرة سنة.

وكان جواداً بالمال، سفاكاً للدماء، قتل عدداً كثيراً من أماثل أهل دولته وغيرِهم صَبْراً.

وكانت سيرتُه من أعجب السير، يخترع كلَّ وقت أحكاماً يحمل الناسَ على العمل بها، منها:

أنه أمر الناس في **سنة خمس وتسعين وثلاث مئة** بسبِّ

الصحابة رضي الله عنهم، وأمر أن يكتب ذلك على حيطان المساجد والقياسر والشوارع، وكتب إلى أعمال الديار، وأمرهم بالسبِّ، ثم أمرهم بقلع ذلك، ونهى عنه، وعن فعله في **سنة سبع وتسعين**، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة ضرب من سبَّ الصحابةَ وأشهره.

* **ومنها**: أنه أمر بقتل الكلاب في **سنة خمس وتسعين وثلاث مئة**، فلم يُر كلب في الأسواق والأزقة والشوارع إلا قليل.

* **ومنها**: أنه نهى عن بيع الفقَّاع، والملوخية، والترمس، والجرجير، والسمك الذي لا قشر له، وكتب بالتشديد والمبالغة في تأديب من يتعرض لشيء منه، وظهر على جماعة أنهم باعوا شيئاً من ذلك، فضُربوا بالسياط، وطِيف بهم، ثم ضربت أعناقهم.

وفي **سنة إحدى وأربع مئة** خطب قرواش أميرُ بني عقيل للحاكم بأمر الله بأعماله كلها، وهي: الموصل، والأنبار، والمدائن، والكوفة، وغيرها.

وكان ابتداء الخطبة بالموصل: الحمد لله الذي انجلَتْ بنوره غمراتُ الغضب، وانهدَّت بعظمته أركانُ الغضب، وأطلع بقدرته شمسَ الحق من الغرب.

فكتب بهاءُ الدولة إلى عميد الجيوش بالمسير إلى حرب قرواش، فسار إليه، فقطع قرواش الخطبة، وأرسل يعتذر.

* **ومنها**: أنه في **سنة اثنتين وأربع مئة** نهى عنه بيع الزبيب، قليلِه

وكثيره، على اختلاف أنواعـه، ونهى التجار عن حمله إلى مصر، ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة، وأحرقـه، ويقال: إن مقدار النفقة التي غرموا على إحراق ذلك خمس مئة دينار.

وفي هذه السنة: منع من بيع العنب، وأنفذ الشهود، حتى قطعوا كثيراً من كرومها، ورموها في الأرض، وداسوها بالبقر.

وجمع ما كان في مخازنها من جرار العسل، وكانت خمسة آلاف جرة، وحملت إلى شاطئ النيل، وكُسرت، وقلبت في بحر النيل.

* **وفيها ـ أيضاً ـ**: أمر اليهود والنصارى والسامرة بلبس العمائم السود، وأن يحمل النصارى في أعنـاقهم الصلبان، يكون طولـه ذراع، ووزنـه خمسة أرطـال، وأن يحمل اليهـود في أعناقهم قرامي خشب على وزن حمل النصارى، ولا يركبـون شيئاً من المراكـب المحـلاَّة، وأن يكون مركوبهم من الخشب، وأن لا يستخدموا أحداً من المسلمين، ولا يركبوا حمارَ مسلم ولا سفينة يتولى أمرها مسلم، وأن يكون في أعناق النصارى إذا دخلوا الحمَّام الصلبان، وفي أعناق اليهود الجلاجل؛ ليتميزوا بها عن المسلمين، ثم أفردَ حماماتٍ لليهود، وحمامات للنصـارى من حمامات المسلمين، وحط على حمامات اليهـود صورَ القرامي، وحمامات النصارى الصلبان، وذلك في **سنة ثلاث وأربع مئة**.

* **ومنها**: أنه أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة، وجميع الكنائس بالديار المصرية، ووهـب جميع ما فيها من الآلات، وجميعَ ما لها من

الأوقاف لجماعة من المسلمين، وتتابع إسلامُ جماعة من النصارى.

وفي هذه السنة نهى عن تقبيل الأرض له، وعن الدعاء والصلاة عليه في الخطبة، والمكاتبات، وأن يُجعل ذلك السلامُ لأمير المؤمنين.

وفي سنة أربع وأربع مئة: أمر أن لا ينجِّم أحد، ولا يتكلَّم في صناعة النجوم، وأن يُنفى المنجِّمون من البلاد، فحضر جمعُهم إلى القاضي مالك بن سعد الحاكم كان، وعقد عليهم توبة، وأُعفوا من النفي، وكذلك أصحابُ الغناء.

وفي[1] هذه السنة منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً، ومنع الأساكفةَ عملَ الأخفاف للنساء، ومُحيت صورة النساء من الحمامات، ولم يزلن ممنوعات من الخروج إلى أيام ولده الظاهر، وكانت مدة منعهن سبعَ سنين، وسبعة أشهر.

وفي شعبان **سنة إحدى عشرة وأربع مئة** تنصَّر جماعة ممن كان أسلم، وأمر ببناء ما هدم من كنائسهم، وردِّ ما كان أُخذ من آلاتها.

وكان الحاكم جالساً في مجلسه العام، وهو حَفِل بأعيان الدولة، فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥]، والقارئ في أثناء ذلك كله يشير بيده إلى الحاكم، فلما فرغ، قرأ شخص يعرف بابن المشجر، وكان رجلاً صالحاً قولَه

(١) في الأصل: «من».

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٧٣ ـ ٧٤]، فلما انتهى من[١] قراءته، تغير وجه الحاكم، ثم أمر لابن المشجر بمئة دينار، ولم يطلق للأول شيئاً.

ثم إن بعض أصحاب ابن المشجر قال: أنت تعلم خُلُق الحاكم، وكثرة استحالاته، وما تأمن أن يحقد عليك، ثم يؤاخذك بعد هذا، فتتأذّى منه، ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه، فتجهَّز ابنُ المشجر إلى الحج، وركب البحر، فغرق، فرآه صاحبه في النوم، وسأله عن حاله، فقال: ما قصَّر الربان معنا، أرسى بنا على باب الجنة، وذلك ببركة نيته، وحسن صدقه.

والحاكم هو الذي بنى الجامع الكبير بالقاهرة، بعد أن كان شرع فيه والده العزيز بالله، وبنى جامع راشدة بظاهر مصر، وكان شروعه في عمارته يوم الاثنين، سابع عشر ربيع الأول، سنة تسعين وثلاث مئة، وكان متولي خطابته الحافظ عبد الغني بن سعيد، والمصحح لمحرابه أبو الحسن علي ابن يونس المنجم.

وأنشأ عدة مساجد بالقرافة وغيرها، وحمل إلى الجوامع من المصاحف والآلات الفضة والستور والحُصُر الشاميات ما لَهُ قيمة طائلة،

---

(١) في الأصل: «في».

وكان يفعل الشيء، وينقضه.

وكانت ولادته بالقاهرة، ليلة الخميس، الثالث والعشرين من ربيع الأول، سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

وكان يحب الانفراد.

واتفق أنه خرج ليلة الاثنين، الرابع والعشرين من شوال، سنة إحدى عشرة وأربع مئة إلى ظاهر مصر، وطاف ليلته كلها، وأصبح عند قبر الفقاعي، ثم توجه إلى شرقي حلوان، ومعه ركابان، فعاد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين، ثم عاد الركاب الثاني، وذكر أنه خلَّفه عند القبر، وبقي الناس على رسلهم يلتمسون رجوعَه، ويخرجون ومعهم دوابُّ الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور.

ثم خرج يوم الأحد، ثاني ذي القعدة مظفر الدين صاحب المظلة، وحطي الصقلي، ونسيم المتولي السير، وابنُ مسكين التركي صاحب الزنج، وجماعة، فبلغوا دير القصر المعروف بسلوان، ثم أمعنوا في الدخول في الجبل، فبينما هم كذلك، وإذا بحماره الأشهب الذي كان راكباً عليه المدعو بالقمر، وهو على قرنة الجبل، وقد ضُربت يداه بالسيف، فأثر فيهما، وعليه سرجُه ولجامه، فتبعوا الأثر، فإذا أثر الحمار في الأرض، وأثر راجل خلفه، وآخرَ قدَّامه، فلم يزالوا يقصُّون هذا الأثر، حتى انتهوا إلى البركة في شرقي حلوان، فنزل إليها بعض الرجال، فوجد فيها ثيابه، وهي سبع جُبَّات، ووُجدت مزرورة لم تُحلَّ أزرارُها، وفيها آثار السكاكين.

فأُخـذت، وحملت إلى القصر بالقاهرة، ولـم يشكّ في قتله، مع أن جماعة من المغالين في حبه السخيفي العقول يظنون حياته، وأنه لا بدَّ أن يظهر، ويحلفون بغيبة الحاكم، وتلك خيالات هذيانية.

ويقال: إن أخته دسَّت عليه مَنْ يقتله لأمر يطول شرحه.

وكان عمر الحاكم ستاً وثلاثين سنة، وتسعة أشهر، وولايته خمساً وعشرين سنة، وأياماً.

وحُلْوان ـ بضم الحـاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعدهـا نون ساكنة ـ: قرية مليحـة كثيرة النُّزَه، فوق مصر بمقدار خمسة أميال، كان يسكنها عبـد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي لما كان والياً بمصر نيابةً عن أخيه عبد الملك أيام خلافته، وبها توفي، وبها وُلد ولده عمرُ ابن عبد العزيز رضي الله عنه.

والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الظاهر لإعزاز دين الله

هو أبو الحسن، عليُّ بنُ منصورٍ الحاكمِ بأمرِ الله.

بويع لـه بالخلافـة في اليوم السابع من قتل أبيـه الحاكم، ولُقب: الظاهر لإعزاز دين الله، وهـو إذاك صبي، وكتب الكتب إلى بلاد مصر

والشام بأخذ البيعـة، وجمعت عمتـه ـ أخـتُ الحاكم، واسمُها: ستُّ الملك ـ الناسَ، ووعدتهم، وأحسنت إليهم، ورتبت الأمـور، وباشرت تدبيرَ الملك بنفسها، وقويت هيبتُها عنـد الناس، وعاشت بعد الحاكم أربع سنين.

ومات الظاهر المذكور بمصر وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وكانت خلافته خمس عشرة سنة، وتسعة أشهر، وأياماً، وكان له مصر والشام، والخطبة بإفريقية.

وكان جميل السيرة، منصفاً للرعية، ووفاتـه في منتصف شعبان، **سنة سبع وعشرين وأربع مئة.**

والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

خلافة المستنصر بالله

هو أبو تميم، مَعَـدٌّ، الملقبُ: المستنصر بالله بنُ الظاهـرِ لإعزاز دين الله بنِ الحاكم بنِ العزيز بنِ المعزِّ لدين الله.

بويع بالأمر بعد موت أبيه الظاهر، وذلك يوم الأحد، نصف شعبان، **سنة سبع وعشرين وأربع مئة.**

وجرى على أيامه ما لم يجرِ على أيام غيره من أهل بيته ممن تقدمه، ولا تأخره.

* **منها**: قصد أبي الحارث أرسلان البساسيري، فإنها لما عظم أمره، وكبر شأنه ببغداد، قطعَ خطبة الإمام القائم العباسي، وخطب للمستنصر المذكور في **سنة خمسين وأربع مئة**، ودعا له على منابرها مدة سنة.

* **ومنها**: أنـه ثار في أيامـه علي بن محمد الصلحي، وملكَ بلادَ اليمن، ودعا للمستنصر على منابرها بعد الخطبة، وهو مشهور.

* **ومنها**: أنه أقام خليفة ستين سنة، وهذا شيء لم يبلغه أحد منذ قام جدُّهـم المهدي.

* **ومنها**: أن دعوتهم لم تزل قائمة بالمغرب منذ قام جدهم المهدي إلى أيام المعز، فلما توجه المعز إلى مصر، استخلف بكتكين، وكانت الخطبة في تلك النواحي جاريـة على عادتها لهذا البيت، إلى أن قطعها المعـز بن باديس في أيام المستنصر المذكـور، في **سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة**.

وقيل: إن ذلك سنة خمس وثلاثين.

وفي **سنة تسـع** قُطـع اسمه واسمُ آبائـه من الحرمين، وذكـر اسم المقتدي العباسي خليفة بغداد.

* **ومنها**: أنه هادنَ ملكَ الروم على أن يطلق خمسة آلاف أسير؛ ليمكن من عمارة قمامة، التي كان خرَّبها جدُّه الحاكمُ في أيام خلافته، فأطلق الأسرى، وأرسل مَنْ عَمَّر قمامة، وأخرج ملكُ الروم عليها أموالاً عظيمة، والذي يظهر: أن تخريبها لم يكن تخريباً كلياً، بل كان في البعض؛

فإن آثار البناء القديم موجود إلى الآن، والله أعلم.

* **ومنها**: أنه حَدَث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عُهد مثلُه منذ زمن يوسف ـ عليه السلام ـ، أقام سبع سنين، وأكل الناسُ بعضُهم بعضاً، حتى قيل: إنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً.

وكان المستنصر في هذه المدة يركب وحدَه، وكلُّ مَنْ معه من الخواصِّ مترجلون، ليس لهم دواب، وكانوا إذا مشوا، تساقطوا في الطرقات من الجوع، وكان المستنصر يستعير من ابن هبة الله صاحبِ ديوان الإنشاء دابةً ليركبها صاحبُ مِظَلَّته.

ويقال: إن وزيره كان له بغلة، فركبها يوماً إلى خَدَمة المستنصر، فسرقوها، فأكلوها في الحال، فَمَسك منهم جماعة، وأمر بصلبهم، فأخذهم الناس عن الخشب، وأكلوهم، وأكلوا الحمير والكلاب والبغال.

وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناتها إلى بغداد من فرط الجوع، وذلك في **سنة اثنتين وستين وأربع مئة**، وتفرق أهل مصر في البلاد، وتشتتوا.

ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدرٌ الجماليُّ والدُ الأفضل أمير الجيوش من عكا، وركب البحر، وهو أنه كان متولياً سواحل الشام، فأرسل إليه المستنصر يشكو حاله، واختلال دولته، فركب البحر في قوة الشتاء، في زمنٍ لا يُسلك البحر، فمنَّ الله عليه بالسلامة، ووصل بدرٌ إلى مصر في **سنة سبع وستين وأربع مئة**، وقبض على الأمراء والقواد الذين

كانوا تغلَّبوا، وأخذ أموالهم، وحملها إلى المستنصر، وأقام منار الدولة، وشيَّـد من أمرهـا ما كان قـد دَرَسَ، وقـرر قواعـد البلاد، وأحسنَ إلى الرعيـة، فعمرت البلاد، وعادت مصـر وأعمالها إلى أحسن مـا كانـت عليـه.

وتوفي المستنصر في ثامن ذي الحجة، **سنة سبع وثمانين وأربـع مئة**، ولقي المستنصر شدائد وأهوالاً أخرجَ فيها أمواله وذخائره، حتى لم يبق له غيرُ سجادتـه التي يجلس عليها، وهو مع هذا صابر غيرُ خاشع. والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المستعلي بأمر الله

هو أبو القاسم، أحمدُ المنعوتُ بالمستعلي بن المستنصرِ بنِ الظاهر ابنِ الحاكم بنِ العزيز بنِ المعزِّ بنِ المنصورِ بنِ القائم بنِ المهديِّ.

ولي الأمر بعد أبيه بالديار المصرية والشامية، وفي أيامه اختلفت دولتهم، وضعف أمـرهم، وانقطعـت من أكثـر مدن الشـام دعـوتُهم، وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والفرنج؛ فإنهم دخلوا الشام، ونزلوا أنطاكية في ذي القعدة، **سنة تسعين وأربع مئة**، وأخذوا مَعرَّة النعمان سنة اثنتين وتسعين.

* **ذكر استيلاء الفرنج على بيت المقدس:**

ثم قصد الفرنج بيتَ المقدس، وحصروه نيفاً وأربعين يوماً، وملكوه في ضحى نهار الجمعة، لسبعٍ بقين من شعبان، **سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة**، ولبث الفرنج يقتلون في المسلمين أسبوعاً، وقتل في الأقصى ما يزيد عن سبعين ألفاً، منهم العلماء والزهاد، وفي البلد من المسلمين خلق كثير، وأخذوا من عند الصخرة من أواني الذهب والفضة ما لا يضبطه الوصف، وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء.

ووصل المستنفرون إلى بغداد في رمضان، فاجتمع أهل بغداد في الجوامع، واستغاثوا وبكوا، وندب الخليفةُ ببغداد ـ وهو المستظهر بالله العباسي ـ الفقهاءَ إلى الخروج إلى البلاد؛ ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابنُ عقيل، وغيرُ واحد من أعيان الفقهاء، فساروا في الناس، فلم يفد ذلك شيئاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ووقع الخلف بين السلاطين السلجوقية، فتمكن الفرنجُ من البلاد، وانزعج المسلمون في سائر بلاد الإسلام بسبب أخذه غاية الانزعاج.

ثم استولى الفرنج على أكثر بلاد الساحل في أيامه، واستمر بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الفرنج إلى أن فتحه السلطان صلاح الدين ـ تغمده الله برحمته ـ في شهور سنة **ثلاث وثمانين وخمس مئة**، على ما سيمر بك ذلك في ترجمته ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وكان مولد المستعلي في العشرين من شعبان، سنة سبع وستين

وأربع مئة، وكانت خلافتـه سبع سنين، وقريب شهرين، وكان المدبِّرُ لدولته الأفضلَ بنَ بدر الجمالي أمير الجيوش.

وتوفي المستعلي بأمر الله بمصر، في يوم الثلاثاء، لسبع عشرة ليلة خلت من صفر، **سنة خمس وتسعين وأربع مئة**.

والحمد لله وحدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الآمر بأحكام الله

هو أبو علي، المنصورُ، الملقب: الآمر بأحكام الله بنُ المستعلي ابنِ المستنصر بنِ الظاهر بن الحاكم.

بويع بالأمر يوم موت أبيه، وكان عمرُ الآمرِ لما بويع خمس سنين، وشهراً، وأيامـاً، وقام بتدبير دولتـه الأفضلُ شاهنشاه بنُ بدر الجمـالي أمير الجيوش، وكان وزيرَ والده، ولما اشتد الأمر، فطن لنفسه، وقتل الأفضل، واستوزر المأمونَ أبا عبدالله محمدَ بنَ أبي شجاع البطائحي، فاستولى هذا الوزير عليه، وقبحت سمعتُه، فقبض عليـه في رابع شهر رمضان، **سنة تسع عشرة وخمس مئة**، واستصفى جميعَ أمواله، ثم قتلَه في رجب سنة إحدى وعشرين، وصُلب بظاهر القاهرة، وقتل معه خمسة من إخوته، أحدهم يقال له: المؤتمن، وكان متكبراً متجبراً، خارجاً عن طوره، وله أخبار مشهورة.

وكان الآمرُ سيئ الرأي، جائر السيرة، مشهوراً باللهو واللعب.

وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا، في شعبان، **سنة تسع وتسعين وأربع مئة**، وملك الفرنج طرابلس بالسيف يوم الاثنين، لإحدى عشرةَ ليلة خلت من ذي القعدة، **سنة اثنتين وخمس مئة**.

وقيل: في حادي عشر ذي الحجة، سنة ثلاث وخمس مئة، والله أعلم.

ونهبوا ما فيها، وأسروا رجالها، وقتلوا نساءها وأطفالها، وحصل في أيديهم من أمتعتها وما كان في خزائن أربابها ما لا يُحَدُّ عددُه ولا يُحصر، وعوقب من بقي من أهلها، واستُصفيت أموالهم، ثم وصلتها نجدةُ المصريين بعد فوات الأمر.

وفي هذه السنة ملكوا غزنة وبانياس.

ثم تسلموا مدينة صور يوم الاثنين، لسبع بقين من جمادى الأولى، **سنة ثمان عشرة وخمس مئة**، وكان الوالي بها من جهة الأتابك ظهير الدين طغتكين، وكان يومئذ صاحبَ دمشق وما والاها، فلما ملكوا، ضربوا السكة باسم الأمير المذكور ثلاثَ سنين، ثم قطعوا ذلك.

وأخذوا بيروت يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شوال، **سنة ثلاث وخمس مئة** بالسيف، وأخذوا صيدا لعشرين بقين من جمادى الآخرة، **سنة أربع وخمس مئة**.

وفي سنة إحدى عشرة وخمس مئة قصد بردويل الفرنجي الديار

المصرية ليأخذها، فانتهى إلى غزة، ودخلها، وأخربها، وأحرق مساجدها، ورحل عنها وهو مريض، فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش، فشق أصحابُه بطنه، ورمَوْا حشوتَه هناك، فهي تُرْجَم إلى اليوم، ورحلوا بجثته، فدفنوها بقمامة، وسبخة بردويل التي هي في سبخة الرمل على طريق الشام منسوبة إلى بردويل المذكور، والحجارة الملقاة هناك، والناس يقولون: هذا قبر بردويل، وإنما هو هذه الحشوة، وكان بردويل صاحبَ بيت المقدس وعكا ويافا، وعدَّةٍ من بلاد السّاحل، وهو الذي أخذ هذه البلاد من المسلمين.

*** ذكر ظهور قبر إبراهيم ـ عليه السلام ـ:**

وفي أيام الآمر، **في سنة ثلاث عشرة وخمس مئة** ظهر قبر سيدنا إبراهيم الخليل، وقبرا ولديه إسحاق، ويعقوب ـ عليهم السلام ـ بالقرب من بيت المقدس، ورآهم كثير من الناس، لم تبل أجسادهم، وعندهم في المغارة قناديلُ من ذهب وفضة، وتقدم ذكر ذلك في ترجمة المسترشد بالله العباسي خليفة بغداد، والله أعلم.

وكانت وفاة الآمر قتلاً من جماعة كَمَنوا له عند الجيزة، وكان في جماعة قلائلَ من غلمانه وبطانته، في نهار الثلاثاء، ثالث ذي القعدة، **سنة أربع وعشرين وخمس مئة**، ولم يعقِّب، وهو العاشر من الخلفاء العلويين.

وكان قبيح السيرة، ظلمَ الناس، وأخذ أموالهم، وسفك الدماء،

وارتكب المحذورات، واستحسن القبائح المحظورات، فابتهج الناس بقتله.

وكان ربعة، شديد الأدمة، جاحظ العين، حسن الخط.

وكانت مدته تسعاً وعشرين سنة، وخمسة أشهر، وخمسة عشر يوماً، وعمره أربعاً وثلاثين سنة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الحافظ لدين الله

هو أبو الميمون، عبدُ المجيد بنُ أبي القاسم بنِ المستنصر بالله.

ولم يُبايع أولاً بالخلافة، بل كان على صورة نائب، لانتظار حمل يظهر للآمر.

ولما تولى الحافظ، استوزر أبا علي أحمدَ بنَ الأفضل بن بدر الجمالي، فاستبدَّ بالأمر، وتغلب على الحافظ، وخطب لنفسه، وحجر عليه، ونقل أبو علي ما كان بالقصر من الأموال إلى داره.

ولم يزل الأمر كذلك إلى سنة ست وعشرين وخمس مئة، فقُتل أبو علي الوزير المذكور، وكان قد قطع خطبةَ الحافظ، وخطب لنفسه خاصة، وقطع من الأذان: حيّ على خير العمل، فنفرت منه قلوب شيعة العلويين، وثار به جماعة المماليك وهو يلعب بالكرة، فقتلوه، ونهبوا

داره، وخرج الحافظ من الاعتقال، ونقل ما بقي في دار أبي علي إلى القصر.

وبويع للحافظ في يوم قتل أبي علي بالخلافة، واستوزر أبا الفتح يانس الحافظ، فمات، فاستوزر الحافظُ ابنَه الحسن، وخطب له بولاية العهد.

ثم قُتل حسن سنة تسع وعشرين؛ لأن حسناً المذكور تغلب على الأمر، واستبدَّ به، وأساء السيرة، وأكثرَ من قتل الأمراء وغيرهم ظلماً وعدواناً، وأكثرَ مصادرات الناس، فأراد العسكر الإيقاع به وبأبيه، فعلم أبوه الحافظ ذلك، فسقاه سماً، فمات.

واستوزر تاج الدولة بهرام النصراني، فتحكم، واستعمل الأرمن على الناس، وأهانهم، فأنف من ذلك شخص يسمى: رضوان بن الوكخشي، وجمع جمعاً، وقصد بهرام، فهرب بهرام إلى الصعيد، ثم عاد، وأمسكه الحافظ، وحبسه في القصر، ثم إن بهرام المذكور ترهَّب، وأطلقه الحافظ.

واستوزر رضوانَ المذكور، ولقَّبه: الملك الأفضل، وهو أولُ وزير للمصريين لُقِّب بالملك، ثم إنه فسد ما بين رضوان والحافظ، فهرب رضوان، ثم إن الحافظ ظفر به، وقتله، ولم يستوزر بعده أحداً، وباشر الأمورَ بنفسه إلى أن مات.

وتوفي الحافظ في جمادى الآخرة، سنة أربع وأربعين وخمس مئة.

وكانت خلافته تسع عشرة سنة، وسبعة أشهر، وكان عمره نحو سبع وسبعين سنة، ولم يكن من العلويين المصريين مَنْ أبوه غيرُ خليفة سوى الحافظ، والعاضد.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الظافر بأمر الله

هو أبو منصور، إسماعيلُ ابنُ الحافظِ عبدِ المجيد.

بويع الظافر بأمر الله بعد وفاة أبيه الحافظ، واستوزر ابن مصال، ثم قتلَه عباسٌ ربيبُ العادلِ بن السلاَّر، واستقر العادل في الوزارة، وتمكن، ولم يكن للخليفة معه حكم، وبقي العادل كذلك إلى **سنة ثمان وأربعين وخمس مئة**، فقتله ربيبه عباسٌ المذكور، وتولى الوزارة.

وقُتل الظافر في المحرم **سنة تسع وأربعين وخمس مئة**، قتله وزيره عباسٌ الصنهاجيُّ المذكور.

وسببه: أنه كان لعباس ولد حسن الصورة، يقال له: نصر، فأحبه الظافر، وما بقي يفارقه، فقدم من الشام مؤيد الدولة أسامةُ بنُ منقِذٍ الكنانيُّ، فقال لعباس: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول؟ فقال له عباس: ما هو؟ فقال: إن الناس يقولون: إن الظافر يفعل بابنك نصرٍ، فأَنِفَ عباسٌ، وأمر ابنَه نصراً، فدعا الظافر إلى بيته، وقتلاه، وقتلا كلَّ من كان معه، وسلم خادمٌ صغير، فحضر إلى القصر، وأعلمهم بقتل الظافر.

ثم حضر عباسٌ إلى القصر، وطلب الاجتماع بالظافر، وطلبه من أهل القصر، فلم يجدوه، فقال: أنتم قد قتلتموه، فأحضر أخوَي الظافر: يوسف، وجبريل، وقتلهما عباسٌ المذكور ـ أيضاً ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الفائز بنصر الله

هو أبو القاسم، عيسى بنُ الظافر إسماعيل.

استقر الفائز بنصر الله في الخلافة ثاني يوم قتل أبيه، وله من العمر ثلاثُ سنين، وقيل: خمس، فحمله عباسٌ الصنهاجيُّ الوزير على كتفه، وأجلسه على سرير الملك، وبايع له الناس، وأخذ عباسٌ من القصر من الأموال والجواهر النفيسة شيئاً كثيراً.

ولما فعل عباس ذلك، اختلفت عليه الكلمة، وثار عليه الجند والسودان، وكان طلائع بن رزبك في منية خصيب والياً عليها، فأرسل إليه أهلُ القصر من النساء والخدام يستغيثون به، وكان فيه شهامة، فجمع جمعه، وقصد عباساً، فهرب عباس إلى نحو الشام بما معه من الأموال والتحف التي لم يوجد مثلها، ولما كان في أثناء الطريق، خرجت الفرنج على عباس المذكور، فقتلوه، وأخذوا ما كان معه، وأسروا ابنه نصراً.

وكان قد استقر طلائعُ بنُ رزبك بعد هرب عباس في الوزارة،

ولُقب: الملك الصالح، فأرسل الصالحُ بن رزبك إلى الفرنج، وبذل لهم مالاً، وأخذ نصرَ بن عباس، وأحضره إلى مصر، وأُدخل القصر، فقُتل، وصُلب على باب زويلة.

ولما استقر أمر الصالح بن رزبك، وقع في الأعيان بالديار المصرية، فأبادهم بالقتل، والهروبِ إلى البلاد البعيدة.

وتوفي الفائز في سنة خمس وخمسين وخمس مئة، وكانت خلافته ستَّ سنين، ونحوَ شهرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة العاضد لدين الله

هو أبو محمد، عبدُالله، الملقب: العاضدُ لدين الله ابنُ الأمير يوسف بنِ الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بنِ أبي القاسم محمد بنِ المستنصر بالله بنِ الظاهر لإعزاز دين الله بنِ الحاكم بأمر الله ابنِ العزيز بالله بنِ المعزِّ لدين الله بنِ المنصور بالله بنِ القائم بأمر الله بنِ المهدي بالله، هو آخر خلفاء مصر من العُبَيديين.

ولي المملكة بعد وفاة ابن عمه الفائز، والسبب في ولايته: أنه لما مات الفائز، دخل الصالح بن رزبك القصر، وسأل عمن يصلح، فأُحضر منهم إنسان كبير السن، فقال بعض أصحاب الصالح له سراً: لا يكون عباسٌ أحزمَ منك؛ حيث اختار الصغير، فأعاد الصالحُ الرجلَ

إلى موضعه، وأمر بإحضار العاضد لدين الله، ولم يكن أبوه خليفة.

وكان العاضد ذلك الوقت مراهقاً، فبايع له بالخلافة، وزوَّجه الصالحُ ابنته، ونقل معها من الجهاز ما لا يُسمع بمثله، وكان العاضد شديد التشيع، متغالياً في سبِّ الصحابة رضي الله عنهم، وإذا رأى سنيّاً، استحلَّ دمه.

واحتكر وزيرُه الصالحُ في أيامه الغَلاَّت، فارتفع سعرُها، وأضعفَ حال الدولة المصرية، وقتل أمراء الدولة خشيةً منهم، وأفنى ذوي الآراء والحزم منها، وكان كثير التطلع إلى ما في أيدي الناس من الأموال، وصادر أقواماً ليس بينهم وبينه تعلق.

وكان العُبيديون في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء: اكتبْ لنا ألقاباً في ورقة تصلُح للخلفاء، حتى إذا تولى واحد منهم، لقبوه منها بلقب، فكتب لهم ألقاباً كثيرة، وكان آخرها ذكر العاضد، فاتفق أن آخر من ولي منهم تلقَّب بالعاضد، وهذا من عجيب الاتفاق، و ـ أيضاً ـ العاضد في اللغة هو القاطع، يقال: عضدت الشيء، فهو عاضدٌ له: إذا قطعه، فكأنه عاضدٌ لدولتهم، وكذا كان؛ لأنه قطعها.

ومما قيل أن أحد علماء مصر نقل: أن العاضد في أواخر دولته رأى في منامه وهو بمصر، قد خرجت إليه عقرب من مسجد معروف بها، فلدغته، فلما استيقظ، ارتاع لذلك.

فطلب بعض معبِّري الرؤيا، وقص عليه المنام، فقال: ينالك مكروه من شخص مقيم في هذا المسجد، فتطلب ذلك بعد جهد، وإذا هو

رجل صوفي، وهو الشيخ نجم الدين الحبوساني، فأُحضر إليه، فلما رآه وسأله وأجابه، ظهر له منه ضعفُ الحال والصدق، والعجزُ عن إيصال المكروه إليه منه، فأعطاه شيئاً، وقال له: يا شيخ! ادع لنا، وأطلقَ سبيله، فتوجه إلى مسجده.

فلما استولى الناصر صلاح الدين، وعزم على قبض العاضد، واستفتى الفقهاء، فأفتوه بحل دمه؛ لما كان عليه من انحلال العقيدة، وفساد الاعتقاد، وكثرة الوقوع في الصحابة، والاستهزاء بهم، وكان أكبرهم في الفتيا الصوفي المقيم في المسجد؛ فإنه عدد مساوئ هؤلاء القوم، وسلب عنهم الإيمان، وأطال الكلام في ذلك، فصحَّت رؤيا العاضد بذلك.

وكانت وفاته في يوم عاشوراء، **سنة سبع وستين وخمس مئة**.

وسنذكر شيئاً من ذلك في ترجمة السلطان صلاح الدين - إن شاء الله تعالى -.

وقيل: إنه سم نفسه، فمات.

وكانت مدة خلافة الفاطميين من حين ظهور المهديِّ بسجلماسة في ذي الحجة، **سنة ست وتسعين ومئتين**، إلى أن توفي العاضد في التاريخ المذكور: مئتين، وسبعين سنة، وشهراً تقريباً -.

وهذا دأبُ الدنيا، لم تعط إلا واستردَّت، ولم تحلُ إلا وتمررت، ولم تصفُ إلا وتكدَّرت، بل صفوُها لا يخلو من الكدر.

وانقرضت دولتهم في خلافة المستضيء بالله أبي محمد الحسنِ بنِ المستنجد بالله العباسي خليفة بغداد.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

الدولة العباسية بمصر

قد تقدم ذكرُ انقراض الدولة العباسية من بغداد، واستيلاء التتر عليها، وقتل أمير المؤمنين المستعصم بالله في **سنة ست وخمسين وست مئة**، ثم استمرت المملكة بغير خليفة نحو ثلاث سنين ونصف سنة، إلى أن استقر الحال في **سنة تسع وخمسين وست مئة** باستقرار الخلفاء بالديار المصرية، وذلك في دولة الملك الظاهر بيبرس ـ تغمده الله برحمته ـ على ما سنذكره.

* * *

خلافة المستنصر بالله

وفي **سنة تسع وخمسين وست مئة**، في شهر رجب، قدم إلى مصر جماعة من العرب، ومعهم شخص أسمرُ اللون، اسمه أحمد، زعموا أنه ابن الإمام الظاهر بالله محمدِ ابنِ الإمام الناصر، وأنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر، فعقد الملكُ الظاهر بيبرسُ مجلساً، أحضر فيه جماعة من الأكابر، منهم: الشيخ عز الدين بن عبد العزيز بن

عبد السلام، والقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز، فشهد أولئك العرب أن هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمدِ ابنِ الإمام الناصر، فيكون عمَّ المستعصم، وأقام القاضي جماعة من الشهود، واجتمعوا بأولئك النفر، وسمعوا شهادتهم، ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة، فأثبت القاضي تاجُ الدين نسبَ أحمد المذكور، ولقِّب: المستنصر بالله، أبو القاسم، أحمدُ بنُ الظاهرِ بالله محمد.

وبايعه الملك الظاهر والناسُ بالخلافة، واهتم الملك الظاهر بأمره، وعمل له الدهليز والجمدارية وآلات الخلافة، واستخدم له عسكراً، وغرم على تجهيزه حملاً طائلةً، قيل: إن قدر ما غرم عليه ألف ألف دينار.

ثم في يوم الاثنين، الرابع من شعبان، ركب الخليفةُ والسلطان والقضاة والأمراء إلى خيمة عظيمة ضُربت ظاهر القاهرة، فجلسوا فيها، فألبس الخليفةُ للسلطان بيده خلعة سوداء، وطوقاً في عنقه، وقيداً، وهما من ذهب، وقَوَّى تقليدَ السلطان بالسلطنة، ثم ركب، وشق القاهرة، وكان يوماً مشهوداً.

وبرز الملك الظاهر والخليفةُ المذكور في رمضان من هذه السنة، وتوجَّها إلى دمشق، وكان في كل منزلة يمضي الملك الظاهر إلى دهليزه الخاص به، والخليفة إلى دهليزه الخاص به.

ولما وصلا إلى دمشق، نزل الملك الظاهر بالقلعة، ونزل الخليفة في جبل الصالحية، ونزل حول الخليفة أمراؤه وأجناده.

ثم جهز الخليفة بعسكره إلى جهة بغداد؛ طمعاً في أنه يستولي على بغداد، ويجتمع عليه الناس، فسار الخليفة بعسكره من دمشق، وركب الملك الظاهر، وودعه، ووصاه بالتأني في الأمور.

ثم عاد الملك الظاهر إلى دمشق من توديع الخليفة، ثم سار إلى الديار المصرية، ودخلها في سابع عشر ذي الحجة من هذه السنة، ووصلت إليه كتب الخليفة بالديار المصرية: أنه قد استولى على عانة، والحديثة، وولى عليهما، وأن كُتَبَ أهل العراق وصلت إليه، يستحثونه على الوصول إليهم.

ثم قبل أن يصل إلى بغداد، وصلت إليه التتر، وقتلوا الخليفة المذكور قريباً من الأنبار، وقتلوا غالب أصحابه، وجاءت الأخبار بذلك.

فأقام في الخلافة نحو ستة أشهر ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

والحمدُ لله وحده.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الحاكم بأمر الله

وفي يوم الخميس، في أواخر ذي الحجة، **سنة ستين وست مئة**، وقيل: في أول المحرم منها، جلس الملك الظاهر بيبرس مجلساً عاماً، وأحضر شخصاً كان قد قدم إلى الديار المصرية في سنة تسع وخمسين وست مئة من نسل بني العباس يسمى: أحمد، بعد أن أثبت نسبه، وبايعه

بالخلافة، ولُقِّب أحمد المذكور: الحاكمُ بأمر الله، أبو العباس، أحمدُ أمير المؤمنين.

وقيل: اختلف في نسبه، فالذي هو مشهور بمصر عند نسَّابة مصر: أنه أحمد بن حسن بن أبي بكر ابن الأمير أبي علي الفتى ابن الأمير حسن ابن الراشد بن المسترشد بن المستظهر.

وأما عند الشرفاء العباسيين السلمانيين في درج نسبتهم الثابت، فقالوا: هو أحمد بن أبي علي بن أبي بكر بن أحمد ابن الإمام المسترشد الفضلِ بنِ المستظهر.

ولما أثبت الملكُ الظاهر نسبَ المذكور، تركه في برجٍ محترزاً عليه، وأشرك له الدعاء في الخطبة حسب لا غير.

وتوفي المذكور في ثامن عشر جمادى الأولى، **سنة إحدى وسبع مئة**، ودفن بجوار السيدة نفيسة رضي الله عنها، واستمر خليفةً أربعين سنة، وعاصر من السلاطين: الملك الظاهر بيبرس، وولدَه الملكَ السعيد محمد بركة، والملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، والملك المنصور قلاوون، والملك الأشرف خليل بن قلاوون، والملك القاهر بيدرا، والملك الناصر محمدَ بن قلاوون في سلطنته الأولى، والملك العادل كتبغا، والملك المنصور لاجين، ثم الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية، وفيها توفي ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المستكفي بالله

هو أبو الربيع، سليمانُ بنُ الحاكم بأمر الله أحمدَ المذكور قبله.

كان والده أوصى بولاية العهد إليه، وعمره عشرون سنة، فلما توفي والده، قُرِّر في الخلافة، ولُقِّب: المستكفي بالله، وخلع عليه وعلى أخيه وأولاد أخيه، وبايعه السلطان والأمراء والقضاة والعلماء وأعيان الدولة.

وفي ثالث عشر ذي القعدة، **سنة ست وثلاثين وسبع مئة**، رسم السلطانُ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوون بانتقال الخليفة من الكبش إلى القلعة، ومُنِعَ من الاجتماع بالناس.

وفي ربيع الآخر، **سنة سبع وثلاثين وسبع مئة**، أُفرج عن الخليفة المستكفي، وأُطلق من البرج، ولزم بيته، ثم أخرجه السلطان، وأخرج أهلَه إلى قوص، وكانوا قريباً من مئة نفس، ورتب لهم هناك ما يقوم بهم.

وتوفي وليُّ العهد القائمُ بأمر الله محمدُ ابنُ أمير المؤمنين المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بقُوص، في ذي الحجة، **سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة**، عن أربع وعشرين سنة.

وتوفي الخليفة المستكفي بالله في شعبان، **سنة أربعين وسبع مئة**، واستمر خليفةً نحو تسعٍ وثلاثين سنة.

وعاصر الملكَ الناصرَ محمدَ بن قلاوون في سلطنته الثانية، والملك المظفر بيبرس الجاشنكير، ثم الملك الناصر محمدَ بن قلاون في سلطنته

الثالثة، وبها توفي ـ رحمه الله ـ.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الواثق بالله

هو إبراهيمُ ابنُ أخي المستكفي بالله المذكور قبله.

ولي الخلافة بعد وفاة عمه، وأقام إلى أن خُلع في أول المحرم، **سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة**، واستمر خليفة سنة، ونحو خمسة أشهر.

عاصر الملكَ الناصرَ محمدُ بن قلاوون في أواخر سلطنته الثالثة، والملكُ المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون في أوائل دولته، وفيها خُلع من الخلافة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الحاكم بأمر الله

هو أمير المؤمنين أبو العباس، أحمدُ بنُ المستكفي بالله أبي الربيع سليمانَ العباسي.

بويع بالخلافة بعد خلع ابن عمه الواثق بالله في أيام الملك المنصور سيف الدين أبي بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولبس السواد، وجلس مع الملك المنصور على سرير المملكة، في **سنة اثنتين وأربعين**

وسبع مئة، وأقام إلى أن توفي سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة، واستمر خليفة نحو إحدى عشرة سنة.

وعاصره الملكُ المنصورُ أبو بكر بن محمد بن قلاوون، والملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون، والملك الناصر أحمدُ ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، والملكُ الصالح إسماعيل بن الناصر محمد ابن قلاوون، والملكُ الكاملُ شعبانُ بنُ الناصر محمد بن قلاوون، والملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون، والملك الناصر حسن في سلطنته الأولى، والملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون، وفي سلطنته توفي ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المعتضد بالله

هو أبو الفتح، أبو بكر بنُ المستكفي بالله سليمانَ بنِ الحاكم بأمر الله أحمد.

ولي الخلافة بعهد من أخيه الحاكمِ بأمر الله أميرِ المؤمنين أحمدَ.

وبويع له بالخلافة في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة، وأقام إلى أن توفي سنة ثلاث وستين وسبع مئة، واستمر خليفة عشر سنين.

وعاصره الملكُ الصالح بنُ محمد بنِ قلاوون، والملكُ الناصر

حسن في سلطنته الثانيـة، والملكُ المنصور محمدُ بنُ المظفر حاجي، وفي سلطنته توفي ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

والحمد لله وحدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المتوكل على الله

هو أبو عبدالله، محمدُ بنُ المعتضد بالله أبي بكـر بنِ المستكفي بالله سليمان بنِ الحاكم بأمر الله.

ولي الخلافة بعهد من والده، واستقر فيها سنة **ثلاث وستين وسبع مئة**، وأقام إلى أن خُلع في سنة **خمس وثمانين وسبع مئة**، واستمر خليفة في هذه المرة نحو اثنتين وعشرين سنة.

وعاصره الملكُ المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي، والملكُ الأشرف شعبان بن حسين، والملكُ المنصور علي بنُ الأشرف شعبان، وحاجي بن الأشـرف شعبان في سلطنتـه الأولى الملقـب فيهـا بالملك الصالح، والملك الظاهرُ برقوق في سلطنته الأولى، وفيها خلع.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الواثق بالله

هو أمير المؤمنين ركنُ الدين، عمرُ بن إبراهيم.

استقر في الخلافة بعد خلع ابن عمه المتوكل على الله، وأقام بها إلى أن توفي سنة ثمان وثمانين وسبع مئة، واستمر خليفة نحو ثلاث سنين، وعاصره الملكُ الظاهر برقوق في سلطنته الأولى، وفيها ولي الخلافة، وتوفي ـ رحمه الله ـ.

* * *

خلافة المعتصم بالله

هو أمير المؤمنين، زكريا بنُ إبراهيم.

استقر في الخلافة بعد وفاة أخيه الواثقِ بالله، وأقام بها إلى أن خلع في سنة إحدى وتسعين وسبع مئة، واستمر خليفة نحوَ ثلاث سنين.

وعاصره الملكُ الظاهر برقوق في سلطنته الأولى، وعاصره حاجي ابن الأشرف شعبان في سلطنته الثانية، الملقب فيها بالملك المنصور، وكان خلعُه في سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية، وتوفي سنة إحدى وثمان مئة.

* * *

خلافة المتوكل على الله

لما خُلع المعتصمُ بالله زكريا من الخلافة، أُعيد بعدَه المتوكل

على الله محمدُ بنُ المعتضد بالله إلى الخلافة، وأقام بها إلى أن توفي في رجب، **سنة ثمان وثمان مئة**، واستمر خليفـة في هذه المرة سبع عشرة سنة، فكانت خلافته في المرتين نحو تسع وثلاثين سنة.

وعاصـره في خلافتـه الثانيـة الملكُ الظاهـر برقـوق في سلطنتـه الثانية، وولده الملك الناصر فرج في سلطنته الأولى، والملك المنصور عبد العزيز بن برقوق، ثم الناصر فرج في أول السلطنة الثانية، وفيها توفي ـ رحمه الله ـ.

* * *

خلافة المستعين بالله

هو أبو الفضل، العباسُ بنُ المتوكل على الله محمدِ بنِ المعتضد بالله أبي بكر.

ولي الخلافـة بعد والده، فأقام بها ست سنين، ونصفَ سنة، ثم تسلطن في المحرم **سنة خمس عشرة وثمان مئة**، بعد خلع الناصر فرج ابن برقوق ـ على ما يأتي ذكره في ترجمته بين السلاطين ـ، ثم خُلع من السلطنة في شعبان من السنة المذكورة، وسجن بالإسكندرية.

وعاصـره في خلافتـه الملكُ الناصر فرج بن برقـوق في سلطنتـه الثانية، وتوفي بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة بالإسكندرية ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

خلافة المعتضد بالله

هو أبو الفتح، داودُ بنُ المتوكل على الله محمـدِ بنِ المعتضد بالله أبي بكر بنِ المستكفي بالله سليمان بنِ الحاكم بأمر الله أحمدَ.

بويع له بالخلافة في [ذي] الحجة من سنة **خمس عشرة وثمان مئة**، لما قبض المؤيد شيخ على أخيه المستعين بالله، وسجنه بالإسكندرية.

ولد في سنة تسعين وسبع مئة، أو التي قبلها، وسمع بمصر على البرهان الشامي، والعـراقي، والبلقيني، وابن الملقن، وتلك الطبقـة، وأُحضروا له إلى دار الخلافة، فسمع عليهم متفرقين هو وإخوته في زمن والدهم المتوكل على الله، وأقام إلى أن توفي في خامس من ربيع الأول، **سنة خمس وأربعين وثمان مئة** بعد تعلُّل طويل.

وكان شكلاً حسناً، أسمر اللون، مهيباً، بوجهه أثر جُدري، عليه جلالـة، ووقار، وحشمة، ولديـه فضيلة، وبـر، وإحسان إلى الناس، جيـداً، خيِّراً، عالماً، فاضلاً، بشوشاً، واستمر خليفـة المسلمين نحو ثلاثين سنة.

وعاصره من السلاطين الملكُ المؤيد شيخ، وولدُه الملك المظفر أحمد، والملك الظاهر ططر، وولـده الملك الصالح محمد، والملك الأشرف برسباي، وولده الملك العزيز يوسف، والملك الظاهر جقمق، وفي سلطنته توفي ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

خلافة المستكفي بالله

هـو أميـر المـؤمنين، أبـو الربيـع سليمـانُ بنُ المتوكـل على الله محمد.

مولده في حدود التسعين وسبع مئة، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المعتضـد بالله في يوم الخميس، تاسع شهـر ربيـع الأول، **سنة خمس وأربعين وثمان مئة**، بعهد منه، وشهد له أنه ما ارتكب كبيرة ولا صغيرة في عمره، فكتب في تقليده: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٦].

وكان رجلاً جيداً، خَيِّراً، دَيِّناً، عليه سكينـة ووقار، وحسنُ سمت وهدي، سكوناً، وقـوراً، كثيـر الصلاة والتلاوة، والخـوف والمراقبـة والخشوع، لينَ العريكـة، سهلَ الانقياد، من خيـار المسلمين، رقيـق الوجه، خفيفَ العارضين، ربعةً.

وسمع مع أخيه على مشايخه المتقدم ذكرهم في ترجمته، وهم: البرهان الشامي، والزين العراقي، والبلقيني، والهيثمي، وطبقتهم.

أقام إلى أن توفي يوم الجمعة، ثاني المحرم، سنة خمس وخمسين، وقيل: في أواخر ذي الحجة، **سنة أربع وخمسين وثمان مئة**، واستمر خليفة نحو عشر سنين، وعاصره في خلافته الملكُ الظاهر جقمق، وفي سلطنته توفي، ولم يعهد بالخلافة لأحد ـ رحمه الله ـ.

* * *

خلافة القائم بأمر الله

هو أمير المؤمنين أبو البقاء، حمزةُ بنُ المتوكل على الله محمدٍ.

مولده في سنة سبع وثمانين وسبع مئة ـ تقريباً ـ، وسمع على البرهان الشامي، والعراقي، والبلقيني، وابن الملقن، والهيثمي، وطبقتهم.

وكان رجلاً جيداً، عالماً، خَيِّراً، فاضلاً، دَيِّناً، يستحضر ويذاكر بكثير من العلوم، وكان من خيار أهل هذا البيت.

بويع له في الخلافة بعد وفاة أخيه المستكفي بالله، وكانت مبايعته في يوم الاثنين، خامس المحرم، **سنة [خمس] وخمسين وثمان مئة**.

وأقام إلى سلطنة الملك الأشرف أينال، فتسلَّط عليه جماعة من المماليك، وألزموه بالركوب على الأشرف أينال، وأن يستقر هو في السلطنة؛ كما وقع لأخيه المستعين بالله، فامتنع من ذلك، فألزموه به، فركب، فقدر الله بنصرة الأشرف أينال.

فقبض على الخليفة، وأحضره بين يديه، وانتشر الكلام بينهما، فقال الخليفة للسلطان: أنا ما ركبتُ عليك إلا مكرهاً، كما أكرهتني أنت على سلطنتك، فخلعه من الخلافة، وسجنه، وذلك **في سنة تسع وخمسين وثمان مئة**، فكانت مدة خلافته نحو خمس[1] سنوات.

---

(١) في الأصل: «خمسين سنة».

وعاصر[ه] الملك الظاهر جقمق، وولدُه المنصور عثمان، والملكُ الأشرف أينال، وخُلع في سلطنته ـ رحمه الله ـ.

* * *

خلافة المستنجد بالله

هو أمير المؤمنين أبو المظفر، يوسفُ بنُ المتوكل على الله محمدٍ.

استقر في الخلافة بعد خلع أخيه القائم بأمر الله حمزةَ، وأقام إلى أن توفي في سنة **أربع وثمانين وثمان مئة**، واستمر خليفة نحو خمس وعشرين سنة.

وعاصره من السلاطين الملكُ الأشرف أينال، وولده الملك المؤيدُ أحمد، والملكُ الظاهر خشقدم، والملكُ الظاهر بلباي، والملكُ الظاهر تمربغا، ومولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ـ نصره الله نصراً عزيزاً، وفتح له فتحاً مبيناً ـ، وهو الذي قلّده للسلطنة، بعد خلع الظاهر تمربغا في شهر رجب، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، على ما سنذكره في ترجمة مولانا السلطان المشار إليه ـ إن شاء الله تعالى ـ، وتوفي في سلطنته في التاريخ المذكور ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم.

* * *

خلافة أبي العز عبد العزيز بن يعقوب

هو مولانا الإمامُ الأعظم، والخليفةُ المكرم، أمير المؤمنين، وابن عمٍّ سيد المرسلين، ووارث الخلفاء الراشدين، أبو العزّ، عبد العزيز ابن يعقوب العباسي الهاشمي ـ أعز الله به الدين، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ـ.

مولده في سنة ثمان عشرة وثمان مئة، سمع على شيخ الإسلام ابنِ حجر، وغيرِه، وأجاز له جماعة.

بويع له في الخلافة بعد وفاة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ـ تغمده الله برحمته ـ ثم تولى الخلافة بقلعة الجبل المنصورة، بحضرة مولانا المقام الشريف، السلطانِ المالك، الملكِ الأشرفِ سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، خادم الحرمين الشريفين، أبي النصر قايتباي ـ جدَّد الله له في كل يوم نصراً، وملَّكه بساطَ البسيطة براً وبحراً ـ، وذلك بالحوش، بحضور أهل الحل والعقد بين يدي السادة الموالي قضاة القضاة ذوي المذاهب الأربعة، وهم: قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وقاضي القضاة شمس الدين الأمشاطي الحنفي، وقاضي القضاة برهان الدين اللقّاني المالكي، وقاضي القضاة بدر الدين السعدي الحنبلي، والعلماء والأمراء.

وكان المتولي لاسترعاء البيعة صاحب ديوان الإنشاء المقر الزيني، أبو بكر بن مُزْهِرٍ الأنصاري الشافعي ـ تغمده الله برحمته ـ، وأُلبس تشريف

الخلافة، واسترعى عليه الإشهاد باستمرار مولانا السلطان المشار إليه في سلطنته على عادته، ثم كُتب له بذلك عهد شريف، ونزل أميرُ المؤمنين، والناسُ في خدمته إلى دار الخلافة، وكان يوماً مشهوداً، ولعل ذلك في أحد الربيعين، سنة أربع وثمانين وثمان مئة، بعد وفاة المستنجد بأيام قلائل.

وكان قد امتنع من قبول الخلافة، وقال: أنا لي عادة بزيارة الصالحين، ولا أقدر على الحصر، فقال له السلطان ـ نصره الله تعالى ـ: أنا لا أمنعك من زيارة الصالحين، ولكن لا تَبِتْ في غير القلعة، فقُلِّد الخلافة، وأقام بداخل القلعة، بالمنزل الذي كان فيه المستنجد بالله، واستمر به معظَّماً مبجَّلاً من السلطان ـ نصره الله تعالى ـ، والناس يترددون إليه.

وفي كل أول شهر يدخل إليه قضاة القضاة، والعلماء والفقهاء يهنئونه بالشهر بعد تهنئة السلطان، وإذا ولَّى السلطان ـ نصره الله تعالى ـ قاضياً من القضاة، يأمره بالتوجه لأمير المؤمنين، وهو لابسٌ لتشريف الولاية، وغير ذلك من أنواع التعظيم والتبجيل.

وأمّا أمير المؤمنين المشار إليه ـ أفاض الله نعمه عليه ـ، فلا شكَّ أنه من الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وهو من أهل العلم والعمل، والدين والصلاح، والزهد والتواضع، عليه جلالة ووقار، ولديه بر وإحسان إلى الناس، بشوشاً، شكلاً حسناً، ومحاسنه أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

وقد تمثلت في حضرته الشريفة، وسمعت قراءة «صحيح البخاري» بقراءة الشيخ برهان الدين النعماني بين يديه، وأجازني به، وأذن لي في عقود الأنكحة بالمملكة الإسلامية، وكتب لي خطه الشريف بذلك مرتين، وحصل لي منه غاية الجبر، وترددت إلى حضرته الشريفة مراراً، وتحملت عليه الشهادة، وكان يأذن لي في الجلوس قريباً منه، ويكرمني غاية الإكرام.

وكان ابتداء تمثلي في حضرته الشريفة في شهر شعبان، سنة ثمان وثمانين وثمان مئة، ولا زلت أتردد إليه إلى حين ودَّعته للسفر في يوم الخميس، ثالث عشر جمادى الأولى، سنة تسع وثمانين وثمان مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

ذكر ملك أتابك عماد الدين الزنكي

قد تقدم في ترجمة المستعلي بأمر الله العلوي: أن في أيامه اختلفت دولتهم، وضعُف أمرهم، وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتُهم، وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والفرنج، ونزلوا أنطاكية في ذي القعدة، سنة تسعين وأربع مئة، ثم استولى على الشام جماعة، وملكوها، وأقاموا الحكم فيها، وتداولوها واحداً بعد واحد، إلى أن ملكها جمال الدين محمد بن بوري، وكان صاحب بعلبك بعد قتل شهاب الدين

محمود بن بوري بن طغتكين صاحبِ دمشق، وكان قتلُ محمـود المذكور في شوال، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة.

[ثم في] **سنة أربع وثلاثين وخمس مئة** سار عماد الدين أبو الجود زنكي ملكُ الموصل إلى دمشق، وحصرها، وزحف عليها، بعـد أن كان ملك حلب وحماة وحمص وبعلبك، وغير ذلك.

وكان ابتـداء ملكـه لحلب في **سنة اثنتين وعشرين وخمس مئـة**، فلما سار إلى الشام، وزحف عليها في سنة أربع وثلاثين المذكورة، بذل لصاحبها جمال الدين محمـد بعلبكَّ وحمصَ، فلم يأمنوا إليـه؛ بسبب غدره بأهل بعلبك، وكان نزوله على داريًا في ثالث عشر ربيـع الأول، واستمر ملازماً لدمشق، فمرض في تلك المدة جمالُ الدين محمد بوري صاحـبُ دمشق، ومات في ثامن شعبان، فطمع زنكي حينئـذ في ملك دمشق، وزحف عليها، واشتد القتال، فلم ينل غرضاً.

ولمّا مات جمال الدين محمد، أقام معين الدين أنز في الملك ولده مجير الدين أرتـق بن محمـد بن بوري بن طغتكين، واستمر أنـز يدبـر الدولة، فلم يظهر لموت جمال الدين محمدٍ أثر.

ثم رحل زنكي، ونزل بعذرا من المرج في سادس شوال، وأحرق عدة من قرى المرج، ورحل عائداً إلى بلاده، وملك عدة أماكن، منها: شهرزور، ومنها: قلعة است، وكانت من أعظم حصون الأكراد الهكارية، ثم سار إلى ديار بكـر، ففتح منها طبـرة، وأسعرد، وحيـراز، وحصن

الروق، وحصن تطليس، وحصن ناياسا، وحصن ذي القرنين.

وأخذ من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج حملين، والمورر، وتل مورز من حصون شبختان، وملك عانة من أعمال الفرات، وفتح الرها من الفرنج بالسيف، ثم تسلم مدينة سروج، وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات.

ثم في سنة إحدى وأربعين وخمس مئة: سار عماد الدين زنكي، ونزل على قلعة جعبر، وحصرها، وصاحبُها عليُّ بنُ مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسبب العُقَيلي، وأرسل عسكراً إلى قلعة فنك، وهي تجاور جزيرة ابن عمر، فحصرها ـ أيضاً ـ، وصاحبُها حسامُ الدولة الكردي البشنوي.

*** ذكر قتل أتابك عماد الدين زنكيُ، وشيء من سيرته:**

ولما طال على زنكي منازلةُ قلعة جعبر، أرسل مع حسان البعلبكي الذي كان صاحب منبج، يقول لصاحب قلعة جعبر: قل لي: من يخلصك مني؟ فقال صاحب قلعة جعبر لحسان: يخلصني منه الذي خلصك من بلك بن بهرام بن أرتق.

وكان بلك محاصراً لمنبج، فجاءه سهم، فقتله.

فرجع حسان إلى زنكي، ولم يخبره بذلك، فاستمر زنكي منازلاً قلعة جعبر، فوثب عليه جماعة من مماليكه، وقتلوه في خامس ربيع الآخر من هذه السنة بالليل، وهربوا إلى قلعة جعبر، فصاح مَنْ بها على

العسكر، وأعلموهم بقتل زنكي، فدخل أصحابه إليه، وبه رمق.

وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة، أسمر اللون، مليح العينين، قد وَخَطَه الشيب، وكان قد زاد عمرُه على ستين سنة، ودُفن بالرقة، وكان شديد الهيبة على عسكره عظيمَها، كان له الموصل وما معها من البلاد، وملك الشامَ خلا دمشقَ، وكان شجاعاً، وكانت الأعداء محيطة بمملكته من كل جهة، وهو ينتصف منهم، ويستولي على بلادهم ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك العادل

نورِ الدين محمود الزنكي صاحب دمشق الملقب بالشهيد

هو نور الدين، أبو القاسم، محمودُ ابنُ الملك المنصور عماد الدين أبي الجود زنكي، بن أقسنقر، المدعو بالشهيد.

لما قُتل والده عماد الدين زنكي، كان نور الدين معه حاضراً عنده، فأخذ خاتم والده وهو ميت من أصبعه، وسار إلى حلب، فملكها، وبلغ سيفَ الدين غازي بنَ عماد الدين زنكي قتلُ والده، فسار إلى الموصل، واستقر ملكُ سيف الدين غازي للموصل وبلادها.

ثم بعد قتل عماد الدين زنكي قصد صاحبُ دمشق مجيرُ الدين حصنَ بعلبك، وحصره، وكان به نجم الدين أيوب بن شادي مستحفظاً،

فخاف أن أولاد زنكي لا يمكنهم اتخاذه بالعاجل، فصالحه، وسلم القلعة إليه، وأخذ منه إقطاعاً ومالاً، وملَّكه عدة قُرى من بلاد دمشق، وانتقل أيوب إلى دمشق، وسكنها، وأقام بها.

ثم في سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحبُ حلب بلاد الفرنج مصاف بأرض يغرى، ففتح منها مدينة أرتاح بالسيف، وحصن مامولة، وبصرفوت، وكفر لاثا، وكان بين نور الدين وبين الفرنج مصاف بأرض يغرى من العمق، فانهزم الفرنج، وقتل منهم وأسر جماعة، وأرسل جماعة من الأسرى والغنيمة إلى أخيه سيف الدين غازي صاحبِ الموصل.

وفي سنة أربع وأربعين وخمس مئة حصر نورُ الدين محمود بن زنكي حصنَ حارم، فجمع البرنسُ صاحبُ أنطاكية الفرنج، وسار إلى نور الدين، واقتتلوا، فانتصر نور الدين، وقُتل البرنسُ، وانهزم الفرنج، وكثر القتل فيهم، ثم غزاهم نور الدين غزوة أخرى، فهزمهم، وقتل فيهم وأسر.

وفي سنة سبع وأربعين وخمس مئة: جمعت الفرنج، وساروا إلى نور الدين، وهو محاصرٌ دلوك، فرحل عنها، وقاتلهم أشد قتال رآه الناس، وانهزمت الفرنج، وقُتل وأُسر كثير منهم، ثم عاد نور الدين إلى دلوك، فملكها.

وفي سنة تسع وأربعين وخمس مئة: ملك نور الدين دمشق، وأخذها من صاحبها مجير الدين أرتق بن محمد بن بوري بن طغتكين.

وكان الفرنج قد تغلبوا بتلك الناحيـة بعـد ملكهم عسقلان، حتى إنهم استعرضوا كل مملوك وجارية بدمشق من النصارى، وأطلقوا قهراً كلَّ من أراد منهم الخروجَ من دمشق، واللحـوقَ بوطنه، شـاء صاحبـه أو أبى.

فخشي نور الدين أن يملكوا دمشق، فكاتبَ أهلَ دمشق، واستمالهم من الباطن، ثم سار إليها، وحصرهـا، ففُتح لـه الباب الشرقي، فدخل منه، وملك المدينة، وكان نزوله عليها ثالث صفر، وملكها يوم الأحد، تاسع الشهر المذكور، **سنة تسع وأربعين وخمس مئة**.

وحصَر مجير الدين في القلعة، وبذل له إقطاعاً، من جملته: مدينة حمص، فسلم مجير الدين القلعة إلى نور الدين، وسار إلى حمص، فلم يعطه إياها نورُ الدين، وأعطاه عوضها بالس، فلم يرضها مجير الدين، وسار عنها إلى العراق، وأقام ببغداد، وابتنى داراً بقرب النظّامية، وسكنها حتى مات بها.

ثم في هذه السنة أو التي بعدها: ملك نور الدين قلعـة تل باشر، وأخذها من الفرنج، واستولى على بلاد الشام، من حمص وحماة وبعلبك والرحبة، وبنى بمدينة الموصل الجامعَ النـوريَّ، وبحماةَ الجامعَ الذي على نهر العاصي، وجامـع الرها، وجامـع منبج، وبيمارستان دمشق، ودار الحديث بها.

وفي سنة اثنتين وخمسين وخمس مئـة، في رجـب: كان بالشام زلازل قوية، فخربَـتْ بها حماة، وشيزر، وحمص، وحصن الأكراد،

وطرابلس، وأنطاكيـة، وغيرهـا من البلاد المجاورة لها، حتى وقعـت الأسوار والقـلاع، فقام نـور الـدين محمـود بن زنكي في ذلك المقـامَ المرضي؛ من تداركها بالعمارة، وإغارته على الفرنج؛ ليشغلهم عن قصد البلاد، وكان الفرنج يخافون من نور الدين خوفاً شديداً؛ لسلاطته عليهم، وهلك تحت الهدم ما لا يحصى.

وفي سنة ثمان وخمسين وخمس مئة: كبس الفرنجُ نورَ الدين وهو نازلٌ بعسكره في البقيعـة تحـت حصن الأكـراد، فلم يشعـر نور الدين وعسكره إلا وقد أطلَّت عليهم صُلبان الفرنج، وقصدوا خيمة نور الدين، فلسرعة ذلك، ركب نور الدين فرساً، وفي رجله الشجَّة، فنـزل إنسان كردي، نقضها، فنجا نور الدين، وقُتل الكردي، فأحسنَ نورُ الدين إلى مخلَّفيه ووقـف عليهم الوقـوف، وسار نور الدين إلى بحيـرة حمص، فنزل عليها، وتلاحقَ به مَنْ سلم من المسلمين.

وفي سنة تسع وخمسين: فتح نور الدين قلعة حارم، وأخذها من الفرنج بعد مصافّ جرى بين نور الدين والفرنج، انتصر فيه نور الدين، وقتل وأسـر من الفرنج عالمـاً كثيـراً، وكان في جملة الأسـرى البرنس صاحبُ أنطاكيـة، والقومصُ صاحبُ طرابلس، وغنم منهم المسلمون شيئاً كثيراً.

وفي هذه السنة ـ أيضاً ـ في ذي الحجة سار نور الدين إلى بانياس، وفتحها، وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة إلى هذه السنة.

وفي سنة إحدى وستين وخمس مئة: فتح نور الدين حصن المنيطرة من الشام، وكان بيد الفرنج، وفتح صافيتا، والغربية.

وفي سنة أربع وستين وخمس مئة: ملك نور الدين قلعة جعبر.

ولنور الدين ـ رحمه الله تعالى ـ المناقبُ والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف.

ومما روي عنه ـ رحمه الله تعالى ـ: أنه اشترى مملوكاً بخمس مئة دينار، جميل الصورة، ودفعه إلى رجل كبير من جماعته كان رباه، ويعرف أموره، وهو واثق به، وأمره أن يُلبسه أفخرَ الملبوس، ويوقفه في الخدمة على العادة، ففعل.

ثم أمره أن يصعد به كل يوم، ففعل، ثم أمره في يوم من الأيام أن يطلعه ليلاً، ويبيت معه على باب المكان الذي هو فيه، فأنكر عليه ذلك غايةَ الإنكار، وقال: هذا ما اشترى مملوكاً بمئة دينار أبداً، ونسبه إلى القبيح، وتعجب من ذلك غاية العجب، وقال: الشيطان لعب به، بعد تقدمه في السّن، وعبادته وإخلاصه في العمل والجهاد، وما تقدم منه من الخير، لئن وقع منه به فاحشة، لأقتلنَّه.

ثم أخذ كبَّارة، وأصلح رأسها، وحمله إلى المكان الذي ذكره له، وبات عند رأسه ينتظر وقوع ما وقع في نفسه، فلما كان نصف الليل، وإذا بالغلام أخذته الحمى الشديدة إلى طلوع الفجر، ومات من يومه، فبعد دفنه طلب السلطان نورُ الدين الرجل المذكور، وقال له: ما حملك على اتخاذ الكبارة؟ أردت قتلي، والله! إن الموت عندي أهونُ من الوقوع

فيما ظننته بنا، ولكن تعلق بالنفس هوى الغلام المذكـور، فاشتريتُه بما تعلم، فطالبتني نفسي برؤيتـه في كل أسبوع مرة، ففعلت، ثم في كل يوم مرة، ففعلت، ثم طلبت النومَ معه، والدنو منه، لذا أمرتُك بذلك، فلما دخل عليَّ الليل، وأنت وإياه على باب المكان، كشفتُ رأسي، وفتحت يدي، وقلت:

إلهي وسيدي! عبدُك محمودُ المجاهدُ في سبيلك، الذابُّ عن دينِ نبيك، الذي انقضى عمره في الجهاد، وبناء المساجـد والمدارس والرُّبُط طلباً لمرضاتك، يختم أعمالَه بذلك؟! وبكيت، فإذا بهاتف يقول لي: قد كفيناك ذاك يا محمود، فعلمت أن الغلام قد نزل به أمرٌ، وأما أنت، فجزاك الله عني كلَّ خير على قصدك الجميل بي.

ورأيت في «تاريخ المدينـة الشريفة» للشيخ الإمام الحافـظ صـدرِ العلماء أقضى القضاة جمالِ الدين أبي عبدِالله محمدٍ الخرجيِّ السعديِّ العبادي المدني، عرف بالمطري ـ تغمـده الله برحمته ـ ما نصُّه:

ونقل قاضي القضاة شمسُ الدين بنُ خلكان: أن هذا السور القديم بناه عضد الدولة ابن بُويه بعد الستين وثلاث مئة من الهجرة في خلافـة الإمام الطائع لله بن المطيع، ثم تهدم على طول الزمان، وخرب لخراب المدينة، ولم يبق إلا آثاره ورسمـه، حتى جدد لها الوزيـر جمالُ الدين محمـدُ بن علي بن أبي منصـور الأصبهانيُّ سوراً محكماً حول مسجـد رسول الله ﷺ على رأس الأربعين وخمس مئة من الهجرة، ثم كثر الناس من خارج السور، ووصل السلطانُ الملكُ العادل نورُ الدين محمود بن

زنكي بن أقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمس مئة إلى المدينة الشريفة، بسبب رؤيا رآها، ذكرها بعض الناس، وسمعتُها من الفقيه عَلَمِ الدين يعقوبَ بن أبي بكر المحترقِ أبوه ليلةَ حريق المسجد، عمَّن حدثه عن أكابر ممن أدرك: أن السلطان محموداً المذكورَ رأى النبيَّ ﷺ ثلاثَ مرات في ليلة واحدة، وهو يقول له في كل واحدة منها: يا محمود! أَنقذني من هذين، ويشير لشخصين أشقَرين تجاهه، فاستحضرَ وزيرَه قبل الصبح، فذكر له ذلك، فقال: هذا أمرٌ حدث في مدينة النبي ﷺ، ليس له غيرُك، فتجهَّز، وخرج على عَجَل بمقدار ألف راحلة، وما يتبعها من خيل، وغير ذلك، حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها، والوزيرُ معه، وزار، وجلس في المسجد لا يدري ما يصنع. فقال له الوزير: أتعرفُ الشخصين إذا رأيتَهما؟ قال: نعم، فطلب الناس علة الصدقة، وفرق عليهم ذهباً كثيراً وفضة، وقال: لا يبقينَّ أحدٌ بالمدينة إلا جاء، فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس، نازلان في الناحية التي تلي قِبْلَة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد، عند دار آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي تعرف الآن بدار العشرة، فطلبهما للصدقة، فامتنعا، وقالا: نحن على كفاية، ما نقبل شيئًا، فجدَّ في طلبهما، فجيءَ بهما، فلما رآهما، قال للوزير: هما ذان، فسألهما عن حالهما، وما جاءَ بهما، فقالا: لمجاورة النبي ﷺ، فقال: اصدُقاني، وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما، فأقرا أنهما من النصارى، وأنهما وصلا لكي ينقلا مَنْ في هذه الحجرة الشريفة المقدسة، باتفاق من ملوكهم، ووجدهما قد حفرا نقباً

تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة، ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه.

هكذا حدثني عمَّن حدثه، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة النبي ﷺ خارج المسجد، ثم أُحرقا بالنار آخر النهار، وركبَ متوجِّهاً نحو الشام، فصاح به من كان نازلاً خارج السور، واستغاثوا، وطلبوا أن يَبني عليهم سوراً يحفظ أبناءَهم وماشيتهم، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم، وذلك في سنة ثمان وخمسين، وكتب اسمه على باب البقيع، فهو باق إلى اليوم. انتهى كلام المطري ـ رحمه الله تعالى ـ، وقال في تاريخه المذكور قبل ذكر هذه الحادثة: إن تأليفه في آخر سنة أربعين وسبع مئة.

وفي «تاريخ المدينة الشريفة» للسيد الشريف نور الدين علي السمهودي: أن الملك العادل نور الدين أمر بإحضار رصاص عظيم، وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة كلها، وأُذيب ذلك الرصاص، وملئ به الخندق، فصار حول الحجرة رصاصاً إلى الماء رحمه الله، ورضي عنه.

وتوفي الملك العادل نور الدين صاحبُ الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الأربعاء، حادي عشر شوال، سنة تسع وستين وخمس مئة بعلة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة[1].

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ١٨٧).

ولقِّب بالشهيد؛ لما حصل لـه في حلقه من الخوانيق، وكذا يقال لأبيه: الشهيد، ويلقب بالقسيم، وكانت الفرنج تقول: القسيم بن القسيم.

ونقل عن جماعة من الصوفية ممن يعتمـد على قولهم: أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ الفرنج القدس، فسمعهم يقولون: إن القسيم لـه مع الله سر؛ فإنه ليس يظفر ويُنصر علينا بكثرة جنـده وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل.

وكان يقول: تعرضت للشهادة غيـر مرة، فلم يتفق لي ذلك، ولو كان فيّ خيرٌ، أو لي عند الله قيمة، لرزقنيها، والأعمال بالنية.

وقال لـه يوماً قطـبُ الدين النيسابـوري: بالله يامولانـا السلطان! لا تخاطر بنفسك؛ فإنك لو قتلتَ نفسك، قتلتَ جميع مَنْ معك، وفسد حال المسلمين، فقال له: اسكت يا قطب الدين، قولُك إساءةُ أدب على الله، ومن هو محمود؟! من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غيرُ الله الذي لا إله إلا هو، ومن هو محمود؟ فبكى من كان حاضراً[1].

وكان قد شرع يتجهز للدخول إلى مصر لأخذها من صلاح الدين، وكان يريد أن يخلي ابن أخيـه سيف الدين غازي بن مودود في الشام قبالة الفرنج، ويسير هو بنفسه إلى مصر، فأتاه أمرُ الله الذي لا مَرَدَّ له[2].

وكان نور الدين أسمر، طويل القامة، ليس له لِحية إلا في حنكه،

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٢٨٠).

(٢) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ٥٦).

حسنَ الصورة، وكان قد اتسع ملكُه جداً، وخُطب له بالحرمين واليمن لما ملكها توران شاه بنُ أيوب، وكذلك كان يُخطب له بمصر، وخُطب له في الدنيا على جميع منابر الإسلام، وبنى السُّبُل والمكاتب، ووقف على الحرمين وعلى عُربان درب الحجاز، وأقطع لهم الإقطاعات؛ كيلا يتعرضوا للحاج، وأكمل سور المدينة الشريفة، وأجرى لها العين التي تأخذ من أُحد عند قبر حمزة ﷺ، وطبَّق ذكرُه الأرض بحسن سيرته وعدله.

وكان من أهل الزهد والعبادة على قدم عظيم، وكان يصلي كثيراً من الليل.

كما قيل:

جمع الشجاعة والخشوع لربه

ما أحسن المحراب في المحراب

وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ﷺ، وليس عنده فيه تعصُّب، وهو الذي بنى أسوار المدن لما هدمت بالزلازل ـ كما تقدم ـ، وبنى المدارس الكثيرة: الشافعية، والحنفية.

ومحاسنه كثيرة لا تُحصى، وفضائله لا تُعد ولا تُحد ولا تُستقصى.

ولد عند طلوع شمس يوم الأحد، سابع عشر شوال، سنة إحدى عشرة وخمس مئة.

ولما مات دفن في بيت القلعة الذي كان يلازم الجلوس فيه، ثم

نقل إلى تربتـه بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخـواصين، وأهل دمشق يقولون: إن الدعاء عند قبره مستجاب، وقد جرب ذلك، فصح رحمه الله وعفا عنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

ذكر الملك الصالح

إسماعيل ابن السلطان نور الدين الشهيد

لما توفي الملك العادل نور الدين، قام ابنه الملك الصالح إسماعيل بالملك بعده، وعمـره إحدى عشرة سنة، وحلف لـه العسكرُ بدمشق، وأقام بها، وأطاعه صلاحُ الدين بمصر، وخطب له بها، وضربت السكَّة باسمه، وكان المتوليَ لتدبيـره وتدبير دولتـه الأميرُ شمس الدين محمد ابن عبد الملك المعروف بابن المقدم.

ولما مات نور الدين، وتملك ابنه الملك الصالح، سار من الموصل سيفُ الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي، وملكَ جميـعَ البلاد الجزريـة، واستمر الملكُ الصـالح بدمشق إلى أن حضـر صلاح الدين يوسف بن أيوب من مصر، وملكَ دمشقَ وحمص وحماة في سلخ ربيـع الأول، سنة سبعين وخمس مئـة ـ على ما يأتي شـرحـه في ترجمته ـ.

فسار الملك الصالح إلى حلب، فتبعه صلاح الدين، ووقع بينهم

وقائـع، ثم حصل الصلح، واتفـق الحـال على أن يكون لصلاح الدين ما بيده من الشـام، وللملك الصالح ما بقي بيده، فصالح صلاح الدين على ذلك، ورحل عن حلب في العشـر الأول من شوال، **سنـة سبعين وخمس مئـة**، واستقر الملك الصالح بحلب إلى حين وفاتـه، وأخذها عمه العزيز مسعود صاحبُ الموصل، ثم ملكها صلاح الدين، وسنذكر ذلك في ترجمته ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وتوفي الملك الصالح صاحبُ حلب في رجب، سنة سبع وسبعين وخمس مئة، وعمره نحو تسعَ عشرةَ سنة، ولما اشتد به مرض القولنج، وصف له الأطباء الخمر، فمات، ولم يستعمله.

وكان حليماً، عفيفَ اليد والفرج واللسان، ملازماً لأمور الدين، لا يعرف له شيء مما يتعاطاه الشباب، ووقع في قلوب الناس بسببه أمر عظيم، وتأسفوا عليه؛ لأنه كان محسناً محمود السيرة ـ رحمه الله ـ.

* * *

ذكر السلطان الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب وهو أول الملوك في الدولة الأيوبية

هو أبـو المظفـر، يوسفُ بنُ أيـوبَ بنِ شادي، صاحـبُ الديـار المصرية، والبلاد الشامية والفراتية والهيتية.

ولد بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئـة، لما كان أبوه وعمـه بها، وكان خروجهم منها في الليلة التي ولد فيها، فتشاءموا

به، وتطيَّروا منه، فقال بعضهم: لعل فيه الخيرة، وما تعلمون.

فكان كما قال، ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع.

ولما ملك نورُ الدين محمودُ بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المتقدم ذكره في ترجمته، لازم نجمُ الدين أيوبُ خدمته، وكذلك ولدُه صلاحُ الدين يوسف، ولم تزل محامل السعادة عليه لائحة، والنجابة له ملازمة، تقدمه من حالة إلى حالة، ونور الدين يرى له، ويؤثره، ومنه تعلم صلاحُ الدين طرائقَ الخير، وفعلَ المعروف والجهاد.

* **ذكرُ ملكِ أسدِ الدين مصر: في شهور سنة أربع وستين وخمس** مئة، في ربيع الأول، سار أسد الدين شيركوه بن شادي إلى ديار مصر، ومعه العساكر النورِيَّة، وسبب ذلك: تمكُّن الفرنج من البلاد المصرية، وتحكمهم على المسلمين بها، حتى ملكوا بلبيس قهراً في مستهل صفر من هذه السنة، ونهبوها، وقتلوا أهلها وأسروهم، ثم ساروا من بلبيس، ونزلوا على القاهرة عاشر صفر، وحصروها، فأحرق شاور وزيرُ العاضد مدينةَ مصر؛ خوفاً أن يملكها الفرنج، وأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة، فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً.

فأرسل العاضد الخليفةُ إلى نور الدين يستغيث به، وأرسل في الكتب شُعورَ النساء، وصانعَ شاوَرُ الفرنجَ على ألف ألف دينار يحملها إليهم، فحمل إليهم مئة ألف دينار، وسألهم أن يرحلوا عن القاهرة؛ ليقدر على جمع المال وحمله، فرحلوا.

وجهَّز نورُ الدين العسكر مع شيركوه، وأنفق فيهم المال، وأعطى شيركوه مئتي ألف دينار، سوى الثياب والدواب وغير ذلك، والأسلحة، وأرسل معه عدة أمراء، منهم: ابن أخيه صلاح الدين يوسفُ بنُ أيوب على كُره منه.

أحبَّ نور الدين مسيرَ صلاح الدين، وفيه ذهابُ الملك من بيته، وكره صلاحُ الدين المسيرَ، وفيه سعادتُه وملكُه، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾[البقرة: ٢١٦].

ولما قرب شيركوه من مصر، رحل الفرنج من ديار مصر على أعقابهم إلى بلادهم، فكان هذا لمصر فتحاً جديداً، ووصل أسدُ الدين شيركوه إلى القاهرة في رابع ربيع الآخر، واجتمع بالعاضد، وخلع عليه، وعاد إلى خيامه بالخلعة العاضدية، وأجرى عليه وعلى عساكره الإقامات الوافرة.

وشرع شاوَرُ يماطل شيركوه فيما كان بذله لنور الدين من تقرير المال، وإفراد ثلثي البلاد له، ومع ذلك، فكان شاورُ يركب كل يوم إلى أسد الدين شيركوه، ويَعِده، ويمنيه، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[النساء: ١٢٠]، ثم إن شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمرائه، ويقبض عليهم، فمنعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك.

ولما رأى عسكر نور الدين في شاور ذلك، عزموا على الفتك بشاور، واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف، وعز الدين جرديك، وغيرهما، وعَرَّفوا شيركوه بذلك، فنهاهم عنه، واتفق أنَّ شاورَ قصدَ

شيركوه على عادتـه، فلم يجده في المخيم، وكان قد مضى لزيارة قبـر الشـافعي ﵁، فلقي صـلاحُ الـدين وجرديكُ شـاورَ، وأعلمـاه برواح شيركوه إلى زيارة الشافعي، فساروا جميعاً إلى شيركوه، فوثب صلاح الدين وجرديك ومَنْ معهما على شاوَرَ، وألقوه إلى الأرض عن فرسه، وأمسكوه في سابع عشر ربيـع الآخر، **سنة أربع وستين وخمس مئـة**، فهرب أصحابه عنـه، وأرسلوا أعلموا شيركوه بما فعلوه، فحضر، ولم يمكنه إلا تمام ذلك.

وسمع العاضد الخبر، فأرسل إلى شيركوه يطلب منـه إنفاذ رأس شاور، فقتله، وأرسل رأسه إلى العاضد، ودخل بعد ذلك شيركوه إلى القصر عند العاضد، فخلع عليه خِلَعَ الوزارة.

ولُقِّب: الملكَ المنصورَ أميـرَ الجيـوش، وسـار بالخلـع إلى دار الوزارة، وهي التي كان فيها شاوَرُ، واستقر في الأمر، وكُتب له منشور بالإنشاء الفاضلي، أولـه ـ بعد البسملة ـ: من عبدالله ووليـه أبي محمد الإمامِ العاضدِ لدين الله أميرِ المؤمنين إلى السيد الأجلِّ الملكِ المنصورِ سلطانِ الجيوش، وليِّ الأئمة، مجيرِ الأمة أسدِ الدين أبي الحارث شيركوه العاضدي ـ عَضَدَ الله به الدين، وأمتعَ ببقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته، وأعلى كلمته ـ.

سلام عليك؛ فإنا نحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هـو، ونسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، وعلى آله الطاهرين، والأئمة المهديين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

ثم ذكر أمور تفويض الخلافة إليه، ووصايا.

وكتب العاضد بخطه على طرة المنشور: هذا عهدٌ لم نعهد لوزير بمثله، فتقلَّدْ أمانـةً رآك أميـرُ المؤمنين أهلاً لحملها، فخـذْ كتاب أميـر المؤمنين بقوة، واسحبْ ذيلَ الفخار بأن اعتزتْ خدمتُك إلى بُنُوة النُّبوة.

ومدح الشعراءُ أسد الدين، ووصل إليـه من الشـام مديح العمـاد الكاتب:

بِالجِـدِّ أَدْرَكْـتَ مَـا أَدْرَكْـتَ لا اللَّعِـبِ
كَـمْ رَاحَـةٍ جُنِيَـتْ مِـنْ دَوْحَـةِ التَّعَـبِ

يَا شِيرْكُوهُ بْنَ شَادِي المُلْكِ دَعْـوَةَ مَـنْ
نَـادَى فعـرف خَيْـرَ ابْـنٍ لِخَيْـرِ أَبِ

جَـرَى المُلُـوكُ وَمَاحَـازُوا بِرَكْـضِهِمُ
مِنَ المَدَى في العُلاَ مَا حُزْتَ بِالخَبَـبِ

تَمَـلَّ مِـنْ مُلْـكِ مِـصْرَ رُتْبَـةً قَـصُرَتْ
عَنْهَـا المُلُـوكُ فَطَالَـتْ سَـائِرَ الرُّتَـبِ

قَـدْ أَمْكَنَـتْ أَسَـدَ الـدِّينِ الفَرِيـسَةُ مِـنْ
فَـتْحِ البِـلاَدِ فَبَـادِرْ نَحْوَهَـا وَثِـبِ

وفي شيركوه وقتل شاور يقول عرقلة الدمشقي:

لَقَدْ فَازَ بِالْمُلْكِ العَقِيمِ خَلِيفَةٌ
لَهُ شِيركُوهُ العَاضِدِيُّ وَزِيرُ

هُوَ الأَسَدُ الضَّارِي الَّذِي جَلَّ خَطْبُهُ
وَشَاوَرُ كَلْبٌ لِلرِّجَالِ عَقُورُ

بَغَى وَطَغَى حَتَّى لَقَدْ قَالَ صَحْبُهُ
عَلَى مِثْلِهَا كَانَ اللَّعِينُ يَدُورُ

فَلاَ رَحِمَ الرَّحْمَنُ تُرْبَةَ قَبْرِهِ
وَلاَ زَالَ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ

وأما الكاملُ بنُ شاور، فلما قُتل أبوه، دخل القصر، فكان آخر العهد به.

ولما لم يبق لأسد الدين شيركوه منازعٌ، أتاه أَجله، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾[الأنعام: ٤٤].

وتوفي يوم السبت، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، سنة أربع وستين وخمس مئة، فكانت ولايته شهرين، وخمسة أيام.

* * *

ذكر مُلك صلاح الدين مصر

وكان شيركوه وأيوبُ ابنا شادي من بلد دُوين، وأصلُهما من

الأكراد، وكانا قصدا العراق، وخدما مهروز شحنة السلجوقية ببغداد، وجعل مهروزُ شيركوه مستحفظاً قلعة تكريت، ثم خدما عمادَ الدين زنكي، ثم ولدَه نور الدين محمود، وبقيا معه إلى أن أرسل شيركوه إلى مصر مرة بعد أخرى حتى ملكها، وتوفي في هذه السنة ـ على ما ذكرناه ـ.

ولما توفي شيركوه، كان معه صلاحُ الدين يوسفُ ابنُ أخيه أيوبَ ابنِ شادي، وكان قد سار معه على كره.

قال صلاح الدين: أمرني نور الدين بالمسير مع عمي شيركوه، وكان قد قال شيركوه بحضرته لي: تجهزْ يا يوسفُ، فقلت: والله! لو أُعطيت ملكَ مصر، ما سرت إليها، فلقد قاسيت بالإسكندرية ما لا أنساه أبداً، فقال لنور الدين: لا بدَّ من مسيره معي، فأمرني نورُ الدين، وأنا أستقيل، فقال نور الدين: لا بدَّ من مسيرك مع عمِّك، فشكوتُ الضائقة، فأعطاني ما تجهزتُ به، فكأنما أُساق إلى الموت[1].

فلما مات شيركوه، طلب جماعة من الأمراء النورية التقدم على العسكر، وولاية الوزارة العاضدية، منهم: عين الدولة الياروقي، وقطب الدين ينال المنبجي، وسيف الدين عليُّ بنُ أحمد المشطوب الهكاري، وشهاب الدين محمود الحازمي، وهو خال صلاح الدين، فأرسل العاضد، [و]أحضر صلاح الدين، وولاَّه الوزارة، ولقَّبه: الملك الناصر، فلم يُطعه الأمراء المذكورون، وكان مع صلاح الدين الفقيهُ عيسى الهكاري،

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ١٧).

فسعى مع المشطوب حتى أماله إلى صلاح الدين، ثم قصد الحازمي، وقال: هذا ابنُ أختك، وعزُّه وملكُه لك، فمال إليه - أيضاً -، ثم فعل بالباقين كذلك، فكلهم أطاع، غير عين الدولة الياروقي؛ فإنه قال: أنا لا أخدم يوسف، وعاد إلى نور الدين بالشام، وتثبت قدمُ صلاح الدين على أنه نائبٌ لنور الدين، يخطب له على المنابر بالديار المصرية.

وكتب إليه نورُ الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه، وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية، فلم يلتفت الناصر لذلك، وكان نور الدين يكاتب صلاحَ الدين بالأمير الأسفر سلار، ويكتب علامته على رأس الكتاب؛ تعظيماً عن أن يكتب اسمه، وكان لا يفرده بكتاب، بل إلى الأمير صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا.

وأرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أباه أيوبَ وأهلَه؛ ليتم له السّرور، وتكون قضيته مشاكلة لقضية يوسف الصديق - عليه السلام -، فأرسلهم إليه نور الدين، فوصل والده إليه في جمادى الآخرة، سنة خمس وستين وخمس مئة، وسلك مع والده من الأدب ما جرت به عادته، وألبسَه الأمرَ كله، فأبى أن يلبسه، وقال: يا ولدي! ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفؤ له، ولا ينبغي تغيير موضع السعادة، فحكَّمه في الخزائن كلها، ولم يزل وزيراً حتى مات.

وكان من إخوة صلاح الدين: شمس الدولة توران شاه بن أيوب، وهو أكبر من صلاح الدين، فلما أراد أن يسيره إلى مصر، قال له نور الدين: إن كنت تنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان في خدمتك وأنت

قاعد، فلا تَسِرْ؛ فإنك تفسد البلاد، فأحضرك حينئذ، وأعاقبك بما تستحقه، وإن كنت تنظر إليه صاحبَ مصر، وقائماً مقامي تخدمه بنفسك كما تخدمني، فسرْ إليه، واشدُدْ أصره، وساعده على ما هو بصدده، فقال: أفعل معهُ من الخدمة والطاعة ما يتصل بك، فكان معه كما قال.

وأعطاهم صلاح الدين الإقطاعات بمصر، فتمكن من البلاد، وضعف أمر العاضد، ولما فوض الأمر إلى صلاح الدين، تاب عن شرب الخمر، وأعرض عن أسباب اللهو، وتقمّص لباس الجدّ، وداوم على ذلك إلى أن توفاه الله تعالى.

وفي سنة خمس وستين وخمس مئة: سار الفرنج إلى دمياط، وحصروها، وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر، وأخرج على ذلك أموالاً عظيمة، فحصروها خمسين يوماً، وخرج نور الدين، فأغار على بلادهم بالشام، فرحلوا عائدين على أعقابهم، ولم يظفروا بشيء منها.

قال صلاح الدين: ما رأيت أكرمَ من العاضد، أرسل إليَّ مدةَ مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرية، سوى الثياب وغيرها[1].

وفي سنة ست وستين وخمس مئة: سار صلاح الدين عن مصر، فغزا بلاد الفرنج قرب عسقلان والرملة، وعاد إلى مصر، ثم خرج إلى

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ٢٣).

أيلة، وحصرها، وهي للفرنج على ساحل البحر الشرقي، ونقل إليها المراكب، وحصرها براً وبحراً، وفتحها في العَشر الأول من ربيع الآخر، واستباح أهلها وما فيها، وعاد إلى مصر.

ولمّا استقر صلاح الدين بمصر، كان بها دار للشحنة تسمى: دار المعرية يحبس فيها، فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية، وكذلك بنى دار العزل مدرسة للشافعية، وعزل قضاة المصريين، وكانوا شيعة ورتب قضاة شافعية، وذلك في العشرين من جمادى الآخرة.

وكذلك اشترى تقيُّ الدين عمر ابن أخي صلاح الدين منازل العز، وبناها مدرسة للشافعية.

وتوفي القاضي ابن الجلال من أعيان الكتاب المصريين وفضلائهم، وكان صاحب ديوان الإنشاء بها.

*** ذكر إقامة الخطبة العباسية بمصر، وقُطعت خطبة العاضد لدين الله، وانقرضت الدولة العلوية الفاطمية:**

وكان سبب الخطبة العباسية بمصر: أنه لما تمكن صلاح الدين من مصر، وحكم على القصر، وأقام فيه قراقوش الأسدي، وكان خصيّاً أبيض، وبلغ نورَ الدين ذلك، أرسل إلى صلاح الدين يأمره حتماً جزماً بقطع خطبة العلويين، وإقامة الخطبة العباسية، فراجعهُ صلاح الدين في ذلك خوفَ الفتنة، فلم يلتفت نور الدين إلى ذلك، وأصرَّ عليه.

وكان العاضد قد مرض، فأمر صلاحُ الدين الخطباء أن يخطبوا

للمستضيء، ويقطعوا خطبة العاضد، فامتثلوا ذلك، ولم ينتطح فيها عنزان، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر من سنة تسع وخمسين وثلاث مئة في خلافة المطيع العباسي، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز الفاطمي باني القاهرة إلى هذا الآن، وذلك مئتا سنة وثمان سنين.

وكان العاضد قد اشتد مرضه، فلم يُعلمهُ أحدٌ من أهله بقطع خطبته، فتوفي العاضد يوم عاشوراء، سنة سبع وستين وخمس مئة، ولم يعلم بقطع خطبته.

ولما توفي العاضد، جلس صلاح الدين للعزاء، واستولى على قصر الخلافة، وعلى جميع ما فيه، وكان كثرتهُ تخرج عن الإحصاء، وكان فيه أشياء نفيسة من الأعلاق المثمنة، والكتب والتحف، فمن ذلك الحبل الياقوت، وكان وزنهُ سبعةَ عشرَ درهماً، أو سبعةَ عشرَ مثقالاً.

وقيل: أنه كان بالقصر طبلٌ للقولنج، إذا ضرب الإنسان به، ضرط، فكسر، ولم يعلموا به إلا بعد ذلك.

ونقل صلاح الدين أهل العاضد إلى موضع من القصر، ووكل بهم من يحفظهم، وأخرج جميع من فيه من عبد وأمة، فباع البعض، وعتق البعض، ووهب البعض، وخلا القصر من سكانه كأن لم يغن بالأمس.

ولما اشتد مرض العاضد، أرسل إلى صلاح الدين يستدعيه، فظن ذلك خديعة، فلم يمض إليه، فلما توفي، علم صدقه، فندم؛ لتخلفه عنه.

ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر إلى بغداد، ضربت لها البشائر عدة أيام، وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل، وهو من خواص الخدم المقتفوية إلى نور الدين، وصلاح الدين، والخطباء، وسيرت الأعلام السود.

وجرى بين نور الدين وصلاح الدين [من] الوحشة في الباطن:

وكان الحادث: أن نور الدين أرسل إلى صلاح الدين يأمره أن يجمع العساكر المصرية، ويسير بها إلى الفرنج، والنزول على الكرك، ويحاصره؛ ليجمع هو ـ أيضاً ـ، عساكره ويسير إليه، ويجتمعا هناك على حرب الفرنج، والاستيلاء على بلادهم.

فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم، **سنة سبع وستين وخمس مئة**، وكتب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر، وكان نور الدين قد جمع عساكره، وتجهز، وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل.

فلما أتاه الخبر بذلك، رحل عن دمشق عازماً على قصد الكرك، فوصل إليه، وأقام ينتظر وصول صلاح الدين إليه، فأتى منه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد، وأنه يخاف عليها من البعد عنها، فعاد إليها، فلم يقبل نور الدين عذره.

وكان سبب تقاعده: أن أصحابه وخواصه خَوَّفوه من الاجتماع بنور الدين، فحيث لم يمتثل أمر نور الدين، شق ذلك عليه، وعظم عنده،

وعزم على الدخول إلى مصر، وإخراج صلاح الدين عنها، فبلغ صلاحَ الدين الخبر، فجمع أهله، وفيهم والده نجمُ الدين أيوب، وخاله شهابُ الدين الحازمي، ومعهم سائر الأمراء، فأعلمهم ما بلغه عن نور الدين، وعزمه على قصده، وأخذِ مصر منهُ، واستشارهم، فلم يجبهُ أحد منهم بشيء، فقام تقيُّ الدين عمـر ابن أخي صلاح الدين، وقال: إذا جاءنا، قاتلناه، وصددناه عن البلاد، ووافقـه غيرُه من أهله، فشتمهم نجم الدين أيوب، وأنكر عليهم ذلك، واستعظمه، وكان ذا رأي وفكر وعقل، وقال لتقي الدين: اقعد، وشتمه وسبه، وقال لصلاح الدين: أنا أبوك، وهذا شهاب الدين خالك، انظر لعل في هؤلاء من يحبك مثلنـا، ويريـد لك الخير مثلنا؟ قال: لا، فقال: والله! لو رأيت أنا وخالك هذا نورَ الدين، لم يمكنا إلا الترجُّلُ له، وتقبيل الأرض بين يديه، ولو أمرنا أن نضرب عنقَك بالسيف، لفعلنا، فإذا كنا نحن هكذا، فكيف يكون غيرنا؟ وكل من تـراه من الأمـراء والعساكـر لو رأى نـورَ الدين وجـده، لم يتجاسر على الثبات في سرجه، وما وسعه إلا النزولُ وتقبيل الأرض بين يديه، وهذه البلاد لـه، وقـد أقامك فيها، وإن أراد عزلك، فأي حاجة له إلى المجيء بنفسـه يأمرك بكتاب مـع نجـاب حتى تقصـد خدمتـه، ويولي بلاده من يريد.

وقال للجماعة كلهم: قوموا عنا، ونحن مماليكُ نور الدين وعبيدُه، يفعل بنا ما يريد، فتفرقوا على هذا، وكتب أكثرهم إلى نور الدين يعلمه بالخبر.

ولمَّا خلا نجمُ الدين أيوب بولده صلاح الدين، قال له: أنت جاهل قليل المعرفة، تجمع هذا الجمع الكثير، وتطلعهم على ما [في] نفسك! فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه البلاد، جعلك أهم الأمور إليه، وأولاها بالقصد، فلو قصدك، لم تر معك أحداً من هذا العسكر، وكانوا يسلموك إليه، وأمّا الآن بعد هذا المجلس، فسيكتبون إليه، ويعرفونه قولي، فتكتب إليه أنت، وترسل في المعنى، وتقول: أي حاجة إلى قصدي يجيء نجاب يأخذني بحبل في عنقي، فهو إذا سمع هذا، عدل عن قصدك، واستعمل ما هو أهم عنده، والأيام تندرج، والله ﷻ كلَّ يوم هو في شأن.

ففعل صلاح الدين ما أشار به والده، فلما رأى نور الدين الأمر هكذا، عدل عن قصده، وكان الأمر كما ذكر نجم الدين والدُه، ومات نورُ الدين ولم يقصده، وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها[1].

وفي سنة ثمان وستين وخمس مئة: سار صلاح الدين من مصر إلى الكرك، وحصرها، وكان قد وعد نورَ الدين أن يجتمعا على الكرك، وسار نور الدين من دمشق حتى وصل إلى الرقيم، وهو بالقرب من الكرك، فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين، فرحل عن الكرك عائداً إلى مصر، وأرسل تحفاً إلى نور الدين، واعتذر أن أباه أيوبَ مريض، ويخشى أن يموت، فتذهب مصر، فقبل نور الدين عذره في

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ٣٦).

الظاهر، وعلم المقصود.

ولما وصل صلاح الدين إلى مصر، وجد أباه أيوب قد مات، وكان سبب موته: أنه ركب بمصر، فنفرت به فرسه، فوقع، وحُمِل إلى قصره، وبقي أياماً، ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة، **سنة ثمان وستين وخمس مئة**.

وكان أيوب خيِّراً عاقلاً، حسن السيرة، كريماً، كثير الإحسان، وكان يُلَقَّب نجم الدين أبو شاكر أيوب ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ ودفن إلى جانب أخيه شيركوه، ثم نُقلا بعد سنتين إلى المدينة الشريفة ـ على ساكنها الصلاة والسلام ـ.

وفي سنة تسع وستين وخمس مئة: وكان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين، فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر؛ بحيث إن قصدهم نور الدين، قاتلوه، فإن هزمهم، التجؤوا إلى تلك المملكة، فجهز صلاح الدين أخاه توران شاه إلى النوبة، فلم تعجبهم بلادها.

ثم سيَّره في هذه السنة بعسكر إلى اليمن، وكان صاحبها عبد النبي، فجرى بينهما قتال، وانتصر توران شاه، وهزم عبد النبي، وهجم زَبيد، وملكها، وأسر عبد النبي، ثم قصد عدن، فملكها، واستولى على بلاد اليمن، واستقرت في ملك صلاح الدين.

وفي هذه السنة صَلب صلاح الدين جماعة من المصريين، وقتلهم؛ فإنهم قصدوا الوثوب عليه، وإعادة الدولة العلوية، طلبهم، وصلبهم

عن آخرهم، منهم: عبد الصمد الكاتب، والقاضي العويرس، وداعي الدعاة، وعمارة بن علي اليمني الشاعر الفقيه، وغيرهم من أعيان المصريين.

وفي هذه السنة: توفي الملك العادل نور الدين ـ رحمه الله تعالى ـ كما تقدّم في ترجمتهِ.

وخَلَفه بعده في الملك ولدُه الملكُ الصالح إسماعيل ـ كما تقدّم في ترجمته أيضاً ـ، فقصد الملك صلاحُ الدين دمشق، وكان الملك الصالح قد توجه لحلب؛ ليكون مقامه بها، فلما وصل صلاح الدين إلى دمشق، خرج كلُّ مَنْ بها من العسكر، والتقوه وخدموه، ونزل بدار والده المعروفة بدار العقيقي، وعصت عليه القلعة، وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم يسمى: ريحان، فراسله صلاح الدين، واستماله، فسلم القلعة إليه، فصعد إليها صلاح الدين، وأخذ ما فيها، وثبت قدمه، وقرر أمر دمشق، وكان دخوله إليها في سلخ ربيع الأول، **سنة سبعين وخمس مئة**.

وسار إلى حمص في مستهل جمادى الأولى، وملكها في حادي عشر جمادى الأولى، ورحل إلى حماة، فملك مدينتها في مستهل جمادى الآخرة، وكان بقلعتها الأمير جرديك أحدُ المماليك النورية، فامتنع في القلعة، فذكر له صلاح الدين أنهُ ليس لنا غرض سوى حفظ بلاد الملك الصالح عليه، وإنما هو نائبهُ، ثم مَلَكَ القلعة.

ثم سار صلاح الدين إلى حلب، وحصرها، وبها الملك الصالح

ابن نور الدين، فجمعَ أهلَ حلب، وقاتلوا صلاح الدين، وصدّوه عن حلب، واستمر صلاح الدين محاصراً لحلب إلى مستهل رجب، ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حمص، ووصل صلاحُ الدين إلى حماة ثامن رجب، وسار إلى حمص، فرحل الفرنجُ عنها، ثم سار إلى بعلبك، فملكها.

فلما تمَّ ملكُ صلاح الدين لهذه البلاد، أرسل الملكُ الصالح إلى ابن عمه سيف الدين غازي صاحبِ الموصل يستنجده على صلاح الدين، فجهَّز جيشاً صحبة أخيه عز الدين مسعود، وانضم إليهم عسكر حلب، وساروا إلى صلاح الدين، فأرسل صلاح الدين يبذل حمص وحماة، وأن تُقر بيده دمشق، ويكون فيها نائباً للملك الصالح، فلم يجيبوه إلى ذلك، وساروا إلى قتاله، واقتتلوا عند قرون حماة، فانهزم عسكر الموصل وحلب، وغَنِمَ صلاح الدين وعسكره أموالهم، وتبعهم حتى حصرهم في حلب، وقطع صلاح الدين حينئذ خطبة الملك الصالح ابن نور الدين، وأزال اسمه عن السكة، واستبدَّ بالسلطنة، فراسلوا صلاح الدين في الصلح، على أن يكون له ما بيده من الشام، وللملك الصالح ما بقي بيده منه، فصالحهم على ذلك، ورحل عن حلب في العشر الأول من شوال، **سنة سبعين وخمس مئة**.

ثم غزا صلاح الدين قلعة بازين، وأخذها من صاحبها، وملك بزاعة، وتسلمها، ثم سار إلى مَنْبج، فحصرها، وفتحها عَنوة.

ثم عاد صلاح الدين إلى مصر، فوصل إليها في **سنة اثنتين وسبعين**

وخمس مئـة، وأمر ببناء السور على مصر والقاهرة، والقلعة التي على جبل المقطَّم، ودور ذلك تسعة وعشرون ألف ذراع، وثلاث مئـة ذراع بالذراع الهاشمي، ولم يزل العمل فيه إلى أن مات صلاح الدين.

وفي هـذه السنـة أمـر صلاح الدين ببناء المدرسـة التي على قبـر الشافعي بالقرافة بمصر، وعمل بالقاهرة بيمارستان[1].

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمس مئـة: في جمادى الأولى، سار السلطان صلاح الدين من مصر إلى ساحل الشام لغـزو الفرنج، فوصل إلى عسقلان في الرابع والعشرين من الشهر، فنهب، وتفرق عسكره في الإغـارة، وبقي السلطان في بعض العسكر، فلم يشعـر إلا بالفرنج قـد طلعت عليه، فقاتلهم أشدَّ قتال، فمضى منهزماً إلى مصر على البريـة، وأخذت الفرنج العسكر الذين تفرقـوا، وأُسر الفقيـه عيسى، وكان من أكبر أصحاب السلطان صلاح الدين، فافتـداه من الأسر بعد سنتين بستين ألف دينار، ووصل السلطان إلى القاهرة في نصف جمادى الآخرة.

وسار الفرنج، وحصروا حماة في جمادى الأولى، وطمعوا بسبب بُعد السلطان بمصر وهزيمتـه، ثم جـد المسلمون في القتال حتى رحل الفرنج من مدينة حماة.

وفي سنة سبع وسبعين وخمس مئة: توفي الملك الصالح إسماعيل ابن نور الدين صاحبُ حلب، وأوصى بملك حلب إلى عمـه عز الدين

---

(١) في الأصل: «المرستان».

مسعود، فاستقر به، ثم استقر بحلب عماد الدين زنكي بن مودود صاحبُ سنجار، واستقر مسعود بسنجار بتراضيهما.

ثم في سنة ثمان وسبعين وخمس مئة: في خامس المحرم، سار الملك صلاح الدين عن مصر إلى الشام.

ومن عجيب الاتفاق: أنه لما سار، برز من القاهرة، وخرجت أعيان الناس لوداعه، أخذ كل منهم يقول شيئاً في الوداع وفراقه، وفي الحاضرين معلِّم لبعض أولاد السلطان، فخرج من بين الحاضرين وأنشد:

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

فتطير صلاحُ الدين، وانقبض بعد انبساطه، وتنكَّد المجلس على الحاضرين، فلم يَعُدْ صلاح الدين بعدها إلى مصر طولَ المدة.

وسار صلاح الدين في طريقه على بلاد الفرنج، وغنم، ووصل إلى دمشق في حادي عشر صفر من السنة المذكورة.

*** ذكر ما وقع للسلطان صلاح الدين بعد وصوله إلى دمشق في هذه السنة:**

سار السلطان صلاح الدين من دمشق في ربيع الأول، ونزل قرب طبرية، وسَيَّر الإغارةَ على بلاد الفرنج؛ مثل: بَيسان، وجنين، والغور، فغنم، وقَتل، وعاد إلى دمشق.

ثم سار إلى بيروت، وحصرها، وأغار على بلادها، ثم عاد إلى دمشق.

ثم سار إلى بلاد الجزرية، وعبر الفرات من البيرة، ونازل الرها، وحصرها، وملكها.

ثم سار إلى الرقة، وأخذها من صاحبها.

ثم سـار إلى الخابـور، وملك فـرقيسـا، وماليسـين، وعـريـان، والجابـور.

ثم سار إلى نصيبين، وحاصرها، وملك المدينة والقلعة، ثم حاصر سنجار، وملكها.

وفي سنة تسع وسبعين وخمس مئة: ملك السلطان صلاح الدين حصن آمد بعد قتال وحصار في العشر الأول من المحرم.

ثم سار إلى الشام، وقصد تلَّ خالد من أعمال حلب، وملكها.

ثم سار إلى عين تاب، وحصرها وملكها، بتسليم صاحبها.

ثم سار إلى حلب، وحصرها، وبها صاحبها عمادُ الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن أَقْسنقر، فأجاب السلطانَ صلاح الدين إلى تسليم حلب، على أن يعوض عنها سنجار، ونصيبين، والخابور، والرقة، وسروج، واتفقوا على ذلك، وسلم حلب إلى السلطان في صفر من هذه السنة، فكان يُنادي[1] أهل حلب على عماد الدين زنكي المذكور: يا حمار، بعتَ حلب بسنجار!

---

(١) في الأصل: «ينادون».

ومن عجيب الاتفاق: أن محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح السلطان بقصيدة، منها:

وَفَتْحُكُمْ حَلَباً بِالسَّيْفِ فِي صَفَرٍ
مُبَشِّرٌ بِفُتُوحِ القُدْسِ فِي رَجَبِ

فكان فتحُ القدس في رجب، سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة.

ولما فرغ السلطان من تقرير أمر حلب، جعل فيها ولدَه الملكَ الظاهر غازي.

ثم تجهز إلى الكرك، وأرسل إلى نائبه بمصر، وهو أخوه الملك العادل أبو بكر أن يلاقيه إلى الكرك، فسار إليها، ثم رحل عنها في منتصف شعبان.

وأرسل السلطانُ ابنَ أخيه الملكَ المظفر تقيَّ الدين عمر إلى مصر نائباً عنه موضعَ الملك العادل، وأعطى أخاه أبا بكر العادلَ مدينة حلب وقلعتَها وأعمالها، وأحضر ولده الظاهر منها إلى دمشق.

ثم في سنة ثمانين وخمس مئة: غزا السلطان الكَرَك، وضيَّق على من به، وملك رَبَضَ الكرك، وبقيت القلعة، وحصل بين المسلمين والفرنج القتال، فرحل عنها، وسار إلى نابلس، وأحرقها، ونهب ما بتلك النواحي، وقتل وأسر وسبى، وعاد إلى دمشق.

وفي سنة إحدى ثمانين وخمس مئة: ملك السلطان صلاح الدين مَيَّا فارقين.

وفي سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة: أحضر السلطان ولدَه الملك الأفضل من مصـر، وأقطعـه دمشق، ثم أحضر أخاه العادل من حلب، وجعل ولدَه العزيزَ عثمان نائباً عنه بمصر، واستدعى تقيَّ الدين من مصر، وزاده على حمـاة: منبج، والمعرَّة، وكفر طاب، وميَّـا فارقين، وجبل جوز بجميع أعمالها، واستقر العزيز عثمان والعادل في مصر، ولما أخذ السلطان حلب من أخيه العادل، أقطعه عوضَها حرانَ، والرها.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة:

*** ذكر غزوات السلطان الملك الناصر صلاح الدين وفتوحاته في هذه السنة:**

جمع السلطان العساكر، وسار بفرقة من العسكر، وضايق الكرك؛ خوفاً على الحاجِّ من صاحب الكَرَك، وأرسل فرقة أخرى مـع ولده الملكِ الأفضل، فأغاروا على بلد عكا وتلك النواحي، وغنموا شيئاً كثيراً، ثم سار السلطان، ونزل على طبريَّة، وحصر مدينتها، وفتحها عنوة بالسيف، وأخرب القلعة.

*** ذكر وقعة حطين:**

وهي الوقعة العظيمة التي فتح الله بها الساحل، وذلك أنه لما فتح السلطان مدينـة طبرية، اجتمع الفرنج في ملوكهم بفارسهم وراجلهم، وساروا إلى السلطان، فركب السلطان من عنـد طبريـة وسار إليهم يوم السبت، لخمسٍ بقين من ربيـع الآخـر، والتقى الجمعـان، واشتد بهم

القتال، ونصر الله المسلمين، وأحدقوا بالفرنج من كل ناحية، وأبادهم قتلاً وأسراً، وما أصيب الفرنج من حين خرجوا إلى الشام في سنة إحدى وتسعين وأربع مئة وإلى الآن بمصيبة مثل هذه الوقعة.

ثم عاد السلطان إلى طبرية، وفتح قلعتها بالأمان، ثم فتح عكا بالأمان، ثم أرسل أخاه الملك العادل، فنازل مجدل يابا[1]، وفتحها عنوة بالسيف، ثم فرق السلطان عسكره، ففتحوا الناصرة، وقيسارية، وحيفا، وصفورية، ومعلثا، والفُولة، وغيرها من البلاد، وغنموا وقتلوا وأسروا.

وأرسل فرقة إلى نابلس، فملكوا قلعتها بالأمان.

ثم أرسل الملك العادل إلى يافا، وفتحها عنوة بالسيف، ثم سار إلى صيدا، فأخلاها صاحبُها، وتسلمها السلطان ساعةَ وصوله، لتسع بقين من جمادى الأولى.

ثم سار إلى بيروت، فحصرها، وتسلَّمها في التاسع والعشرين[2] جمادى الأولى بالأمان، وتسلم جبيل، وأطلق صاحبَها، ولم تك عاقبةُ إطلاقه حميدة؛ فإنه كان من أعظم الفرنج، وأشدِّهم عداوة للمسلمين.

ثم سار السلطان إلى عسقلان، وحاصرها أربعة عشر يوماً، وتسلمها بالأمان سلخ جمادى الآخرة.

---

(١) في الأصل: «مجد اليابا».

(٢) في الأصل: «تاسع عشرين».

ثم بث السلطان عسكره، ففتحوا الرملة، والداروم، وغزة، وبيت لحم، وبيت جبريل، والبطرون، وغير ذلك.

ثم سار السلطان، ونازل القدس، وبه من النصارى عددٌ يفوت الحصر، وضايق السلطان السور بالنقَّابين، واشتد القتال، وعلَّقوا الستور، وطلب الفرنج الأمان، فلم يجبهم السلطان إلى ذلك، وقال: **لا آخذها إلا بالسيف، مثل ما أخذها الفرنج من المسلمين،** فعاودوه في الأمان، وعرَّفوه ما هم عليه من الكثرة، وأنهم إن أيسوا من الأمان، قاتلوا خلاف ذلك، فأجابهم السلطان إليه بشرط أن يؤدي كلٌّ من بها عشرة دنانير عشرة دنانير من الرجال، وتؤدي النساء خمسة خمسة، ويؤدى عن الطفل دينارين، وأي من عَجَز عن الأداء كان أسيراً، فأجيب إلى ذلك، وسلِّمت إليه المدينة يوم الجمعة، في السابع والعشرين من رجب، سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، وكان يوماً مشهوداً، ورفعت الأعلام الإسلامية على أسواره، ورتب السلطان على أبواب البلد من يقبض منهم المال المذكور.

وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مُذَهَّب، وتسلق المسلمون وقلعوه، فسُمع لذلك ضجة لم يُعهد مثلُها من المسلمين للفرح والسرور.

وكان بيت المقدس في أيدي الفرنج من يوم الجمعة، لسبعٍ بقين من شعبان، سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة ـ كما تقدم في ترجمة المستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر ـ وكان الفرنج قد عملوا في غربي الجامع الأقصى هرباً ومستراحاً، فأمر السلطان بإزالة ذلك، وإعادة الجامع إلى ما كان عليه.

وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد عمل منبراً بحلب، وتعب عليه مدة، وقال: هذا لأجل القدس الشريف، فأرسل السلطان صلاح الدين [مَنْ] أحضر المنبر من حلب، وجعله في الجامع الأقصى.

وأقام السلطان بعد فتوح القدس بظاهره إلى الخامس والعشرين من شعبان، يرتب أمور البلد وأحواله، وتقدم بعمل الربُط والمدارس الشافعية.

ثم رحل السلطان إلى عكا، ثم إلى صور، وحاصرها، وطال الحصار، فرحل السلطان، وأقام بعكا، وأعطى العساكر الدستور، فسار كل واحد إلى بلده، وبقي السلطان بعكا، وأرسل إلى هوبين، ففتحها بالأمان.

وفي سنة أربع وثمانين وخمس مئة: شنَّ الغارات على بلاد الفرنج، وسار إلى جَبْلة، وتسلَّمها، وسار إلى اللاذقية، ولها قلعتان، فتسلم القلعتين، ثم سار إلى صِهْيَون، فتسلمها بالأمان، ثم فرق عساكره، فملكوا حصن بلاطنس، وحصن العبد، وحصن الجماهرتين، ثم سار إلى قلعة بكاس، وأخذها، وهدم الحصن، ثم سار إلى برزية، وملكها بالسيف، وسبى وأسر، وقتل أهلها، ثم سار إلى دربساك، وتسلمها بالأمان، ثم سار إلى بغراس، وتسلمها بالأمان، وأخذ أنطاكية، وكان صاحبها أعظم ملوك الفرنج، وأهل طرابلس سلموها إليه، وأرسل أهلُ الكرك يطلبون الأمان، وكان خَلَّى أخاه الملك العادل في تلك الجهات،

فأمر الملكُ العادل المباشرين لحصارها بتسلمها[1]، فتسلموا الكرك، والشوبك، وما بتلك الجهات من البلاد.

ثم سار السلطان من دمشق إلى صفد، فحصرها، وتسلمها بالأمان، ثم سار إلى كوكب، وتسلمها بالأمان.

ثم سار السلطان إلى القدس، فعيَّد فيه عيد الأضحى، ثم سار إلى عكا، فأقام بها حتى انسلخت السنة.

ثم وقع للسلطان بعد ذلك غزوات ووقعات مع الفرنج يطول شرحها.

وفي سنة سبع وثمانين وخمس مئة: رأى السلطان تخريب عسقلان مصلحة؛ لئلا يأخذها الفرنج، فسار إليها، وأخلاها، وأخربها، فدكها إلى الأرض، ثم رحل عنها ثاني عشر رمضان إلى الرملة، فخرب حصنها، وخرب كنيسة لُدّ، ثم سار إلى القدس، وقرر أموره، وعاد إلى مخيمه بالبطرون، ثم سار إلى القدس، لسبعٍ بقين من ذي القعدة، ونزل داخل البلد، واستراحوا مما كانوا فيه، وأخذَ السلطان في تعمير القدس وتحصينه، وأمر العسكر بنقل الحجارة، وكان السلطان ينقل الحجارة بنفسه على فرسه؛ ليقتدي به العسكر، فكان يُجمع عند العمال[2] في اليوم الواحد ما يكفيهم لعدة أيام.

---

(١) في الأصل: «بتسليمها».

(٢) في الأصل: «العمالين».

وتوفي تقيُّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في بلاد الأكراد، في يوم الجمعة، لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان، سنة سبع وثمانين وخمس مئة، فأخفى ولدُه المنصور وفاته، ووصل به إلى حماة، ودفنه بظاهرها، واتفق أن في ليلة تلك الجمعة توفي حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، وأمُّه ستُّ الشام بنتُ أيوب أختُ السلطان، فأصيب السلطان في تاريخ واحد بابن أخيه، وابن أخته، واستقر الملك المنصور بيده حماة بشفاعة الملك العادل.

وفي سنة ثمان وثمانين وخمس مئة: سار الفرنج إلى عسقلان، وشرعوا في عمارتها في المحرم، والسلطان بالقدس، ثم حصل الصلح والمهادنة بين السلطان وبين الفرنج بسفارة جماعة من أعيان جماعة السلطان، وعقدت هدنة عامة في البحر والبر، وجُعلت مدتها ثلاث سنين وثلاثة أشهر، أولها أيلول الموافق لحادي وعشرين شعبان.

وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وعملها، وقيسارية، وأرسوف، وعكا، وأعمال ذلك، وأن تكون عسقلان خراباً، واشترط السلطان دخول بلاد الإسماعيلية في عقد هدنته، واشترط الفرنج دخول صاحب أنطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم، وأن تكون لُدّ والرمْلَة مناصفة بينهم وبين المسلمين، فاستقرت القاعدة على ذلك.

ثم رحل السلطان إلى القدس، في رابع شهر رمضان، وتفقد أحواله، وأمر بتشييد أسواره، وزاد في وقف المدرسة التي عملها

بالقدس، وهذه المدرسة كانت قبل الإسلام تعرف بصندحَنَّة، يذكرون أن فيها قبر حَنَّة أُمِّ مريم، صارت في الإسلام دارَ عِلم، وهي المعروفة بالمدرسة الصلاحية، بالقرب من باب الأسباط، وله بالقدس ـ أيضاً ـ خانقاه، وهي المعروفة بدار البطرك، مركبة على ظهر كنيسة قمامة، وبيمارستان بالقرب من قمامة، وغير ذلك من الأوقاف والخيرات.

ثم رحل السلطان عن القدس؛ لخمسٍ مضين من شوال، ودخل إلى دمشق يوم الأربعاء، لخمس بقين من شوال، سنة ثمان وثمانين وخمس مئة، وفرح الناس به؛ لأن غيبته كانت عنهم مدة أربع سنين، وأقام العدل والإحسان بدمشق، وفرق العساكر، وودَّعه أقاربه، وتوجه كل إلى وطنه.

ومحاسن السلطان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ ومناقبه كثيرة لا يمكن حصرها.

*** ذكر وفاة السلطان صلاح الدين وبعض سيرته:**

فحصل للسلطان توعُّك، وهو أنه لحقه ليلةَ السبت سادس عشر صفر كسلٌ عظيم، وغشيه نصفَ الليل حُمَّى صفراوية، وأخذ المرض في التزايد، وحدث به في السابع رعشة، وغاب ذهنه، واشتد الإرجاف في البلد، وغشي الناسَ من الحزن والبكاء عليه ما لا يمكن شرحه، واشتد به المرض ليلة الثاني عشر من مرضه، وهي ليلة السابع والعشرين من صفر، وتوفي السلطان في الليلة المذكورة، وهي المسفِرة عن نهار

الأربعاء سنة تسع وثمانين وخمس مئة، بعدَ صلاة الصبح .

وغسله الفقيه الدولعي خطيبُ دمشق، وأُخرج بعد صلاة الظهر من نهار الأربعاء المذكور في تابوت مسجًّى بثوب، وجميع ما احتاجه من الثياب في تكفينه، أحضره القاضي الفاضل من جهة حِلّ عَرَفَه، وصلى عليه الناس، ودفن في قلعة دمشق، في الدار التي كان مريضاً فيها، وكان نزوله إلى قبره وقت صلاة العصر من النهار المذكور.

وأرسل الملك الأفضل الكتبَ بوفاة والده إلى أخيه العزيز عثمان بمصر، وإلى أخيه الظاهر غازي بحلب، وإلى عمه العادل أبي بكر بالكرك.

ثم إن الملك الأفضل عمل لوالده تربة قرب الجامع، وكانت داراً لرجل صالح، ونقل إليها السلطان يوم عاشوراء، سنة اثنتين [وتسعين] وخمس مئة، ومشى الأفضل بين يدي تابوته، وأخرج من باب القلعة على دار الحديث إلى باب البريد، وأُدخل الجامع، ووضع قُدَّام النَّسْر، وصلى عليه القاضي محيي الدين ابن القاضي زكي الدين، ثم دفن، وجلس ابنه الملكُ الأفضل في الجامع ثلاثة أيام للعزاء، وأنفقت ستُّ الشام بنتُ أيوبَ أختُ السلطان في هذه النوبة أموالاً عظيمة.

وكان عمر السلطان حين وفاته قريباً من سبع وخمسين سنة.

وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة، وملكه الشام قريباً من تسع عشرة سنة.

وكان له سبعةَ عشرَ ولداً ذكراً، وبنتاً واحدة.

وكان أكبر أولاده الملك الأفضل نور الدين علي بن يوسف، ولد بمصر سنة خمس وستين وخمس مئة، وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين، وكان الظاهر صاحب حلب أصغر منهما، وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر.

ولم يخلِّف السلطان صلاح الدين في خزائنه غير سبعة وأربعين درهماً، وصورياً واحداً ذهباً، وهذا من رجل له الديارُ المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن دليلٌ قاطع على فرط كرمه، ولم يخلِّف داراً ولا عقاراً، ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب، أو موعود به، ولم يؤخر صلاة عن وقتها، ولا صلى إلا في جماعة.

وكان إذا عزم على الأمر، توكل على الله، وكان كثير سماع الحديث النبوي، وقرأ مختصراً في الفقه تصنيف سُلَيم الرازي، وكان حسن الخُلق، صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يُعلمه بذلك، ولا يتغير عليه.

وكان يوماً جالساً، فرمى بعض المماليك بعضاً بسر موزة، فأخطأته، ووصلت إلى السلطان، فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى؛ ليتغافل عنها.

وكان طاهر المجلس، فلا يُذكَر أحدٌ في مجلسه إلا بالخير، وطاهر اللسان، فما يولع بشتم قط.

وقال العماد الكاتب: مات بموت السلطان الرجال، وفات بفواته الاتصال، وغاضت الأيادي، وفاضت الأعادي، وانقطعت الأرزاق، وادلهمت الآفاق، وفجع الزمان بواحده وسلطانه، ورُزِئ الإسلام بمشيد أركانه، رحمه الله وعفا عنه.

والحمد لله وحده.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

*** ذكر حال أهله وولده بعده:**

استقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها ولده الأكبر الأفضل نور الدين علي الأكبر، وبالديار المصرية ولده الملك العزيز عمادُ الدين عثمان، وبحلب ولده الملك الظاهر غياث الدين غازي، وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب، وبحماة وسلمية والمعرّة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصرُ الدين محمد ابن الملك المظفر، تقيُّ الدين عمر، وببعلبك الأمجد مجدُ الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وبحمص والرحبة وتدمر الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي، وبيد الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين بُصْرى، وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل، وبيد جماعة من أمراء الدولة بلادٌ وحصون، والله أعلم.

فلنذكر الآن ما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان صلاح الدين،

فنذكر ما استقر عليه الحال في ملكها بعد الملك صلاح الدين، ونذكر ترجمة ولده الملك العزيز المتقدم ذكرُه، ومن ولي الملكَ بعده واحداً بعد واحد على الترتيب إلى آخر وقت [. . . .]، وبالله التوفيق.

* * *

سلطنة الملك الأفضل علي ابن السلطان صلاح الدين

هو الأكبر من أولاد السلطان صلاح الدين، والمعهودُ إليه بالسلطنة، واستوزر ضياءَ الدين نصرَ الله بنَ محمد بن الأثير، فبعد وفاة الملك صلاح الدين، في **سنة تسع وثمانين وخمس مئة**، قدم الملك العادل من الكَرَك إلى الشام، وأقام فيها وظيفة العزاء على أخيه، ثم توجه إلى بلاده التي وراء الفرات.

ثم **في سنة تسعين وخمس مئة**: استحكمت الوحشةُ بين الأخوين العزيز والأفضلِ ابني السلطان صلاح الدين، فسار العزيز، وحصر الأفضلَ بدمشق، فاستنجد عمَّه العادل، وأخاه الظاهر، وابن عمه المنصور صاحبَ حماة، فساروا إليه، وأصلحوا بين الأخوين، وتوجه كلٌّ ملك إلى مملكته، ثم توجه العادل، وأقام بمصر عند العزيز؛ ليقرر أمور مملكته، بعد أن جرى بين العزيز [وبين الأفضل] وقائع يطول شرحها.

وفي سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة: اتفق العادل والعزيز على أن يأخذا دمشق، وأن يسلمها العزيز إلى العادل؛ لتكون الخطبة والسلطة للعزيز بسائر البلاد كما كانت لأبيه، فخرجا، وسارا من مصر إلى دمشق،

وأخذاهـا في ضحى يوم الأربعـاء، السـادس والعشرين من رجـب من هذه السنة.

وكان الملك الظافر خِضْرُ ابن السلطان صلاح الدين صاحبُ بُصرى مع أخيـه الملك الأفضل، ومعاضداً له، فأخذت منه بُصرى ـ أيضاً ـ، فلحق بأخيه الملك الظاهر، فأقام عنده بحلب، وأُعطي الملك الأفضل صرخد، فسار إليها بأهله، واستوطنها، وسلّم العزيز دمشق لعمه العادل على حكم ما وقـع عليـه الاتفاق، ورحل العزيز عن دمشق، عشيةَ يوم الاثنين، تاسع شعبان، فكانت مدة الأفضل بدمشق ثلاث سنين وشهراً.

ولما استقر الملك الأفضل بصرخد، كتب إلى الخليفة الإمام الناصرِ يشكو من عمه أبي بكر، وأخيه العزيز عثمان، ومن شعره:

مَـــوْلاَيَ إِنَّ أَبَـــا بَكْـــرٍ وصَـــاحِبَهُ
عُثْمَانَ قَـدْ غَـصَبَا بِالـسَّيْفِ حَـقَّ عَلِـي

وَهْـــوَ الَّـــذِي كَـــانَ قَـــدْ وَلاَّهُ وَالِـــدُهُ
عَلَيْهِمَـا فَاسْـتَقَامَ الأَمْـرُ حِـينَ وَلِـي

فَخَالَفَـــاهُ وَحَـــلاَّ عَقْـــدَ بَيْعَتِـــهِ
وَالأَمْــرُ بَيْنَهُمَــا وَالــنَّص فِيــهِ جَلِــي

فَانْظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الاسْـمِ كَيْـفَ لَقِـي
مِــنَ الأَوَاخِــرِ مَــا لاَقَــى مِــنَ الأُوَلِ

فكتب الإمام الناصر إليه يقول:

وَافَى كِتَابُكَ يَا بْنَ يُوسُفَ مُعْلِناً
بِالصِّدْقِ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرُ

غَصَبُوا عَلِيّاً حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ
بَعْدَ النَبِيِّ لَهُ بِيَثْرِبَ نَاصِرُ

فَاصْبِرْ فَإِنَّ غَداً عَلَيْهِ حِسَابُهُمْ
وَابْشِرْ فَنَاصِرُكَ الإِمَامُ النَّاصِرُ

وكانت ولادةُ الأفضل يومَ الفطر وقتَ العصر، سنة خمس وستين وخمس مئة بالقاهرة، ووالده يومئذ وزيرُ المصريين.

وتوفي في صفر، سنة اثنتين وعشرين وست مئة فجأة بسميساط، ونقل إلى حلب، ودفن بتربته بظاهر حلب، وسميساط قلعة في بر الشام على الفرات، في ناحية بلاد الروم، بين قلعة الروم وملطية.

وأما ابنه عثمان، فاستقر بمصر إلى حين وفاته في المحرم سنة خمس وتسعين وخمس مئة، وملك بعده ولدُه الملكُ المنصور محمدٌ إلى أن خلع، وملك مكانه عمُّ والده الملكُ العادل أبو بكر بن أيوب في شوال سنة ست وتسعين وخمس مئة، على ما يأتي ذكر ذلك في تراجمهم، إن شاء الله تعالى.

وفي سنة سبع وتسعين وخمس مئة: كان الملك العادل أبو بكر ابن أيوب بالديار المصرية، وهو صاحبها، وعنده ابنه الملك الكامل

محمد، وهو نائبه بها، وبدمشق كان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل المذكور، وهو نائب أبيه بها، وبالشرف الفائز إبراهيم ابن الملك العادل، وبميافارقين الملك الأوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل، وقد خرج الملك العادل في السنة المذكورة إلى دمشق.

وفي سنة ثمان وتسعين وخمس مئة: سار الملك العادل من دمشق إلى حماة، ونزل على تل صفرون، وتسلم الملك العادل حران وما معها لولده الأشرف مظفر الدين موسى، وسيَّره إلى الشرق، وكان بقلعة جعبر الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن الملك العادل.

وفي سنة تسع وتسعين وخمس مئة في المحرم توفي فلك الدين سلطان أخو الملك العادل لأمه، وهو الذي تنسب إليه المدرسة الفلكية بدمشق.

وفي سنة ثلاث وست مئة: ملك الملك الأوحد أيوب خلاط.

وفي سنة ست وست مئة: توفي الملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن السلطان صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفي سنة سبع وست مئة: توفي الملك الأوحد أيوب صاحب خلاط، فسار أخوه الملك الأشرف، وملك خلاط، واستقل بملكها، مضافاً لما بيده من البلاد الشرقية، فعظم شأنه، ولقب شاهرمن.

وفي هذه السنة[1] أعطى الملك العادل ولده المظفر شهاب الدين

---

(١) يعني: سنة ثمان وستة مئة، كما في «تتمة المختصر» لابن الوردي (٢/ ١٩٤).

غازي الرها مع مَيَّافارِقين.

وفي سنة تسع وست مئـة: في المحرم عُقـد عَقـد الملك الظاهر غازي صاحب حلب على ضيفة خاتون بنت الملك العادل، وكان المهر خمسين ألف دينار.

وفي سنة اثنتي عشرة وست مئة: استولى الملك المسعود يوسف ابن الملك الكامل ابن السلطان صلاح الدين بن أيوب على اليمن، وكان صاحبها سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب، وكان ملأها ظلماً وجوراً، فظفر به، وبعثه معتقلاً إلى مصر.

وفي سنة ثلاث عشـرة وسـت مئـة: توفي الملك الظاهـر غازي صاحب حلب في ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة، وكان مولده بمصر في نصف رمضان، سنة ثمان وستين وخمس مئة، وكان عمره أربعاً وأربعين سنة وشهوراً، وكانت مدة ملكه لحلب من حين وهبها له والده إحدى وثلاثين سنة، وكان فيه بطش وإقدام على سفك الدماء، ثم قصر عنـه، وكان عَهِد بالملك بعـده لولده الصغير الملك العزيز محمد، ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن غازي، وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين، فلما توفي، ترتـب في المملكـة الملكُ العزيـز، وعمره سنتان وأشهر، ومرجـع الأمـور كلها إلى شهاب الدين طغريل الخادم، فدبَّر الأمـور، وأحسن السياسة، وكان عمـر أخيه الملك الصالح نحو اثنتي عشرة سنة.

وفي سنة أربع عشرة وست مئة: توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل[1].

وفي سنة سبع عشرة وست مئة: كان صاحب مصر الملك الكامل محمد، وفيها توفي الملك المنصور محمد المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة بقلعتها في ذي القعدة، ولما توفي، كان ولده المظفر المعهود إليه بالسلطنة عند خاله الملك الكامل بديار مصر في مقابلة الفرنج، فاستولى على السلطنة صلاح الدين قليج أرسلان ابن الملك المنصور، وكان عمره سبع عشرة سنة آنذاك؛ لأن مولده سنة ست مئة.

وفي هذه السنة استولى الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل على خلاط، وميافارقين، وكانا بيد أخيه الملك الأشرف، وأخذ الأشرف منه الرها، وسروج.

* * *

ذكر سلطنة الملك المعظم ابن العادل

هو شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب

---

(١) انظر: «تتمة المختصر» لابن الوردي (٢/ ٢٠٠)، وفيه: «في سنة خمس عشرة وست مئة».

دمشق، استقل بملكها بعد موت أبيـه في سنة خمس عشرة وست مئة، وتوفي بقلعتها وعمره تسع وأربعون سنة، وكانت مدة ملكه دمشقَ تسعَ سنين وشهوراً، وكان شجاعاً، وكان عسكره في غايـة التجمُّـل، وكان يجامل أخاه الكامل ويخطب له ببلاده، ولا يذكر اسمه معه وكان الملك المعظم قليل التكلف جـداً، في غالـب الأوقـات لا يركـب بالـسناجق السلطانية، وكان يركب وعلى رأسه كلوته صفراء، بلا شاش، ويتخرَّق الأسواق من غير أن يطرق بين يديه كما جرت عادة الملوك، فلما كثر هذا منه، صار الإنسان إذا فعل أمراً لا يتكلف له يقال: قد فعله المعظَّمي.

وكان عالماً فاضلاً في الفقه والنحـو، وكان شيخه في النحـو تاج الدين زيد بن الحسن الكندي، وفي الفقه جمال الدين الحصيري، وكان حنفياً متعصباً لمذهبه، وخالف جميع أهل بيته؛ فإنهم كانوا شافعية.

وكانت مملكته متسعة في حدود بلد حمص إلى العريش، يدخل في بلاد السواحل الإسلامية منها، وبلاد الغور وفلسطين والقدس، وبنى بـه المدرستين الكائنتين بـه لـه للحنفية، ومن أعمالـه الكرك والشوبك وصرخد، وغير ذلك.

تخريب أسوار بيت المقدس: وفي سنة ســت عشرة وســت مئـة أرسل الملك المعظم عيسى الحجَّارين والنقـابين إلى القـدس، فخرَّب أسواره، وكانت قد حصنت إلى الغاية، وانتقل منـه عالم عظيم، وكان سبب ذلك: أنـه لما رأى قـوة الفرنج، وتغلبهم على دمياط، خشي أن يقصدوا القدس، فلا يقدر على منعهم، فخربه لذلك، ولما غـاب عن

القدس، كتب إليه بعض أصدقائه فخر القضاة ابن بصاقة:

غِبْتَ عَنِ القُدْسِ فَأَوْحَشْتَهُ
لَمَّا غَدَا بِاسْمِكَ مَأْنُوسَا
وَكَيْفَ لاَ تَلْحَقُهُ وَحْشَةٌ
وَأَنْتَ رُوحُ القُدْسِ يَا عِيسَى

توفي عيسى يوم الجمعة، مستهل ذي الحجة، سنة أربع وعشرين وست مئة، ودفن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى جبل الصالحية، ودفن في مدرسته هناك المعروفة بالمعظمية، وكان نقله ليلة الثلاثاء، مستهل المحرم [سنة] سبع وعشرين وست مئة رحمه الله، وعفا عنه.

ولما توفي الملك المعظم، ترتب في مملكته بعدَه ولدُه الملك الناصر صلاح الدين داود، وقام بتدبير مملكته مملوكُ والدِه وأستاذُ داره الأمير عزُّ الدين أيبك المعظَّمي، وكان لأيبك صرخدُ وأعمالها.

وفي سنة ست وعشرين وست مئة: استولى الملك الكامل على دمشق، وانتزعها، وعوض الناصر داود عنها بالكرك، والشوبك، والبلقاء، والسلط، والأغوار، وأخذ الكاملُ لنفسه البلاد الشرقية التي كانت عينت للناصر، وهي: حران، والرها، وغيرهما، التي كانت بيد الملك الأشرف، ثم نزل الملك الناصر عن الشوبك، وسأل عمه في قبولها، فقبلها وسلم الكامل دمشق لأخيه الملك الأشرف موسى، وتسلم الكامل من الأشرف البلاد الشرقية المذكورة، ولمَّا كان الناصر داود

في الحصار لانتزاع دمشق منه، أجاب الملك الكامل الأنبرطون الفرنجي إلى تسليم القدس، فتسلَّمها في ربيع الآخر ـ كما يأتي ذكره في ترجمة الكامل ـ.

وفي هذه السنة توفي الملك المسعود بن الكامل صاحب اليمن، وكان قد مرض، فكره المقام باليمن، وعزم على مفارقته، وسار إلى مكة، وهي له، فتوفي بمكة، ودفن بالمعلى، وعمره ست وعشرون سنة، وكانت مدة ملكه اليمن أربع عشرة سنة، وخلَّف ولداً صغيراً اسمه ـ أيضاً ـ يوسف، مات في سلطنة الصالح أيوب صاحب مصر، وخلف يوسفُ ولداً صغيراً اسمه موسى، ولقب: الملك الأشرف، وهو الذي تسلطن بمصر فيما بعد، وأقامه الترك في مملكة مصر بعد قتل المعظم ابن الصالح بن الكامل، وكان الأشرف موسى المذكور هو آخر ملوك مصر من بني أيوب.

وفي هذه السنة، وهي سنة ست وعشرين وست مئة استولى الملك محمود ابن الملك المنصور محمد على حماة، وانتزعها من أخيه الملك الناصر قليج أرسلان بعناية الملك الكامل، وكان ذلك في العشر الأخير من رمضان، وكان مدة ملك الناصر حماة تسع سنين إلا نحو شهرين، وفيها ملك الملك المظفر حماة، كان عمره يومئذ نحو سبع وعشرين سنة؛ لأن مولده سنة تسع وتسعين وخمس مئة، وكان أخوه الناصر أصغر منه بسنة.

ثم إن الملك الكامل رسم للملك المظفر أن يعطي أخاه الناصر

بارين بكمالها، فامتثل ذلك، وسلم قلعة بارين لأخيه الناصر.

وفي سنة سبع وعشرين وست مئة: استولى الملك الأشرف موسى على بعلبك، سلمها له الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه ابن أيوب؛ لطول الحصار عليه، وعوضه الملك الأشرف عنها الزبداني، وقصير دمشق الذي هو شماليها، ومواضع أخر، وتوجه الملك الأمجد، وأقام بداره التي داخل باب النصر بدمشق، المعروفة بدار السعادة، التي ينزلها النواب، ثم قتل ـ رحمه الله ـ، قتله بعض مماليكه، ودفن بمدرسة والده التي على الشرف، وكان مدة ملكه بعلبك تسعاً وأربعين سنة؛ لأن عم أبيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ملكه بعلبك سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، لما مات أبوه فرخشاه، وانتزعت منه هذه السنة، وذلك خمسون سنة إلا سنة، وكان الملك الأمجد أشعر بني أيوب، وشعره مشهور.

وفي سنة ثلاثين وست مئة: استولى الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي على شَيْزَر، وأخذها من صاحبها شهاب الدين يوسف بن مسعود ابن سابق الدين عثمان بن الداية.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وست مئة: توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين، وملك البيرة بعده ابنُ أخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب.

وفي سنة أربع وثلاثين وست مئة توفي الملك العزيز في ربيع الأول، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً، وكان حسن السيرة في

رعيته، ولما توفي، تقرر في الملك بعده ولدُه الملك الناصر يوسف، وعمره نحو سبع سنين، وقام بتدبير الدولة شمس الدين لؤلؤ الأميني، وعز الدين عمر بن مجلي، وجمال الدولة إقبال الخاتوني، والمرجع في الأمور إلى والدة العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل.

* * *

ذكر الملك الأشرف ابن الملك العادل

هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب: كان مفرط السخاء، يطلق الأموال الجليلة، وكان حسن العقيدة، وبنى بدمشق قصوراً ومتنزهات حسنة، وكان منهمكاً في اللذات، وسماع الأغاني، فلما مرض، أقلع عن ذلك، وأقبل على الاستغفار إلى أن توفي، وكان بدمشق بالعقيبة خان يعرف بابن الزنجاري، يجتمع فيه أرباب الفِسْق والملاهي، فعمَّره جامعاً، وغرم عليه جملة مستكثرة، وسمي: جامع التوبة، كأنه تاب إلى الله تعالى، وتاب مَنْ كان فيه.

وتوفي بدمشق في ثاني المحرم **سنة خمس وثلاثين وست مئة**، ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى التربة التي بنيت له بالكلاَّسة، وكان مدة ملكه دمشق ثمان سنين وشهوراً، وعمره نحو ستين سنة، ولم يخلف من الأولاد غير بنت واحدة، تزوجها الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل.

وتملك دمشق أخوه الملك الصالح إسماعيل بعهد منه، ثم سار

الملك الكامل من الديار المصرية إلى دمشق، ومعه الناصر داود صاحب الكرك، وهو لا يشك أن الملك الكامل يسلم دمشق إليـه؛ لما كان قـد تقرر بينهما، فنزل الكامل على دمشق في جمادى الأولى من هذه السنة، وهي **سنة خمس وثلاثين وست مئة**: في قوة الشتاء، وأخذها، وعوض الصالح عنها بعلبك، والبقاع، مضافاً إلى بُصرى، ومات الكامل عقب ذلك بدمشق، في رجب من السنة المذكورة، واستقر بعده في الملك ولده الملك العادل أبو بكر وسنذكر ذلك في ترجمتهما إن شاء الله تعالى.

واستقر بالشام الملك الجـواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب نائباً عن العادل ابن الكامل صاحب مصر.

وفي سنة ست وثلاثين وست مئة: استولى الملك الصالح أيوب ابن الكامل على دمشق في جمادى الآخرة بتسليم الملك الجواد يونس، وأخذ العوض عنها سنجار، والرقة.

ثم قصد الملك الصالح أيوب التوجه إلى ديار مصر؛ ليأخذها من أخيه العادل، وجعل نائبه بدمشق ولده الملك المغيث فتح الدين عمر، وسار الملك الصالح أيوب من دمشق **سنة سبع وثلاثين وست مئة**، فلما كان في صفـر، سـار الملك الصالح إسماعيل صاحـب بعلبك، ومعـه شيركوه صاحب حمص بجموعهما، وهاجموا دمشق، وحصروا القلعة، وتسلَّمها الصالح إسماعيل، وقبـض على المغيـث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب، وكان الملك الصالح أيوب بنابلس لقصد الاستيلاء على ديار مصر، فلما بلغه ذلك، رحل إلى الغور، فسار إليه الناصر داود،

وأمسكه، وأرسله إلى الكرك، واعتقله بها، فأرسل العادل يطلبه، فلم يسلمه الناصر داود، فأرسل العادل يهدد الملك الناصر داود بأخذ بلاده، فلم يلتفت إلى ذلك، واستمـر في الاعتقال إلى أن خرج، وقبض على أخيه، وملك ديار مصر على ما يأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى.

ولما اعتقل الناصرُ داودُ الصالحَ أيوبَ بالكرك، توجه الناصر داود إلى بيت المقدس، وفتحه، وانتزعه من الفرنج كما يأتي ذكره في ترجمة العادل ابن الكامل إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة، **وهي سنة سبع وثلاثين وست مئة**: توفي الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شادي، وكانت مدة ملكه لحمص نحو ست وخمسين سنة؛ لأن صلاح الدين ملَّكه حمص سنة إحـدى وثمانين وخمس مئـة، بعـد موت أبيـه محمد بن شيركوه، وكان عمره يومئذ اثنتي عشرة سنة، وكان شيركوه المذكور عسوفاً لرعيته، وملك حمصَ بعده ولدُه الملك المنصور إبراهيم ابن شيركوه.

وفي هذه السنة استولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار، وأخذها من الملك الجواد يونس بن مودود ابن العادل، والله أعلم.

[. . . .] كان صاحب مصر الملك الصالح أيوب بعد أخيه العادل، على ما يأتي ذكره في ترجمته.

وفي هذه السنة توفي الملك الجواد يونس، قتله الصالح إسماعيل صاحب دمشق.

وفي سنة أربعين وست مئة: توفيت ضيفة خاتون صاحبة حلب، وهي والدة الملك العزيـز، في ليلة الجمعـة، لإحدى عشرة ليلة خلت من جمـادى الأولى، وكـان مولـدهـا سنـة إحدى، أو اثنتين وثمـانين وخمس مئة.

وفي سنة إحدى وأربعين وسـت مئـة: اتفق الناصر داود صاحب الكرك مع الصالح إسماعيل المستولي على دمشـق على الملك الصالـح أيوب صاحب مصر، واعتضدا بالفرنج، وسلما لهم القدس بما فيها من المزارات، فنصره الله عليهم، وانتزع القدس وغيرَها من الفرنج في سنة اثنتين وأربعين وست مئة كما سيأتي ذكر ذلك في ترجمة الصالح أيوب إن شاء الله تعالى.

وفي سنة اثنتين وأربعين المذكورة: توفي الملك المظفر صاحب حماة تقي الدين محمـود ابن الملك المنصـور ناصـر الدين محمـد ابن الملك المظفر تقي [الدين] عمر بن شاهنشاه بن أيوب جد الملك المؤيد صاحب حماة مصنف «التاريخ» يوم السبت، ثامن جمـادى الأولى، وكانت مدة ملكه لحماة خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر، وعشرة أيام، كان منها مريضاً بالفالج سنتين وتسعة أشهر وأياماً، وكانت وفاته وهـو مفلوج بحمى حادَّة عرضت لـه، وكـان عمـره ثلاثاً وأربعين سنة؛ لأن مولـده سنة تسع وتسعين وخمس مئـة، وكان شهماً شجاعاً فطناً ذكياً، وكان يحب أهل الفضل والعلوم، ولما مات، ملك بعـده ولـده الملك المنصور محمد، وعمره حينئذ عشر سنين، وشهر واحد، وثلاثة عشر

يوماً، والقائمُ بتدبير المملكة سيفُ الدين طغرلبك، أستاذُ الدار، مملوكُ المظفر، ومشاركة الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد، المعروف بشيخ الشيوخ، والطواشي مرشد، والوزير بهاء الدين بن التاج، ومرجعُ الجميع إلى والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل.

وفي هذه السنة بلغ الملكَ الصالح نجمَ الدين أيوب صاحبَ مصر وفاةُ ابنه المغيث فتح الدين عمر في حبس عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، فاشتد حزنه عليه، وحَنَق على الصالح إسماعيل.

* **وفيها**: توفي الملك الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب ميافارقين، واستقر بعده في ملكه ولده الكامل ناصر الدين محمد بن غازي.

وفي سنة ثلاث وأربعين وست مئة: استولى الملك الصالح أيوب صاحبُ مصر على دمشق، وتسلَّمها عساكره من الصالح إسماعيل ابن الملك العادل.

وفي سنة أربع وأربعين وست مئة: توفي الملك المنصور إبراهيم ابن شيركوه بدمشق، ونقل إلى حمص، ودفن بها، وملك بعده ولده الأشرف مظفر الدين موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه.

* **وفيها**: استولى الملك الصالح أيوب على بعلبك، وحُمل إليه ولدا الصالح إسماعيل، وهما المنصور إبراهيم، والسعيد عبد الملك إلى ديار مصر، فاعتقلا هناك، واستمرا في الاعتقال إلى أن أفرج عنهما أيبك

التركماني في سنة ثمان وأربعين وست مئة، وزينت القاهرة ومصر، ودقت البشائر بهما لفتح بعلبك.

وفي سنة سبع وأربعين وست مئة: استولى الملك الصالح أيوب على الكرك، وأخذها من الناصر داود، وتسلمها يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، وكان الناصر داود قد خرج منها لما ضاقت عليه الأمور، وسار إلى الناصر صاحب حلب مستجيراً به، وكان قد بقي عند الناصر داود من الجوهر مقدار كثير يساوي مئة ألف دينار إذا بيع بالهوان، فلما وصل إلى حلب، سير الجوهر المذكور إلى بغداد، وأودعه عند الخليفة المستعصم، ووصل إليه خط الخليفة بتسليمه، فلم تقع عينه عليه بعد ذلك، وكان استناب بالكرك ابنه عيسى، ولقبه المعظم، وكان له ولدان آخران أكبر من عيسى المذكور، هما الأمجد حسن، والظاهر شادي، وله ولد أيضاً يلقب الناصر يوسف، وكان من أهل الفضل، وله رواية في الحديث، وبنى له تربة بالقدس الشريف بباب حِطَّة أحدِ أبواب المسجد الأقصى الشريف على يمنة الداخل، وهي المشهورة بالأوحدية.

وفرح الملك الصالح أيوب بالكرك فرحاً عظيماً، مع ما هو فيه من المرض حين بلوغه الخبر؛ لما كان في خاطره من صاحبها.

[. . . .]: كان صاحب مصر الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح أيوب.

وفي هذه السنة استقر الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك

العادل أبي بكر ابن الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب بالكرك والشوبك.

* **وفيها**: استولى الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان على مملكته الصُّبيبة بعد أن كان سلمها للصالح أيوب.

* **وفيها**: استولى الملك الناصر يوسف صاحب حلب على دمشق، وبعلبك، وعجلون، وسلم جميع ذلك إليه.

* **وفيها في مستهل شعبان**: قبض الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب على الناصر داود الذي كان صاحب الكرك، وبعث به إلى حمص، فاعتقل بها، وذلك لأشياء بلغت للناصر يوسف المذكور خاف منها.

* **وفيها**: قتل صاحب اليمن الملك فتح الدين عمر، واستقر بعده ولده المظفَّر يوسف، وصفا له ملك اليمن، وطالت أيام مملكته.

وفي سنة إحدى وخمسين وست مئة: استقر الصلح بين الملك الناصر يوسف صاحب دمشق، وبين البحرية بمصر، على أن يكون للمصريين إلى نهر الأردن، وللملك الناصر ما وراء ذلك.

وكان نجم الدين البادراني رسولُ الخليفة هو الذي حضر من جهة الخليفة، وأصلح بينهم على ذلك، ورجع كلٌّ إلى مقره، وكان الخليفة يومئذ المعتصم بالله العباسي.

[. . . .] وصاحب مصر الأشرف موسى.

[. . . .].

* **وفيها**: أفرج الملك الناصر يوسف عن الناصر داود الذي كان صاحب الكرك من قلعة حمص، وذلك بشفاعة الخليفة المستعصم، وأمره أن لا يسكن في بلاده، فرحل الناصر داود إلى جهة بغداد، فلم يمكنوه من الوصول إليها، وطلب وديعته الجوهر، فمنعوه إياها، وكتب الملك الناصر يوسف إلى ملوك الأطراف أنهم لا يأووه، ولا يميروه، فبقي في جهات عانة، والحديثة، وضاق به الحال، وكان يتصيد الغزلان، وكان يمضي له ولأصحابه أيام لا يطعمون غير لحوم الغزلان، ثم نزل بالأنبار، وبينها وبين بغداد ثلاثة أيام، والناصر داود مع ذلك يتضرع للخليفة المستعصم، فلا يجيب ضراعته، ويطلب وديعته، فلا يرد لهفته، ولا يجيبه إلا بالمماطلة والمطاولة، ثم بعد ذلك أرسل الخليفة، وشفع فيه عند الملك الناصر، فأذن له في العَوْد إلى دمشق، ورتب له شيئاً يصل إليه من جهة من الجهات.

وفي سنة ثلاث وخمسين وست مئة: طلب الملك الناصر داود من الناصر يوسف دستوراً إلى العراق لسبب طلب وديعته من الخليفة، وهي الجوهر المتقدم ذكره، وأن يمضي إلى الحج، فأذن له في ذلك، فسار إلى كربلاء، ثم مضى منها إلى الحج، ولما رأى قبر النبي ﷺ، تعلق في أستار الحجرة الشريفة بحضور الناس، وقال: اشهدوا أن هذا مقامي من رسول الله ﷺ داخلاً عليه مستشفِعاً به إلى ابن عمه المستعصم في أن يرد عليَّ وديعتي، فأعظمَ الناس ذلك، وجرت عَبراتهم، وارتفع بكاؤهم.

وكُتب بصورة ما جرى مشروح، ودفع إلى أمير الحاج، وذلك

في يوم السبت، الثامن والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة، فتوجه الناصر داود مع الحاج العراقي، وأقام ببغداد، فلما أقام بها بعد وصوله من الحجاز، واستشفاعِه بالنبي ﷺ في ردِّ وديعته في سنة أربع وخمسين وست مئة، أرسل الخليفةُ المستعصمُ مَنْ حاسبَ الناصر على ما وصله في ترداده إلى بغداد من المضيف؛ مثل: اللحم والخبز والحطب والعليق والتبن، وغير ذلك بأعلى الأثمان، وأرسل إليه شيئاً نَزْراً، وألزمه أن يكتب خطه بقبض وديعته، وأنه ما بقي يستحق عند الخليفة شيئاً، فكتب خطه بقبض وديعته وأنه ما بقي يستحق عند الخليفة شيئاً فكتب خطه بذلك كرهاً، وسار عن بغداد، وأقام مع العرب، ثم أرسل إليه الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام، فطيَّب قلبه، وحلف له، وقدم إلى دمشق، وأقام بالصالحية، ثم توجه إلى جهة بغداد.

وفي سنة خمس وخمسين وست مئة: ظهرت نار بالحَرَّة عند مدينة الرسول ﷺ، وكان لها بالليل ضوء عظيم يظهر من مسافة بعيدة جداً، ولعلها النار التي ذكرها رسول الله ﷺ من علامات الساعة، فقال: «نَارٌ تَظْهَرُ بِالحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإِبِلِ بِبُصْرَى»[1]، ثم إن الخدام بحرم النبي ﷺ وقع منهم في بعض الليالي تفريط، فاشتعلت النار بالمسجد الشريف، وأحرقت سقوفه، ومنبرُ النبي ﷺ، وتألم الناس لذلك.

وفي سنة ست وخمسين وست مئة: في ليلة السبت، السادس

---

(١) رواه البخاري (٦٧٠١)، ومسلم (٢٩٠٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والعشرين من جمادى الأولى مات الملك الناصر داود بن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب بالطاعون بظاهر دمشق، في قرية يقال لها: البويضة شرقي دمشق، ومولده سنة ثلاث وست مئة، وكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة، بعد محن كثيرة حصلت له، وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق إلى البويضة، وأظهر عليه الحزن والتأسف، ونقله، ودفن في الصالحية في تربة والده المعظم عيسى.

وكان الناصر داود فاضلاً، ناظماً ناثراً، قرأ العلوم العقلية، وله أشعار جيدة رحمه الله، وعفا عنه.

* **وفيها**: توفيت الصاحبة غازية خاتون، والدة الملك المنصور صاحب حماة.

وفي سنة ثمان وخمسين وست مئة: قتل الملك الكامل محمد بن المظفر غازي صاحب ميافارقين حين استيلاء التتر على مملكته.

ولما دخلت سنة تسع وخمسون وست مئة: كان صاحب مصر الملك الظاهر بيبرس.

في هذه السنة قتل الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب صاحب دمشق وحلب في بلاد توريز من ملك العجم، قتله هولاكو ملك التتر، وقتل مَنْ كان معه، وهم: أخاه الظاهر، والملك الصالح صاحب حمص، والجماعة المأسورون الذين كانوا معهم ـ رحمهم الله تعالى ـ، وعقد عزاءه بجامع دمشق، في سابع جمادى

الأولى حين ورود خبره.

وكان سبب ذلك: ورود عسكر التتر، واستيلاؤهم على حلب، وخروج الملك الناصر من دمشق، وقصدهُ ديار مصر، ثم قصد المسيرَ إلى هولاكو وقتاله، فقبض عليه كتبغا نائب هولاكو، وبعث به إليه، فقتله، وكان قد عظُم شأن الملك الناصر، وغلب على الديار المصرية لولا هزيمته حين مسيره إليها.

وكان حليماً، وكثر طمع العرب والتركمان في أيامه، وكثرت الحرامية والمفسدين، وكان إذا حضر القاتل بين يديه يقول: الحي خير من الميت، ويطلقه، فأدى ذلك إلى انقطاع الطرقات وانتشار الحرامية، وكان على ذهنه شيء كثير من الأدب والشعر، وبنى بدمشق مدرسة قريب الجامع تعرف بالناصرية، ووقف عليها وقفاً جليلاً، وكان مولده سنة سبع وعشرين وست مئة، فيكون عمره اثنتين وثلاثين سنة تقريباً.

وفي سنة ستين وستمائة: سار الملك الظاهر بيبرس إلى الشام، ونزل بها، واستولى عليها، وولَّى بها القضاة.

وفي سنة إحدى وستين وست مئة: استولى الملك الظاهر بيبرس على الكرك، وقتل صاحبها الملكَ المغيثَ فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب.

* **وفيها**: مات الملك الأشرف موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص، وأرسل الملك الظاهر بيبرس مَنْ تسلَّم حمص في ذي القعدة من هذه السنة، وهذا الملك

الأشرف موسى آخر من ملك حمص من بيت شيركوه.

ولما دخلت سنة اثنان وثمانون وست مئة: كان صاحب مصر الملك المنصور قلاوون.

وفي هذه السنة توفي الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه ابن أيوب صاحب حماة ـ رحمه الله تعالى ـ، توفي بكرة حادي عشر شوال، وكانت ولادته في الساعة الخامسة من يوم الخميس، لليلتين بقيتا من ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين وست مئة، فيكون عمره إحدى وخمسين سنة، وستة أشهر، وأربعة عشر يوماً.

وكان ذلك يوم السبت، ثامن جمادى الأولى، سنة اثنتين وأربعين وست مئة، وهو اليوم الذي توفي فيه والده الملك المظفر محمود، فيكون مدة ملكه إحدى وأربعين سنة، وخمسة أشهر، وأربعة أيام، واستقر في الملك بعده ولده الملك المظفر محمود، بتقليد الملك المنصور قلاوون، في العشر الآخر من شوال، سنة ثلاث وثمانين وست مئة، وأرسل إليه وإلى عمه الملك الأفضل التشاريف، وركب بشعار السلطنة.

وفي سنة اثنتين وتسعين وست مئة: توفي الملك الأفضل نور الدين علي ابن الملك المظفر محمود، وهو والد الملك المؤيد صاحب حماة مصنّف «التاريخ»، توفي في ذي القعدة بدمشق، ونقل إلى حماة.

ولما دخلت سنة ثمان وتسعين وست مئة: كان صاحب مصر المنصور لاجين إلى ربيع الآخر، واستقر بعده الملك الناصر محمد بن

قلاوون في جمادى الأولى.

وفي هذه السنة، في ثاني عشر ذي القعدة توفي الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ، ومولده في ليلة الأحد، خامس عشر المحرم، سنة سبع وخمسين وست مئة، فيكون عمره إحدى وأربعين سنة، وعشرة أشهر، وسبعة أيام، ويكون ملكه حماة من حين توفي والده خمس عشرة سنة وشهراً ويوماً واحداً.

وأعطي قراسنقر النيابة بحماة لاختلاف الكلمة بين أسد الدين عمر، وبدر الدين حسن ابني الملك الأفضل؛ فإنهما حضرا إلى حماة من حلب بعد وفاة الملك المظفر، واختلفا فيمن يكون صاحب حماة، ولم ينتظم في ذلك حال، ثم في سنة عشر وسبع مئة عادت حماة إلى البيت التقوي باستقرار الملك المؤيد صاحب حماة مصنف «التاريخ» المشهور؛ فإنه تقدم له الوعدُ بها من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان السلطان حريصاً على إنجاز وعده بإقامته فيها، فأعطيت له في هذه المرة على قاعدة النواب، وكان تاريخ التقليد في ثامن عشر جمادى الأولى، سنة عشر وسبع مئة.

ثم أنعم في رمضان الملك الناصر محمد بن قلاوون على الملك المؤيد المذكور بمملكة حماة، والمعرة، وبارِين تمليكاً، وهو الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل نور الدين علي ابن

السلطان الملك المظفر تقي الدين، ولد السلطان الملك المنصور، ولد السلطان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة.

وكتب له التقليد، فمنه بعد البسملة الشريفة: الحمد لله الذي عَضَدَ الملكَ الشريف بعماده، وأورث الجد السعيد سعادة أجداده، وبلغ ولينا من مباها ثنائه ملوك بني الإمام غاية مراده.

ومنه نحمده على أن صان بنا الملكَ وحماه، وكفَّ بكفٍّ بأسنا يدَ المتطاول إلى استباحة حِماه.

ومنه: ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

أما بعد:

فإن أولى من عُقد له لواءُ الولاء، وتشرَّفت باسمه أَسِرَّة الملك وذُرا المنابر، وتصرفت أحكامه فيما يشاء من نَوَاهٍ وأوامر، وتجلى في سماء السلطنة، فقام في دَسْتها مقام مَنْ سلف، وأخلف في أيامنا الزاهرة من أسلافه؛ إذ هو ببقائنا - إن شاء الله - خيرُ خلف، من ورث السلطنة لا عن كَلالة واستحقها بالأصالة والأثالة والجلالة، وأشرقت الأيام بغرة وجهه المنير، وتشرفت به صدور المحافل، وتشوق إليه بطنُ السرير، ومن أصبح لسماء المملكة الحَمَوية وهو زين أملاكها، ومطلع أفلاكها وهو المقام العالي العمادي ابن الملك الأفضل نور الدين علي ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين، ولد السلطان الملك المنصور، ولد السلطان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وهو الذي ما بَرِحت

عيون مملكته إليه مُتَشَوِّفة، والسلطنة لمواعيد ملكـه مسخرة، والأقدار إلى أن يبلغ الكتاب أجله مسوّفه، ولسان الحال يتلو في ضمير الغيب: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٢٦]، إلى أن أظهر الله ما في غيبه المكنون، وأنجز له في أيامنا الوعود وصدق الظنون، وشيده الله منه بأرفع عماد، ووصل ملكه بملك أسلافه، وسيبقى في عقبه - إن شاء الله تعالى - إلى يوم التناد، فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري، لا زالت الممالك من عطائه، والملوك تسري من ظل كنفه تحت مسبول غطائه، أن يستقر في يد المقام العالي العمادي المشار إليه جميع المملكة الحموية وبلادها وأعمالها، وما هو منسوب إليها، ومناشيرها التي يعرضها قلمه وقسمـه، ومنابرهـا التي يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه، وكثيرها وقليلها، وحقيرها وجليلها، على عادة الشهيد المظفر تقي الدين محمود إلى حين وفاته.

ومنـه: وقلدناه ذلك تقليـداً، تضمَّن للنعمـة تخليـداً، وللسعادة تجديداً.

ومنه في آخره: والله يؤهل بالنصر مغناه، ويجمل ببقائه صورة دهر هو معناه، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه.

كتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر، سنة اثنتي عشرة وسبع مئة، حسب المرسوم الشريف.

الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

ثم سار الملك المؤيـد في إخراج المعـرة عنـه، وأن يُعفى منها،

فأجيب إلى ذلك، وكتب له مرسوماً شريفاً بما استقر عليه، من جملة ألفاظه: أن يستقر بيده حماة، وبارِين بجميع حدودهما، وما هو منسوب إليها من بلاد وضياع، وقرايا وجهات، وأموال ومعاملات، وغير ذلك مما ينسب إلى هذين الإقليمين، ويدخل في حكمهما، يتصرف في الجميع كيف يشاء، من تولية[1]، وإقطاع إقطاعات الأمراء والجند، وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف، وترتيب القضاة والخطباء وغيرهم، ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته، ويجري في ذلك على عادة الملك المظفر صاحب حماة رحمه الله تعالى.

مؤرخ ذلك في تاسع عشر المحرم، سنة ثلاث عشرة وسبع مئة.

وتوفي الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة في ثامن عشر المحرم، سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة، ومولده في بكرة السبت، سابع جمادى الأولى، سنة اثنتين وسبعين وست مئة.

وكان فيه مكارم أخلاق وفضيلة؛ من فقه وطب وغير ذلك، ونظم «الحاوي» في الفقه، وصنف التاريخ المشهور المسمى بـ «المختصر في أخبار البشر» ومصنفاتٍ غيرِه ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وقد انتهى ما اخترنا ذكره من أخبار بني أيوب ملوكِ المملكة الشامية وغيرها.

* * *

---

(١) في الأصل: «روكية».

ذِكْرُ سَلَاطِينِ ٱلْأَيُّوبِيِّينَ

وما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رحمة الله عليه ـ

* [ذكر تراجم ملوك الأيوبيين] كما تقدم الوعد به، فنحاول ترجمة ملوك بني أيوب، فنقول، وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل:

* * *

سلطنة الملك العزيز عثمان

هو عماد الدين أبو الفتح عثمان العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان نائباً عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام، وتوفي والده بدمشق، فاستقل بمملكتها باتفاق من الأمراء كما هو مشهور، وكان مباركاً، كثير الخير، واسع الكرم، محسناً إلى الناس، معتقداً في أرباب الخير والصلاح، وسمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ السلفي، وسمع من مشايخ كُثُر[1] غيره.

وكان والده يؤثره على بقية أولاده، ولما ولد له الملك المنصور ناصر الدين محمد، كان والده بالشام، والقاضي الفاضل بالقاهرة، فكتب إليه يهنئه: المملوك يقبل الأرض بين يدي مولانا الملك الناصر، زاد

(١) في الأصل: «كثيرة».

سعدُه وإسعاده، وكثرت أولياؤه وعبيده وأعداده، واشتد أعضادَه فيهم اعتضادُه، وأنمى الله عدده، حتى يقال: هذا آدمُ الملوك، وهذه أولاده.

ويُنهي: أن الله تعالى ـ وله الحمد ـ رزق الملك العزيز ـ عز نصره ـ، ولداً مباركاً عليّاً، ذكراً سريّاً، زكياً تقياً نقياً، من ذرية كريمة بعضُها من بعض، وبيت شريف كادت ملوكه تكون ملائكة في السماء، ومماليكه ملوكاً في الأرض.

وكانت ولادة الملك العزيز بالقاهرة، في ثامن من جمادى الأولى، سنة سبع وستين وخمس مئة، وكان قد توجه إلى الفيوم، فطرد فرسه وراء صيد، فتقنطر به، فأصابته الحمى، وحُمل إلى القاهرة، وتوفي بها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء، الحادي والعشرين من المحرم، سنة خمس وتسعين وخمس مئة، ودفن في القرافة الصغرى، في قبة الإمام الشافعي، وقبره هناك معروف، وكانت مدة مملكته ست سنين إلا شهراً، وكان عمره سبعاً وعشرين سنة وأشهراً، وكان في غاية السّماحة والكرم، والعدل والرفق بالرعية والإحسان إليهم، ففجعت الرعية بموته رحمه الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان

هو ناصر الدين محمد ابن الملك العزيز عثمان، استقر في السلطنة

بعد وفاة والده، واتفقت الأمراء على إحضار أحد من بني أيوب ليقوم بالملك، وعملوا مشورة بحضرة القاضي الفاضل، فأشار بالملك الأفضل، وهو حينئذ بصرخد، فأرسلوا إليه، فسار مجِدًّا، ووصل إلى مصر على أنه أتابك الملك المنصور بن العزيز، وكان عمر المنصور حينئذ تسع سنين وشهوراً، فخرج المنصور للقائه، فترجَّل له عمُّه الأفضل، ودخل بين يديه إلى دار الوزارة، وكانت مقر السلطنة.

ثم برَز الأفضل من مصر، وسار إلى الشام ليأخذها؛ لاشتغال عمه الملك العادل بحصار ماردين، فبلغ العادل ذلك، فسار إلى دمشق، ودخلها قبل نزول الأفضل عليها بيومين، ثم حصل بينهما قتال، وكاد الأفضلُ يأخذ دمشق، لولا ما حصل بينه وبين أخيه الظاهر صاحبِ حلب من الخلف، ثم سار الأفضل إلى مصر، فخرج الملك العادل في أثره إلى مصر، فخرج إليه الأفضل، وضرب معه مصافاً، فانكسر الأفضل، وانهزم إلى القاهرة، ونازل العادل القاهرة ثمانية أيام، فأجاب الأفضل إلى تسليمها على أن يعوض عنها مَيَّافارقين، وحامي، وسميساط، فأجابه العادل إلى ذلك، ولم يف له به.

وكان دخول العادل إلى القاهرة في الحادي والعشرين من ربيع الآخر، سنة ست وتسعين وخمس مئة، ثم سافر الأفضل إلى صرخد، وأقام العادل بمصر على أنه أتابك الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان مدة يسيرة، ثم أزال الملك المنصور محمد، واستقل هو في السلطنة على ما يأتي شرحه في ترجمته.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك العادل أبو بكر محمد بن أبي الشكر

هو سيف الدين أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شادي بن مروان الملقب: الملك العادل، أخو السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى.

[دخل] في السلطنة، وخطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شوال، سنة ست وتسعين وخمس مئة.

ثم إن الملك الظاهر صاحبَ حلب كاتبَ عمه الملك العادل، وصالحه، وخطب له بحلب وبلادها، وضرب السكة باسمه، وانتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه، وخطب له على منابرها، فضربت السكة فيها باسمه.

وفي سنة إحدى وست مئة: كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج، وسلم إلى الفرنج يافا، ونزل عن مناصفات لُدّ، والرملة.

وفي سنة ثلاث وست مئة: سار الملك العادل من مصر إلى الشام، ونازل في طريقه عكا، فصالحه أهلها على إطلاق جميع مَنْ بها مِنَ الأسرى.

وفي سنة أربع وست مئة: لما استقر الملك العادل بدمشق، وصل إليه التشريف من الخليفة الإمام الناصر صحبة الشيخ شهاب الدين

السّهروردي، فبالغ الملك العادل في إكرام الشيخ، والتقاه إلى القصير، ووصل من صاحبي حلب وحماة ذهب لينثر على الملك العادل إذا لبس الخلعة، فلبسها، ونثر ذلك الذهب، وكان يوماً مشهوداً.

والخلعة جبةُ أطلسٍ أسودَ بطراز مذهب، وعمامة سوداء بطراز مذهب، وطوق ذهب مجوهر تطوق به الملك العادل، وسيف جميعُ قرابه ملبس ذهباً تقلّد به، وحصان أشهب، ونُشر على رأسه علمٌ أسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة، ثم خلع رسولُ الخليفة على كل واحد من الملك الأشرف، والملك المعظم ابني الملك العادل عمامة سوداء، وثوباً أسود واسع الكم، وكذلك على الوزير صفي الدين بن شكر.

وركب الملكُ العادل وولداه ووزيره بالخلع، ودخل القلعة.

ووصل مع الخلعة تقليد بالبلاد التي تحت حكمه، وخوطب الملك العادل فيه: شاهنشاه ملك الملوك، خليل أمير المؤمنين.

ثم توجه الشيخ شهاب الدين إلى مصر، فخلع على الملك الكامل، وجرى فيها نظير ما جرى في دمشق من الاحتفال.

ثم عاد الشيخ شهاب الدين السهروردي إلى بغداد مكرماً معظماً.

وفي هذه السنة: اهتم الملك العادل بعمارة القلعة بدمشق، وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها.

وفي سنة ست وست مئة: سار الملك العادل من دمشق، وقطع الفرات، ثم عاد إلى دمشق، وسار إلى الديار المصرية، وأقام بدار الوزارة في سنة سبع وست مئة.

ثم في **سنة ثمان وست مئة**: عاد الملك العادل إلى الشام، ثم رجع إلى الديار المصرية، ثم نزل بسبب وصول الفرنج إلى عكا، ووقع لهم وقائع في **سنة أربع عشرة وست مئة**.

ثم إنه كان نازلاً مرج الصفر، وقد أرسل العساكر إلى ولده الملك الكامل بالديار المصرية، ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر إلى عالقين: قرية ظاهر دمشق، وهي عند عقبة أَفِيقٍ، فنزل بها، ومرض، واشتد مرضه، ثم انتقل هناك إلى رحمة الله تعالى في سابع جمادى الآخرة، سنة خمس عشرة وست مئة، وكان مولده سنة أربعين وخمس مئة، فكان عمره خمساً وسبعين سنة.

وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثاً وعشرين سنة، ولمصر نحو تسع عشرة سنة، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ حازماً متيقظاً، غزير العقل، سديد الآراء، ذا مكر وخديعة، صبوراً حليماً، يسمع ما يكره، ويُغضي عنه، وأتته السعادة، واتسع ملكه، وكثرت أولاده، ورأى فيهم ما يحب، وخلَّف ستة عشر ولداً ذكراً غيرَ البنات، ولم يكن عنده حاضراً أحد من أولاده، فحضر إليه ابنه الملك المعظم عيسى، وكان بنابلس، فكتم موته، وأخذه ميتاً في مِحَفَّة، وعاد به إلى دمشق، واحتوى على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والسلاح، فلما وصل إلى دمشق، حلف الناس، وأظهر موت أبيه، وكتب إلى الملوك من إخوته وغيرهم يخبرهم بموته.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي المعالي محمد ابن الملك العادل سيف الدين

هو أبو المعالي محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب: استقل بالسلطنة بالديار المصرية بعد وفاة والده، وكان والده قد خرج عليه الفرنج بالساحل، فأدركته المنية، وعاد الفرنج لجهة القاهرة، وملكوا دمياط، وهجموها في عاشر رمضان، سنة ست عشرة وست مئة، وأسروا من بها، وجعلوا الجامع كنيسة، واشتد طمعهم في الديار المصرية، فابتنى الملك الكامل مدينة سماها: المنصورة، عند مفترق البحرين، ونزل فيها بعساكره

وفي سنة ثمان عشرة وست مئة ظهر الفرنج من دمياط إلى جهة مصر، ووصلوا إلى المنصورة، واشتد القتال بين الفريقين، وكُتُبُ السلطان الملك الكامل متواترة إلى إخوته وأهل بيته، يستحثهم على إنجاده، فسار إليه المعظَّم عيسى صاحبُ دمشق بعسكر دمشق، والأشرفُ صاحب البلاد الشرقية بعساكره، واستصحب عسكرَ حلب، والملكُ الناصر قليج أرسلان صاحب حماة، والأمجد صاحب بعلبك، وشيركوه صاحب حمص، ووصلوا إلى الملك الكامل وهو في قتال الفرنج على المنصورة، فقويت نفوس المسلمين، وضعفت نفوس الفرنج؛ لِما شاهدوه من كثرة العساكر، ونصر الله المسلمين، وسُلمت دمياط إليهم في تاسع عشر رجب، **سنة ثمان عشرة وست مئة**، ثم توجه كل ملك إلى بلاده.

[. . . .] **لما دخلت سنة ست وعشرين وست مئة:** استهلت، وملوك بني أيوب متفرقون مختلفون، قد صاروا أحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً أصحاباً، فقويت الفرنج بذلك، وبموت المعظم عيسى، وبمن وفد إليهم من البحر، فطلبوا من المسلمين أن يردُّوا إليهم ما كان صلاح الدين فتحه، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملك الكامل على أن يرد عليهم بيت المقدس وحدَه، وتستمر أسواره خراباً، ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة، ولا إلى المسجد الأقصى، ويكون الحكم في الرستاق إلى والي المسلمين، فتسلم الإنيرطون القدسَ على الشرط المذكور في ربيع الآخر.

ومعنى أنيرطون: ملك الأمراء.

فلما بلغ ذلك المسلمين، عظم عليهم جداً، وحصل بذلك وهن شديد، وإرجاف في الناس.

ولما وقع ذلك، كان الناصر داود في الحصار لانتزاع دمشق منه، فأخذ الناصر داود في التشنيع على عمه بذلك، وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبطُ أبي الفرج ابن الجوزي، وكان واعظاً، له قَبول عند الناس، فأمره الناصر داود أن يعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس، وما حل بالمسلمين من تسليمه إلى الفرنج، ففعل ذلك، وكان مجلساً عظيماً.

ومن جملة ما أنشد قصيدة تائية، ضمنها بيت دُعبل الخزاعي:

مَـــدَارِسُ آيَـــاتٍ خَلَـــتْ مِـــنْ تِـــلاَوَةٍ
وَمَنْـــزِلُ وَحْـــيٍ مُقْفِـــرُ العَرَصَـــاتِ

وارتفع بكاء الناس وضجيجهم لذلك.

وفي سـنة خمس وثلاثين وست مئـة: توجـه الملك الكامل إلى دمشق، واستولى عليها، وقصـدَ أخـذَ حمـص من صاحبهـا، ثم بعـد استقراره بدمشق، لم يلبث غير أيام حتى مرض، واشتد مرضه، فمات لتسع بقين من رجـب، سنة خمس وثلاثين وسـت مئـة، وعمـره نحـو ستين سنة.

وكانت مدة ملكه مصر ـ من حين مات أبوه ـ عشرين سنة، وكان نائباً بها قبل ذلك قريباً من عشرين سنة، فحكم في مصر نائباً وملكاً نحو أربعين سنة، وأشبه حاله حال معاوية بن أبي سفيان؛ فإنه حكم في الشام نائباً نحو عشرين سنة، وملكاً نحو عشرين سنة.

وكان الملك الكامل ملكاً جليلاً مهيباً، حسن التدبير، أمنت الطرق في أيامه، وعُمرت ديار مصر، وكـان محبـاً للعلماء ومجالستهم، ولـه المدرسة الكاملية، وقبـة الشافعي ﷺ، وأجرى لـه ماء النيل رحمه الله تعالى، وعفا عنه.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل

هو أبو بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

توفي والده بدمشق، وهو يومئذ نائبه بمصر، فاتفق رأي الأمراء على تحليف العسكر له، واستقر في السلطنة.

فلما كان في **سنة ست وثلاثين وست مئة**: استولى الملك الصالح أيوب بن الكامل على دمشق، وأخذها بتسليم الملك الجواد يونس نائب الملك العادل ـ كما تقدم في ترجمة بني أيوب ـ، ثم قصد الملك الصالح أيوبُ التوجه إلى ديار مصر، وأخذها من أخيه العادل، فوصل محيي الدين بن الجوزي رسولُ الخليفة يصلح بين الأخوين: العادل صاحب مصر، والصالح أيوب المستولي على دمشق، وهذا محيي الدين هو الذي حضر ليصلح بين الكامل والأشرف.

ثم إن الصالح إسماعيل صاحب بعلبك سار هو وشيركوه صاحبُ حمص بجموعهما، وهجموا دمشق، وأخذوها، وقبض على المغيث فتح الدين عمر بن الصالح أيوب بنابلس؛ لقصد التوجه إلى مصر وأخذِها، فلما بلغه ذلك، رحل إلى الغور، فسار إليه الناصر داود صاحبُ الكَرَك، وأمسكه، وأرسله إلى الكرك، واعتقله بها، فأرسل العادل يطلبه، فلم يرسله إليه الناصر داود ـ وتقدم ذكر ذلك في ترجمة بني أيوب في سنة سبع وثلاثين وست مئة ـ.

* **ذكر الحوادث التي وقعت في بيت المقدس:**

ثم بعد اعتقال الملك الصالح أيوب بالكرك، قصد الناصر داود القدس، وكان الفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل، فحاصرها، وفتحها، وخرب القلعة، وخرب برج داود ـ أيضاً ـ؛ فإنه لما خربت القدس أولاً، لم يخرب برج داود، فخربه في هذه المرة، وذلك في سنة سبع وثلاثين وست مئة.

فأنشد فيه جمال الدين بن مطروح، وكان فاضلاً:

المَسْجِدُ الأَقْصَى لَهُ آيَةٌ سَارَتْ فَصَارَتْ مَثَلاً سَائِرَا
إِذَا غَدَا لِلْكُفْرِ مُسْتَوْطَناً أَنْ يَبْعَثَ اللهُ لَهُ نَاصِرَا
فَنَاصِرٌ طَهَّرَهُ أَوَّلاً وَنَاصِرٌ طَهَّرَهُ آخِرَا

* * *

واستمر الملك العادل في السلطنة إلى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، وكانت مدة ملكه نحو سنتين، وخُلع ـ كما يأتي شرحه في ترجمة الصالح أيوب ـ، وحبس إلى أن مات في سنة خمس وأربعين وست مئة، وكان عمره نحو ثلاثين سنة رحمه الله تعالى.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل

هو نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد.

تقدم في ترجمة أخيه العادل، وفي ترجمـة بني أيوب: أن الناصر داود صاحبَ الكرك اعتقلـه بالكرك، واستمر في الاعتقـال إلى أواخـر رمضان، سنة سبع وثلاثين وست مئـة، ثم أفرج عنـه، واجتمعت عليه مماليكه، وكاتبه البهاء زهير، وسار الناصر داود وصحبته الملك الصالح إلى قبة الصخرة ببيت المقدس، وتحالفا على أن تكون ديار مصر للصالح أيوب، ودمشق والبلاد الشرقية للناصر داود، ولم يف له بذلك، وكان يتأول في يمينه أنه كان مُكْرَهاً.

ثم سار إلى غزة، فلما بلغ الملكَ العادل صاحبَ مصر ذلك، عظُم عليه وعلى والدته، وبرز على بلبيس بعسكر مصر، واستنجد بعمه الصالح إسماعيل المستولي على دمشق، فسار إليـه بعساكر دمشق، فبينما الناصرُ داود، والصالحُ أيوب في هذه السنة، وهما بين عسكرين قد أحاطا بهما، إذ ركـب جماعـة من المماليـك الأشـرفيـة، ومقـدمهم أيبك الأسمر، وأحاطوا بدهليز الملك العادل أبي بكر بن الكامل وقبضوا عليه، وجعلوه في خيمة صغيرة، وعليه من يحفظه، وأرسلوا إلى الملك الصالح أيوب يستدعونه، ففرح بذلك فرحاً لم يسمع بمثله، وسـار إلى مصر، وبقي يلتقي الملكَ الصالح في كل يوم فوجٌ بعـد فوج من الأمراء والعساكر، وكان القبض على العـادل ليلة الجمعـة، ثامن ذي القعـدة، سنـة سبع وثلاثين وست مئة.

ودخل الملك الصالح أيوب إلى قلعـة الجبل يـوم الأحـد بُكرة، لستٍّ بقين من الشهر المذكور، وزُينت له البلاد، وفرح الناس بقدومه.

ولما استقر في السلطنة، خاف الناصر داود أن يقبض عليه، فطلب دستوراً، وتوجه إلى بلاده الكرك، وكذلك خاف الصالح إسماعيل من ابن أخيه الصالح أيوب.

وفي **سنة إحدى وأربعين وست مئة**: اتفق الصالح إسماعيل المستولي على دمشق مع الناصر داود صاحب الكرك، واعتضدا بالفرنج، وسلَّما إلى الفرنج طبرية، وعسقلان، فعمر الفرنج قلعتهما، وسلما ـ أيضاً ـ إليهم القدس بما فيه من المزارات.

قال القاضي جمال الدين بن واصل: ومررت إذ ذاك بالقدس متوجهاً إلى مصر، ورأيت القُسوس قد جعلوا على الصخرة قناني الخمر للقربان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فلما دخلت **سنة اثنتين وأربعين وست مئة**: استدعى الملك الصالح أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ الخوارزمية؛ لينصروه على عمه الصالح إسماعيل، فكان المصاف بين عسكر مصر، ومعهم الخوارزمية، وبين عسكر دمشق، ومقدَّمهم الملكُ المنصور إبراهيم بن شيركوه صاحبُ حمص، ومعهم الفرنج وعسكرُ الكَرَك، ولم يحضر الناصر داود ذلك.

والتقى الفريقان بظاهر غزة، فولَّى عسكرُ دمشق وصاحبُ حمص إبراهيمُ والفرنجُ منهزمين، وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً.

واستولى الملك الصالح أيوب صاحب مصر على غزة، والسواحل، والقدس الشريف ـ ولله الحمد ـ، ووصلت الأمراء والرؤوس إلى مصر،

ودُقت بها البشائر عدة أيام.

ثم استولى الصالح أيوب على دمشق في سنة ثلاث وأربعين وست مئة، واستولى على بعلبك في سنة أربع وأربعين، واستولى على الكرك في سنة سبع وأربعين، قبل وفاته بيسير ـ كما تقدم ذكر ذلك في ترجمة بني أيوب ـ.

وتوفي الملك الصالح أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب في ليلة الأحد، لأربعَ عشرةَ ليلةً مضت من شعبان، سنة سبع وأربعين وست مئة.

وكانت مدة مملكته للديار المصرية تسع سنين، وثمانية أشهر، وعشرين يوماً، وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة.

وكان مهيباً، عالي الهمة، عفيفاً، طاهر اللسان، شديد الوقار، كثير الصمت، وكان غاوياً بالعمارة، بنى قلعة الجزيرة، وبنى الصالحية، وهي بلدة بالسالح، وبنى قصراً عظيماً بين مصر والقاهرة يسمى بالكبش.

وكانت أم الملك الصالح أيوب جارية سوداء تسمى: ورد المنى، غشيها السلطان الملك الكامل، فحملت بالملك الصالح.

وكان للملك الصالح ثلاثة أولاد، أحدهم: فتح الدين، توفي في حبس الصالح إسماعيل ـ كما تقدم في ترجمة بني أيوب ـ، وكان قد توفي ولده الآخر قبله، ولم يكن قد بقي له غير المعظم توران شاه بحصن كيفا، ومات الملك الصالح، ولم يوص إلى أحد ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

سلطنة الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح

لما توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب، أَحضرتْ شجرُ الدرِّ جاريتُه فخرَ الدين ابن الشيخ، والطواشي جمال الدين محسن، وعرَّفتهما بموت السلطان، فكتموا ذلك خوفاً من الفرنج، وجمعت شجر الدر الأمراء، وقالت لهم: السلطان أمركم أن تحلفوا له، ثم من بعده لولده الملك المعظم توران شاه المقيم بحصن كيفا، وللأمير فخر الدين ابن الشيخ بأتابكية العسكر، فحلف الأمراء والأجناد والكبراء بالعسكر على ذلك، في العشر الأوسط من شعبان، سنة سبع وأربعين وست مئة، وكانت بعد ذلك تُخرج الكتب والمراسيم، وعليها علامة الملك الصالح، يكتبها خادم يقال له: السهيلي، فلا يشك أحد أنه خط السلطان.

وأرسل فخر الدين قاصداً للملك المعظم، فسار من الحصن، ووصل دمشق في رمضان، وَعَيَّدَ بها عيدَ الفطر، ووصل إلى المنصورة يوم الخميس، لتسعٍ بقين من ذي القعدة، سنة سبع وأربعين وست مئة، والقتال مشتد بين المسلمين والفرنج براً وبحراً، ونصر الله المسلمين، وبلغت عدة القتلى من الفرنج ثلاثين ألفاً، وأُسر ملكهم، ورحل الملك المعظَّم بالعساكر من المنصورة، ونزل بغار سكور.

وقتل في يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم، سنة ثمان وأربعين وست مئة، وسببه: أنه طرح جانب أمراء أبيه ومماليكه، وهددهم، واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه من حصن كَيْفا، وكانوا أطرافاً أراذل،

فاجتمعوا على قتله بعد نزوله بغار سكور، وهجموا عليه بالسيوف، وكان أول من ضربه: ركن الدين بيبرس الذي صار سلطاناً فيما بعد، فهرب الملك المعظم منهم إلى البرج الخشب الذي نصب له بغار سكور، فأطلقوا في البرج النار، فخرج المعظم من البرج هارباً طالباً البحر ليركب في حَرَّاقته، فحالوا بينه وبينها بالنشاب، فطرح نفسه في البحر، فأدركوه، وأتموا قتله.

وكانت مدة إقامته في المملكة من حين وصوله إلى الديار المصرية شهرين وأياماً رحمه الله، وعفا عنه.

* * *

أخبار شجر الدر

لما جرى ما ذكر من قتل الملك المعظم توران شاه، اجتمعت الأمراء على أن يقيموا شجر الدر زوجةَ الملك الصالح في المملكة، وأن يكون عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحي المعروفُ بالتركماني أتابكَ العسكر، وحلفوا على ذلك.

وخطب لشجر الدر على المنابر وضربت السكة باسمها، وكان نقش السكة: المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل.

وكانت شجر الدر قد ولدت للملك الصالح ولداً مات صغيراً، وكان اسمه خليل، فسميت والدة خليل، وكانت تعلم وتكتب على المناشير

والتواقيع: والدة خليل.

ولمّا استقر الأمر على ذلك، وقع الحديث مع ملك الفرنج الذي أُسر في حياة الملك المعظم، وهـو افرنسيس في تسليم دمياط للمسلمين بالإفراج عنـه، فأجاب لذلك، وتقـدم إلى نوابـه بتسليمها، فسلموها، وصعد إليها العَلَم السلطاني يوم الجمعة، لثلاثٍ مضين من صفر، **سنة ثمان وأربعين وست مئة**، وأطلق المذكور، فركب البحر بمن معه نهار السبت غداة الجمعة، وأقلعوا إلى عكا.

ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم إلى سـائر الأقطار، ثم عادت العساكر، ودخلت القاهرة يوم الخميس، تاسع صفر المذكور، وأرسل المصريون رسولاً إلى الأمراء الذين بدمشق في موافقتهم على ذلك، فلم يجيبوا إليه.

* * *

سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك التركماني

لما جرى ما ذُكر من أخبار شجر الـدر، حصل الكلام بين كبـراء الدولة: أنه إذا استقر أمر المملكة على امرأة على ما هو عليه الحال، تفسد الأمور، واتفقوا على إقامة عز الدين أيبك التركماني الجاشنكير الصالحي في السلطنة، ومعنى الجاشنكير: مشد الشربخانـة، فأقامـوه، وركـب بالصناجق السلطانية، وحملت الغاشية بين يديـه يوم السبت، آخر ربيع الآخر، سنة ثمان وأربعين وست مئة، ولقب: الملك المعز، وأبطلت

السكة والخطبة التي كانت باسم شجر الدّر، فأقام على ذلك خمسة أيام، وخلع.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الأشرف موسى بن يوسف

هو الملك الأشرف موسى بن يوسف بن يوسف صاحبُ اليمن، المعروف باقسيس ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب.

لما جرى ما ذكر من سلطنة المعز أيبك التركماني، اجتمعت الأمراء، واتفقوا على أنه لا بد من إقامة شخص من بني أيوب في السلطنة، واجتمعوا على إقامة موسى المذكور، ولقبوه: الملك الأشرف، وأن يكون أيبك التركماني أتابِكَه، وأُجلس الأشرف في دَسْت السلطنة، وحضرت الأمراء في خدمته يوم الخميس، لخمس مضين من جمادى الأولى، سنة **ثمان وأربعين وست مئة**.

ثم حصل بينه وبين الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وقعات، وسار الناصر يوسف إلى الديار المصرية ليأخذها، وكُسِر وانهزم.

وفي سنة اثنتين وخمسين وست مئة: اغتال الملكُ المعزُّ أيبك التركماني المستولي على مصر خوشداشَه أقطاي الجمدار، وأوقفَ له

في بعض دهاليـز الدور التي بقلعـة الجبل ثلاثـةَ مماليك، فلما مر بهم فارسُ الدين أقطـاي، ضربـوه بسيوفهم، وقتلوه، وكان الفارس أقطاي يمنع أيبك من الاستقلال بالسلطنة، وكان الاسم للملك الأشرف موسى، فلما قُتل أقطاي، أبطل المُعزُّ أيبك الأشرفَ موسى المذكور من السلطنة بالكلية، وبعث به إلى عماته القطبيات.

وموسى المذكـور هو الذي أقام الترك في مملكة مصر، وهو آخر من خُطب له من بيت أيوب بالسلطنة في مصر، وكان انقراض دولتهم من الديار المصرية في هذه السنة، وهي سنة اثنتين وخمسين وست مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة المعز أيبك التركماني

لما قُتل أقطاي، استقل المعز أيبـك التركماني بالسلطنـة، وأبطل الأشرفَ موسى ـ كما تقدم ـ، وتزوج المعز أيبك شجرَ الدر أمَّ خليل التي خطب لها بالسلطنة في ديار مصـر، وقُتل المعـز أيبك في يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين من ربيع الأول، سنة خمس وخمسين وست مئة، قتلته امرأته شجر الدر المذكورة، وكان سبب ذلك: أنه بلغها أنه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ويريد أن يتزوجها، فقتلته في الحمَّام بعد عَوده من لعب الأكرة في النهار المذكور، وكان الذي قتله: سنجر الجوهري مملوك الطواشي محسن، والخدم، حسبما اتفقت معهم عليه

شجر الدر، وأرسلت في تلك الليلة أصبع المعز أيبك وخاتمه إلى الأمير عز الدين الحلبي الكبير، وطلبت منه أن يقوم بالأمر، فلم يجسُر على ذلك، ولمَّا ظهر الخبر، أراد مماليك المعز أيبك قتلَ شجر الدر، فحماها المماليك الصالحية.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك

لما قُتل الملك المعزُّ أيبك، اتفقت الكلمة على إقامة نور الدين علي ابن المعز أيبك، ولقبوه: الملك المنصور، وعمره يومئذ خمس عشرة سنة.

ونُقلت شجر الدر من دار السلطنة إلى البرج الأحمر، وصَلبوا الخدَّام الذين اتفقوا معها على قتل المعز أيبك، وهرب سنجر الجوجري ثم ظفروا به، وصلبوه.

وفي سادس عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة قُتلت شجر الدر، وأُلقيت خارج البرج، فحُملت إلى تربة كانت قد عملتها، وكانت تركية الجنس، وقيل: أرمنية، وكانت مع الملك الصالح في الاعتقال في الكرك.

واستمر المنصور في السلطنة إلى أواخر سنة سبع وخمسين وست مئة.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك المظفر قُطُز

لما كان في أوائل [ذي] الحجة، **سنة سبع وخمسين وست مئة**: قبض سيف الدين قطز على ولد أستاذه الملك المنصور نور الدين علي ابن المعز أيبك، وخلعه من السلطنة، واستقل قطز في ملك الديار المصرية، وتلقب بالملك المظفر.

ثم عزم على الخروج إلى الشام، بسبب قتال التتر لما استولوا على المملكة الشامية، فسار من الديار المصرية في أوائل رمضان، **سنة ثمان وخمسين وست مئة**، فدخل إلى الشام، وانهزم التتر هزيمة قبيحة، وقتل مقدمهم كتبغا، وانتصر عسكر الإسلام.

ثم قرر الملك المظفر قطز أمر الشام، وسار إلى جهة البلاد المصرية.

وكان قد اتفق بيبرس البندقداري الصالحي مع أنص مملوكِ نجم الدين الرومي الصالحي، والهاروني، وعلم الدين طغان أوغلي على قتل المظفر قطز، وساروا معه يتوقعون الفرصة، فلما وصل قطز إلى القصير بطرف الرمل، وبينه وبين الصالحية مرحلة، وقد سبق الدهليز والعسكر إلى الصالحية، فبينما قطز يسير، إذ قامت أرنب بين يديه، فساق عليها، وساق هؤلاء المذكورون معه، فلما أبعدوا، تقدم إليه أنص، وشفع عند

الملك المظفر قطز في إنسان، فأجابه إلى ذلك، فأهوى ليقبل يده، وقبض عليها، فحمل عليه بيبرس البندقداري حينئذ، وضربه بالسيف، واجتمعوا عليه، ورموه عن فرسه، ثم قتلوه بالنشاب، وذلك في سابع عشر ذي القعدة، سنة ثمان وخمسين وست مئة، فكانت مدة ملكه أحد عشر شهراً، وثلاثة عشر يوماً، وسار بيبرس وأولئك بعد مقتله حتى وصلوا الدهليز بالصالحية.

* * *

سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري

هو ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحيُّ النجميُّ، لما وصل هو والجماعة الذين قتلوا الملك المظفر قطز إلى الدهليز المتقدم بالصالحية، جلس الظاهر بيبرس في مرتبة السلطنة، واستدعيت العساكر للتحليف، فحلفوا له في اليوم الذي قتل فيه قطز، واستقر في السلطنة، وتلقب بالملك القاهر ركن الدين بيبرس الصالحي، ثم بعد ذلك غير لقبه عن الملك القاهر، وتلقب بالملك الظاهر؛ لأنه بلغه أنه لقب غير مبارك، ما تلقب به أحد فطالت مدتُه، وكان الملك الظاهر قد سأل من قطز النيابة بحلب، فلم يجبه إليها؛ ليكون ما قدره الله تعالى.

ولما حلف الناس للملك الظاهر بالصالحية، ساق في جماعة من أصحابه، وسبق العسكر إلى قلعة الجبل، ففتحت له، ودخلها، واستقرت قدمه في المملكة، وكانت قد زينت مصر والقاهرة لمقدم قطز، فاستمرت

الزينة لسلطنة بيبرس، وكان مقتل قطز وسلطنة بيبرس في سابع عشر ذي القعدة، سنة ثمان وخمسين وست مئة.

وكان علم الدين سليمان الحلبي قد استنابه الملك المظفر قطز بدمشق، فلما جرى ما ذكر من قتل قطز، وسلطنة الظاهر بيبرس، تسلطن سنجر المذكور، بالشام وهو أنه جمع الناس، وحلفهم بالسلطنة لنفسه، وذلك في العشر الأول من ذي الحجة، فأجابه الناس إلى ذلك، وحلفوا له، ولم يتخلف عنه أحد، ولقب نفسه: الملك المجاهد، وخطب له بالسلطنة، وضربت السكة باسمه، وكاتب الملك المنصور صاحبَ حماة، فلم يجبه، وقال: إنا مع ملك الديار المصرية كائناً من كان.

ثم في سنة تسع وخمسين وست مئة: جهز الملك الظاهر بيبرس صاحبُ مصر عسكراً مع علاء الدين البندقداري، وهو أستاذ الملك الظاهر لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولي على دمشق، فوصلوا دمشق في ثالث عشر صفر، وخرج لقتالهم، واقتتل معهم، فهزموه، وهرب لجهة بعلبك، فتبعه العسكر، وقبضوا عليه، وحُمل إلى الديار المصرية، فاعتُقل ثم أُطلق، واستقرت دمشق في ملك الملك الظاهر بيبرس، وأقيمت له الخطبة بها، وبغيرها من الشام؛ مثل: حماة، وحلب، وحمص، وغيرها.

وفي سنة تسع وخمسين وست مئة: كان ابتداء الخلفاء العباسية بالديار المصرية في أيام الملك الظاهر بيبرس ـ على ما تقدم شرحه في ترجمة الخليفة المستنصر بالله ـ.

وفي سنة إحدى وستين وست مئة: سار الملك الظاهر إلى جهة الشام، واستولى على الكرك، وأغار على عكا وبلادها، وهدم كنيسة الناصرة، وهي من أكبر مواطن عبادات النصارى؛ لأن منها خرج دين النصرانية.

ثم في سنة ثلاث وستين وست مئة: سار من الديار المصرية بعساكره إلى جهاد الإفرنج، ونازل قيسارية الشام، وضايقها، وفتحها، وهدمها، وسار إلى أرسوف، وفتحها.

وفي سنة أربع وستين وست مئة: سار بعساكره من الديار المصرية إلى الشام، وجهز عسكراً إلى ساحل طرابلس، ففتحوا القليعات، وحلب، وعرقا.

ونزل على صفد ثامن شعبان، وضايقها بالزحف وآلات الحصار، وفتحها في تاسع عشر شعبان بالأمان، ثم قتل أهلها عن آخرهم، ثم بعد فتوح صفد جهز العسكر إلى بلاد الأرمن، فدخلوا إلى بلاد سيس، وداسوهم وأفنوهم قتلاً وأسراً، ثم عاد إلى البلاد المصرية.

وفي سنة ست وستين وست مئة: توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره إلى الشام، وفتح يافا، وأخذها من الفرنج، ثم سار إلى أنطاكية، فملكها، ثم عاد إلى الديار المصرية.

وفي سنة تسع وستين وست مئة: توجه الملك الظاهر بيبرس إلى الشام، ونازل حصن الأكراد، وحاصره، وملكه بالأمان، ثم سار إلى حصن القرين، ونازله، وتسلمه بالأمان، وهدمه، ثم عاد إلى مصر.

وفي **سنة خمس وسبعين وست مئة**: توجه الملك الظاهر بعساكره إلى الشام، وسار إلى بلاد الروم، واستولى على قيسارية، ثم عاد إلى دمشق، فوصل إليها في خامس المحرم، سنة ست وسبعين وست مئة، ونزل بالقصر الأبلق.

وتوفي في يوم الخميس، السابع والعشرين من المحرم، **سنة ست وسبعين وست مئة** وقت الزوال، وكتم مملوكُه ونائبه بدر الدين تتليك المعروف بالخزندار موته، وصبره، وتركه بقلعة دمشق إلى أن بنيت تربته بدمشق قرب الجامع، فدفن بها، وهي مشهورة معروفة، وارتحل بدر الدين بالعساكر ومعهم المحفَّة، مظهراً أن الملك الظاهر فيها، وأنه مريض، وسار إلى ديار مصر، وكان الملك الظاهر قد حلف العسكر لولده بركة بن بيبرس، ولقَّبه: الملك السعيد، وجعله وليَّ عهده، فوصل تتليك الخزندار بالعساكر والخزائن إلى الملك السعيد بقلعة الجبل، وعند ذلك أظهرَ موت الملك الظاهر، وجلس ابنُه السعيد للعزاء.

وكانت مدة مملكة الملك الظاهر نحو سبعَ عشرةَ سنة، وشهرين وعشرة أيام، وكان ملكاً جليلاً، شجاعاً عاقلاً مهيباً، ملكَ الديار المصرية والشام، وفتح الفتوحات الجليلة؛ مثل: صفد، وحصن الأكراد، وأنطاكية، وغيرها، وحكم وعدل، وأبطل المظالم وأسقط تشفع الأملاك، وكان جملة ما يحمل منها إلى الديوان ألف ألف دينار، مع عدة مظالم.

واهتم بعمارة الحرم الشريف النبوي، وجهز إليه أصناف الآلات والصنَّاع والمهندسين في البر والبحر، والزيت والشمع، وزاد فيه كثيراً.

واهتم بكسوة الكعبة المشرفة، وطيف بها بالقاهرة، وعدل في الرعية، وله محاسن كثيرة ـ تغمده الله برحمته ـ.

وكان أسمر، أزرق العينين، جهوري الصوت، وكان مملوك أيدكين البندقدار الصالحي، ثم أخذه الملك الصالح من البندقدار، فانتسب إليه دون أستاذه، وكان يخطب له، وينقش على الدراهم والدنانير: بيبرس الصالحي.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك السعيد محمد بركة ابن الملك الظاهر بيبرس

كان والده أركبه بشعار السلطنة، وخرج بنفسه في ركابه، وحمل الغاشية بين يديه في ثالث عشر شوال، سنة اثنتين وستين وست مئة، ثم اشتغل والده بالجهاد، وتجهيز العساكر، فلما توفي بدمشق، وكتم مملوكه بدرُ الدين موته، وحضر إلى الديار المصرية إلى الملك السعيد، وأظهر موت الظاهر، استقر الملك السعيد في السلطنة في أوائل ربيع الأول، **سنة ست وسبعين وست مئة**.

ثم إن الملك السعيد خَبَّط، وأراد تقديم الأصاغر، وأبعد الأمراء الكبار، ففسدت نيات الأمراء الكبار عليه.

ثم في **سنة سبع وسبعين وست مئة**: سار الملك السعيد إلى الشام، وصحبته العساكر، وجرَّد العسكر، ودخلوا إلى بلاد سيس، وشنوا

الإغارة عليها، وغنموا.

ثم عادوا إلى جهة دمشق، واتفقوا على خلاف الملك السعيد، وخلعِه من السلطنة؛ لسوءِ تدبيره، وعبروا على دمشق، ولم يدخلوها، فأرسل إليهم، واستعطفهم، ودخل عليهم بوالدته، فلم يلتفتوا إلى ذلك، وأتموا السير، فركب، وساق، فسبقهم إلى مصر، وطلع إلى قلعة الجبل، فوصلت العساكر الخارجون عن طاعته إلى الديار المصرية في ربيع الأول، وحصروا الملك السعيد بقلعة الجبل، فخامر عليه غالبُ من كان معه، فلما رأى الملك السعيد ذلك، أجابهم إلى الانخلاع من السلطنة، وأن يُعطى الكرك، فأجابوه إلى ذلك، وأنزلوه من القلعة، وخلعوه في ربيع الأول، سنة ثمان وسبعين وست مئة، وسفَّروه من وقته إلى الكرك، فوصل إليها، وتسلمها بما فيها من الأموال، وكانت شيئاً كبيراً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك العادل بدر الدين سلامش

لما جرى ما ذكرناه من خلع السعيدِ بركة، وإعطائه الكَرَك، اتفق أكابر الأمراء الذين فعلوا ذلك على إقامة بدر الدين سلامش في المملكة، ولقبوه: الملك العادل، وعمره إذ ذاك سبع سنين وشهور، وخُطب له، وضُربت السكة باسمه، وذلك في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وسبعين وست مئة، وصار الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي أتابكَ العساكر،

وجهز الأميرَ شمسَ الدين سنقر الأشقر إلى دمشق، وجعله نائب الشام، ثم إن الأمير سيف الدين قلاوون خلع سلامش، وعزله في يوم الأحد، الثاني والعشرين من رجب، سنة ثمان وسبعين وست مئة.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك المنصور قلاوون الصالحي

هو سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي، وجنسه قفجاقي، كان مملوكاً للأمير علاء الدين الساقي الصالحي، وهو أول مملوك بيع بألف دينار في مصر، جلس للسلطنة بعد خلع سلامش في يوم الأحد، الثاني والعشرين من رجب، **سنة ثمان وسبعين وست مئة**، وأقام منار العدل، وأحسن سياسة الملك، وقام بتدبير السلطنة أحسن قيام.

ثم إن الأمير شمس الدين سنقر والي دمشق جلس للسلطنة في الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وسبعين وست مئة، وحلف له الأمراء والعسكر الذين عنده بدمشق، وتلقب: الملك الكامل.

وفي هذه السنة توفي الملك السعيد بركة بالكرك بعد وصوله إليها بمدة، وحمل إلى دمشق، فدفن في تربة أبيه الظاهر، ولما توفي السعيد، اتفق مَنْ في الكرك، وأقاموا موضعه أخاه نجم الدين خضر، واستقر في الكرك، ولقبوه: الملك المسعود.

ثم **في سنة تسع وسبعين وست مئة**: جهز الملك المنصور قلاوون عساكر ديار مصر مـع علم الدين سنجر الحلبي الذي تقدم ذكر سلطنته بدمشق عقيب قتـل قطـز؛ لقتـال سنقر الأشقر المستولي على الشـام، فسارت العساكر إلى الشام، وبرز سنقر الأشقر إلى ظاهر دمشق، والتقى الفريقان في تاسع عشر صفر، فولى الشاميون وسنقر الأشقر منهزمين، ونهبت العساكر المصرية أثقالهم، وهرب سنقر إلى الرحبة، ثم سار إلى صِهْيَون، واستولى عليها، وعلى برزيه، وبلاطنس، والشغر، وبكاس، وعكار، وشيزر، وفامية، فصارت هذه الأماكن لسنقر الأشقر.

وفي سنة أربع وثمانين وست مئة: سار الملك المنصور قلاوون بالعساكر المصرية والشامية إلى حصن المرقَب، ونصب عليه عدة مناجنيق كباراً وصغاراً، فطلب أهله الأمان، فأجابهم إلى ذلك، وصعدت الصناجق السلطانية عليه، وتسلَّمه في نهار الجمعة، تاسع عشر ربيع الأول، وكان يوماً مشهوداً.

وفي سنة ست وثمانين وست مئة: جهز السلطان عسكراً كثيفاً مع نائبه حسام الدين طرنطاي إلى صهيـون، فحاصرها، وأخذها من سنقر الأشقر، ثم سار إلى اللاذقية، وكان فيها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته، فحاصره، وتسلمه بالأمان، وهدمه، ثم توجه إلى الديار المصرية، وصحبته سنقر الأشقر، فلما وصلا إلى قلعة الجبل، ركـب الملك المنصور قلاوون، والتقى مملوكه حسام الدين، وسنقر الأشقر، وأكرمه، ووفى له بالأمان، وبقي سنقر الأشقر مكرَّماً محترماً مع السلطان

إلى أن توفي السلطان في سنة ثمان وثمانين وست مئة.

[....]، وذلك أن السلطان الملك المنصور قلاوون خرج بالعساكر المصرية في المحرم، وسار إلى الشام، ثم سار ونازل طرابلس يوم الجمعة، مستهل ربيع الأول، ويحيط البحر بغالب هذه المدينة، وليس عليها قتال في البر إلا من جهة الشرق، وهو مقدار قليل، ونصب عليها عدة كثيرة من المناجنيق، ولازمها بالحصار، واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاثاء، رابع ربيع الآخر بالسيف، ودخلها العسكر عَنوة، وقتل غالب رجالها، وسُبيت ذراريهم، وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة.

وكان الفرنج قد استولوا على طرابلس في سنة ثلاث وخمس مئة، في حادي عشر ذي الحجة، فبقيت في أيديهم إلى أوائل سنة ثمان وثمانين وست مئة، فتكون مدة لبثها مع الفرنج نحو مئة سنة، وخمس وثمانين سنة، وشهور.

وتوفي الملك المنصور قلاوون في سادس ذي القعدة، سنة تسع وثمانين وست مئة، في يوم السبت، وكانت مدة ملكه نحو إحدى عشرة سنة، وثلاثة شهور، وأيامٍ.

وكان مَلِكاً مُهاباً حليماً، قليلَ سفك الدماء، كثير العفو، شجاعاً، فتح الفتوحات الجليلة؛ مثل: المرقب، وطرابلس، الذي لم يجسر أحد من الملوك مثل صلاح الدين وغيره على التعرض إليهما، وكسر جيش

التتر على حمص، وكانوا في جمع عظيم، لم يطرق الشام قبله مثلُه ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

* * *

سلطنة الملك الأشرف

صلاح الدين ابن الملك المنصور قلاوون

هو صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون: جلس في الملك بعد والده في سابع ذي القعدة، **سنة تسع وثمانين وست مئة**، صبيحة اليوم الذي توفي فيه والده.

ولما استقر في السلطنة، قبض على حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة، وكان آخر العهد به، وفوض نيابة السلطنة إلى بدر الدين بيدرا.

وفي سنة تسعين وست مئة: سار الملك الأشرف بالعساكر المصرية إلى عكا، وحاصرها، واشتد عليها القتال، وفتحها الله تعالى في يوم الجمعة، السابع عشر من جمادى الآخرة بالسيف، ونصر الله المسلمين، وغنموا من عكا شيئاً يفوت الحصر من كثرته، ثم استنزل السلطان جميع من عصا بالأبرجة، وأمر بهم فضُربت أعناقهم عن آخرهم حول عكا، وأمر بمدينة عَكَّا، فهدمت إلى الأرض، ودُكَّت دكّاً.

ولما فتحت عكا، ألقى الله الرعب في قلب الفرنج الذين بساحل الشام، فأخلَوْا صيدا، وبيروت، وتسلمهما الشجاعي، وكذلك هرب أهل مدينة صور، فأرسل السلطان، وتسلمها، وتسلم عدة أماكن بغير قتال ولا تعب.

ولما تكاملت هـذه الفتوحات العظيمـة، عاد السلطان إلى الديار المصرية.

وفي سنة إحدى وتسعين وست مئة: سار الملك الأشرف بالعساكر إلى الشام، وتوجه إلى قلعة الروم، ونازلها، ونصب عليها المناجنيق، واشتد مضايقتها، ودام حصارهـا، وفتحـت بالسيف في يوم السبـت، حادي عشر رجـب، وقتل أهلها، ونُهبـت ديارهم، ثم سار إلى الديار المصرية.

وتوفي الملك الأشرف خليل في ثاني عشـر المحرم، **سنة ثلاث وتسعين وست مئة**، وسببه: أنه سار من قلعة الجبل إلى الصيد، ووصل إلى تروجة، فقصـده مماليك والـده، وهم: بيـدرا، نائـب السلطنـة، ولاجين، وجماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليه، فأولُ مَنْ ضربه بيدرا، ثم لاجيـن حتى فـارق، وتركـوه مرميـاً على الأرض، فحملـه أيدمري الفخري والي تروجـة إلى القاهـرة، فدفن في تربتـه، ولا جـرم أن الله تعالى انتقم من قاتليه المذكورين عاجلاً وآجلاً.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك القاهر بيدرا

لما قتل الملك الأشرف خليل، اتفـق الجماعـة الذين قتلوه على سلطنة بيدرا، وتلقب: الملك القاهر، وسار نحو قلعة الجبل ليملكها،

واجتمعت مماليك السلطان الملك الأشرف، وانضموا إلى زين الدين كتبغا المنصوري، وساروا في أثر بيدرا ومن معه، فلحقوهم على الطرانة في خامس عشر المحرم، سنة ثلاث وتسعين وست مئة، واقتتلوا، وانهزم بيدرا وأصحابه، وتفرقوا في الأقطار، وتبعوا بيدرا وقتلوه، ورفعوا رأسه على رمح للقاهرة، واستتر لاجين، وقراسنقر، ولم يطلع لهما خبر، فكانت مدة بيدرا يوماً واحداً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون

هو الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي، أمه بنت سكباي بن قراجين بن جنغان، وسكباي المذكور ورد إلى الديار المصرية هو وأخوه قرمشي سنة خمس وسبعين وست مئة، صحبة بيغار الرومي في الدولة الظاهرية، فتزوج السلطان الملك المنصور قلاوون ابنة سكباي المذكور في سنة ثمانين وست مئة، بعد موت أبيها بولاية عمها قرمشي، ووردت البشائر على الملك المنصور بمولد السلطان الملك الناصر محمد، وهو نازل على بحيرة حمص، عند عوده من فتح المرقَب، في سنة أربع وثمانين وست مئة، فتضاعف سرورُه به، وضربت البشائر فرحاً لمولده السعيد.

ولما جرى ما ذكرناه من قتل السلطان الملك الأشرف صلاح الدين

خليل، ثم قتل بيدرا، ووصول زين الدين كتبغا والمماليك السلطانية إلى قلعة الجبل، وبها علم الدين سنجر الشجاعي نائباً، اتفقوا على سلطنة الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، فأجلسوه على سرير السلطنة في باقي العشر الأوسط من المحرم، **سنة ثلاث وتسعين وست مئة**، وعمره يومئذ نحو تسع سنين، وتقرر أن يكون الأمير زينُ الدين المنصوري نائبَ السلطنة، وعلمُ الدين سنجر الشجاعي وزيراً، وركنُ الدين بيبرس البرجي الجاشنكير أستاذَ الدار، وتتبعوا الأمراء الذين اتفقوا مع بيدرا على ذلك، فظفروا أولاً ببهادر رأس النوبة، وآقوش الموصلي الحاجب، فضربت رقابهما، وأحرقت جثتهما، ثم ظفروا بطرنطاي الساقي، والساق، وبغية، وأروس السلحدارية، ومحمد خواجه، والطنبغا الجمدار، وآقسنقر الحسامي، فاعتقلوا بخرابة البنود أياماً، ثم قطعت أيديهم وأرجلهم، وصلبوا على الجمال، وطيف بهم وأيديهم معلقة في أعناقهم، جزاء بما كسبوا، ثم وقع قجقار الساقي، فشنق، واستمر الملك الناصر في الملك إلى تاسع المحرم، سنة أربع وتسعين وست مئة، فكانت مدة ولايته نحو السنة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري

لما كان تاريخ يوم الأربعاء، تاسع المحرم، **سنة أربع وتسعين**

وست مئة: جلس الأمير زين الدين كتبغا المنصوري على سرير الملك، ولقب نفسه: الملك العادل، واستحلف الناس على ذلك، وخُطب لـه بمصـر والشـام، ونُقشت السكة باسمه، وجعل السلطانَ الملك الناصر محمد بن قلاوون في قاعة بقلعة الجبل، وحجب عنه الناس.

ولما استقر ذلك، جعل نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين الذي كان مشيراً بسبب قتل الملك الأشرف ـ على ما تقدم ذكره ـ، وذلك بعد أن كان زين الدين كتبغا أظهر حسام الدين لاجين، وقراسنقر من الاستتار، وأخذ لهما من الملك الناصر الأمان، وأقطعهما، وأعزَّ جانبهما، واستقر الحال على ذلك.

وفي شوال سنة خمس وتسعين وست مئة: خرج العادل كتبغا من الديار المصريـة، ووصل إلى الشـام، ثم سـار إلى حمص، وعـاد إلى الشام، وولى مملوكه غرلو نيابة الشام.

فلما دخلت **سنة ست وتسعين وست مئة**: في أوائل المحرم سار من دمشق متوجهـاً إلى مصر، فلما وصـل إلى نهـر العوجـاء، واستقر بدهليـزه، وتفرقـت مماليكه إلى خيـامهم، ركـب حسام الدين لاجين المنصوري نائب الملك العادل كتبغا بصنجق، وانضم إليـه جماعة من الأمراء المتفقين معه، وقصدوا العادل، وبغتوه عند الظهر في دهليزه، فلم يلحق أن يجمع أصحابه، فركـب في نفـر قليل، فحمل عليـه نائبُه لاجين، وقتل مملوكه بكتوت الأزرق، فولَّى العادلُ كتبغا هارباً راجعاً إلى دمشق عند مملوكه، فركب غرلو، والتقاه، ودخل قلعة دمشق، واهتم

في جمع العساكر، والتأهب لقتال لاجين، فلم يوافقه عسكر دمشق على ذلك، ورأى منهم التجادل، فخلع نفسه من السلطنة وقعد بقلعة دمشق، وأرسل إلى حسام الدين لاجين يطلب منه الأمان، وموضعاً يأوي إليه، فأعطاه صرخد، فسار إليها، واستقر فيها.

وكانت مدة ولايته نحو سنتين، ثم في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون استقر في نيابة حماة في سنة تسع وتسعين وست مئة، وتوفي في ليلة الجمعة، عاشر ذي الحجة، سنة اثنتين وسبع مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري

لما جرى ما تقدم ذكره من انهزام الملك العادل كتبغا، نزل حسام الدين لاجين بدهليزه على نهر العوجاء، واجتمع معه الأمراء الذين وافقوه، وشرطوا عليه شروطاً، فالتزمها، منها: أن لا ينفرد عنهم برأي، ولا يسلط مماليكه عليهم؛ كما فعل بهم كتبغا، فأجابهم لذلك، وحلف عليه، فعند ذلك حلفوا له، وبايعوه بالسلطنة، ولُقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري، وذلك في شهر المحرم، **سنة ست وتسعين وست مئة**.

ثم رحل بالعساكر إلى الديار المصرية، ووصل إليها، واستقر بقلعة الجبل، وأعطى العادل كتبغا صرخد ـ كما تقدم ـ، وأرسل إلى دمشق

سيف الدين قبجق المنصوري، وجعله نائب السلطنة بالشام، وأُخرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من القلعة التي كان فيها بقلعة الجبل إلى الكرك، وسار معه سَلاَّر، فأوصله إليها، ثم عاد سلاَّر.

ثم في سنة سبع وتسعين وست مئة: جرد حسام الدين لاجين جيشاً من الديار المصرية مع جماعة من الأمراء، فساروا إلى الشام، وصحبوا معهم عسكر الشام، وشنوا الغارات على بلاد سيس، وكسبوا وغنموا، ومن جملة العسكر الشامي: ركن الدين بيبرس العجمي المعروف بالجالق، ثم عادوا إلى سيس ثانياً، وفتحوا حموص، وغيرها من بلاد الأرمن.

ثم في سنة ثمان وتسعين وست مئة: وثب على السلطان الملك المنصور لاجين جماعة من المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه، فقتلوه وهو يلعب بالشطرنج في ليلة الجمعة، حادي عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

والحمد لله وحده.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية

لما جرى ما ذكر من قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين، اجتمع الأمراء، واتفقت آراؤهم على إعادة الملك الناصر محمد بن قلاوون المقيم بالكرك إلى مملكته، فتوجه سيف الدين ابن الملك، وعلم

الدين الجاولي إلى الكرك، وأحضراه إلى الديار المصريـة، فصعد إلى قلعة الجبل، واستقر على سرير ملكه في يوم السبت، رابع عشر جمادى الأولى، **سنة ثمـان وتسعين وسـت مئـة**، وعمـره يومئـذ نحـو خمس عشرة سنة.

وفي سنة تسع وتسعين وست مئة: استولى التتر على الشام، وسار السلطان والعساكر الإسلامية، ووقع مصاف عظيمة.

ثم في سنة سبع مئة: أدرك الله المسلمين بلطفـه، وردَّ التتر على أعقابهم بقدرته، فعادوا إلى بلادهـم.

وفي سنة إحدى وسبع مئة: جرد من مصر بدر الدين بكتاش أمير سلاح، وأيبك الخازندار، ومعهما العساكر، وحصلت إغارة على بلاد سيس.

وفي سنة اثنتين وسبع مئة: فتحت جزيرة أرواد، وهي جزيرة في بحر الروم قبالة انطرطوس، قريبـاً من الساحل، يجتمـع فيها كثيـر من الفرنج، وجرى فيها قتال شديد، ونصر الله المسلمين، وملكوها، وقتلوا وأسروا أهلها، وخربوا أسوارها، وعادوا إلى الديار المصرية بالأسرى والغنائم.

ثم في هذه السنة عاودت التتر قصد الشام، وحصل مصاف بينهم وبين العسكر الإسلامي، وكسر التتر مرةً بعد أخرى، وحصل للمسلمين النصرة العظيمة.

وفي سنة ثمان وسبع مئة: في يوم السبت، الخامس والعشرين من رمضان خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية متوجهاً إلى الحجاز الشريف، وسار في خدمته جماعة من الأمراء، ووصل إلى الصالحية، وعَيَّد بها عيد الفطر، ثم سار إلى الكرك، فوصل إليها في عاشر شوال، فلما استقر بقلعة الكرك، أمر نائبها والأمراء الذين حضروا معه في خدمته بالمسير إلى الديار المصرية، وأعلمهم أنه إنما جعل السفر إلى الحجاز وسيلةً إلى المقام بالكرك.

وكان سبب ذلك: استيلاء سلار وبيبرس الجاشنكير على المملكة، واستبدادُهما بالأمور، وتجاوزهما الحد في الانفراد بالأمر والنهي، ولم يتركا للسلطان غير الاسم، مع ما كان من محاصرة السلطان في القلعة، وغير ذلك مما لا تنكبس النفس له، فأنف السلطان من ذلك، وترك الديار المصرية، وأقام في الكرك.

وكانت مدة ملكه في السلطنة الثانية عشر سنين، وأربعة أشهر، وعشرة أيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير

لما وصل الأمراء الذين كانوا في خدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك إلى الديار المصرية، وأَعلموا من بها بإقامة السلطان

بالكرك، وفراقِه الديار المصرية، اشتوروا فيما بينهم، واتفقوا على أن تكون السلطنة لبيبرس الجاشنكير، ومعناه: مشد الشربخانة، وأن يكون سلار مستمراً على نيابة السلطنة كما كان عليه، وحلفوا على ذلك، وركب بيبرس الجاشنكير من داره بشعار السلطنة إلى الإيوان الكبير بِقُلَّة قلعة الجبل، وجلس على سرير الملك في يوم السبت، الثالث والعشرين من شوال، **سنة ثمان وسبع مئة**، وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري، وأرسل إلى نواب السلطنة بالشام، فحلفوا لـهُ عن آخرهم، وكتب تقليداً للملك الناصر محمد بن قلاوون، بالكرك، ومنشوراً بما عينه له من الإقطاع بزعمه، وأرسلهما إليه، واستقر الحال على ذلك.

[. . . .] المنصوري نائب حلب، شرع في الباطن يستميل الناس إلى طاعة الملك الناصر محمد بن قلاوون، ويفسخ عندهم طاعة بيبرس الجاشنكير.

وفي سنة تسع وسبع مئة: سار جماعة من المماليك من الديار المصرية مفارقين طاعة بيبرس، ووصلوا إلى الملك الناصر بالكرك، وأعلموه بما الناس عليه من طاعته ومحبته، فأعاد الملك الناصر خطبته بالكرك، ووصلت إليه مكاتبات عسكر دمشق يستدعونه، وأنهم باقون على طاعته، ووصل إليه ـ أيضاً ـ مكاتبات من حلب، فسار الملك الناصر بمن معه من الكرك في جمادى الآخرة، ثم بلغه كلام، فرجع إلى الكرك، واستمرت العساكر على طاعته واستدعائه ثانياً، وانحلت دولة بيبرس الجاشنكير، وجاهره الناس بالخلاف، فلما تحقق الناصر صدق طاعة

العناصر الشامية، وبقاءهم على طاعته ومحبته، عاود المسير إلى دمشق، وخرج من الكرك ثانياً، ووصل إلى دمشق في يوم الثلاثاء، ثامن عشر شعبان من السنة المذكورة، ونزل بالقصر الأبلق، ولمَّا تكاملت للسلطان عساكر الشام، أمرهم بالتجهيز للمسير إلى ديار مصر، وأرسل إلى الكرك وأحضر ما بها من الحواصل، وأنفق في العسكر، وسار بهم من دمشق في يوم الثلاثاء، تاسع رمضان، ووصل إلى غزة في يوم الجمعة، تاسع عشر رمضان، فقدم إلى طاعته عسكر مصر أوّلاً فأوّلاً.

وكان يلتقيه في كل يوم وهو سائر طلبٌ بعد طلب من الأمراء والمماليك والأجناد، ويقبلون الأرض، ويسيرون صحبته، فلما تحقق بيبرس الجاشنكير ذلك، خلع نفسه من السلطنة، وأرسل يطلب الأمان، وأن يتصدّق عليه، ويعطيه إمّا الكرك، أو حماة، أو صهيون، وأن يكون معهُ ثلاث مئة مملوك من مماليكه، فوقعت إجابة الملك الناصر إلى مئة مملوك، وأن يعطيه صهيون، وأتمّ الملك الناصر السير، وهرب الجاشنكير من قلعة الجبل إلى جهة الصعيد، وكانت مدة ولايته أحد عشر شهراً. والحمد لله وحده.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون

لمّا وصل الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى قريب القاهرة، خرج سلار نائب السلطنة إلى طاعته، والتقاه في يوم الاثنين، التاسع والعشرين

من رمضان، قاطع بِرْكة الحجاج، وقبّل الأرض، وضرب للملك الناصر الدهليز بالبركة، وأقام بها يوم ثلاثاء سلخ رمضان، وعَيَّد يوم الأربعاء بالبركة، ودخل السلطان في نهاره، والعساكر المصرية والشامية سائرون في الخدمة، وعلى رأسه الجنز، ووصل إلى قلعة الجبل، وصعد إليها، واستقر على سرير ملكه بعد العصر من نهار الأربعاء، مستهل شوال، **سنة تسع وسبع مئة**، وعمره يومئذ نحو ستة وعشرين سنة، وهي سلطنته الثالثة.

[. . . .] الجاشنكير قصد المسير إلى صهيون حسب ما كان قد سأله، ففوّز من أطفيح إلى السويس، وسار إلى الصالحية ثم سار منها حتى وصل قريب الداروم من أعمال غزة، وكان قراسنقر متوجهاً إلى دمشق نائباً بها، فوصل إليه المرسوم بالقبض على بيبرس الجاشنكير، فركب، وكبسه في المكان الذي هو فيه، وقبض عليه، وسار به إلى جهة مصر حتى وصل إلى الحطارة، فوصل من الأبواب الشريفة أسندمر الكرجي، فتسلم بيبرس، وعاد قراسنقر للشام، فوصل بيبرس إلى قلعة الجبل، واعتُقل في يوم الخميس، رابع عشر ذي القعدة من السنة المذكورة، وكان آخر العهد به.

وفي سنة اثنتي عشرة وسبع مئة: حجّ السلطان إلى بيت الله الحرام، وعاد من الحجاز إلى دمشق المحروسة في يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم، سنة ثلاث عشرة وسبع مئة، بعد أن أقام في الكرك أياماً.

وفي سنة خمس عشرة وسبع مئة: جهّز السلطان عسكراً ضخماً

من الديار المصرية، ورسم لجميع عساكر الشام بالمسير معهم، وجعل على الكل مقدّماً الأمير سيف الدين تنكز الناصري نائب السلطنة بدمشق، وساروا إلى ملطية، وفتحوها، ونهبوا جميع ما فيها، واسترقُّوا النصارى عن آخرهم.

وفي سنة تسع عشرة وسبع مئة: توجه السلطان إلى الحجاز الشريف، وخرج من قلعة الجبل إلى الدهليز المنصور بُكْرَةَ السبت، ثاني ذي القعدة، ووصل إلى مكة المشرفة، وقضى مناسكه؛ بحيث إنه حافظ على الأركان والواجبات والسنن محافظة لم ير مثلها، وأحسنَ وتفضَّل على من كان بخدمته، وقدم إلى مقر ملكه، واستهل المحرم في القصب، ودخل قلعة الجبل بكرة نهار السبت، ثاني عشر المحرم، سنة عشرين وسبع مئة.

وفي السنة المذكورة: سارت العساكر من الشام وحلب وحماة بمرسوم السلطان، وأغاروا على بلاد سيس، وغنموا منها، وأحرقوا البلاد والزرع، وساقوا المواشي، ثم عادوا.

وفي سنة إحدى وعشرين وسبع مئة: حج تنكز نائب الشام.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة: حج السلطان إلى بيت الله الحرام، ودخل إلى القاهرة في ثامن عشر المحرم، سنة ثلاث وثلاثين سبع مئة.

وتوفي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ـ رحمهُ الله تعالى ـ يوم الأربعاء، تاسع عشر ذي الحجة الحرام، سنة إحدى وأربعين وسبع

مئة بالقلعة، وصلى عليه عز الدين بن جماعة إماماً، وأنزل ليلة الخميس إلى المدرسة المنصورية، ودفن بها مع أبيه قلاوون ـ رحمهما الله تعالى ـ.

وكانت مدة ملكه هذه اثنتين وثلاثين سنة، وشهرين، وتسعة عشر يوماً، وهذه السلطنة الثالثة التي صفا له الوقت فيها، فكانت مدة مملكته في ولاياته الثلاثة ثلاثة وأربعين سنة، وسبعة أشهر، وتخللت بين ولاياته ولاية كتبغا، ولاجين، وبيبرس نحو خمس سنين وشهرين، فكانت المدة من حين ابتداء سلطنته إلى حين وفاته تسعاً وأربعين سنة، وتوفي وعمره ثمان وخمسون سنة.

وكان ملكاً معتبراً، أخباره مشهورة، وكان راتبهُ من اللحم في كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل بالمصري، وبالغ في شراء الخيل، فاشترى فرساً بمئتي ألف درهم ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة سيف الدين
أبي بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو سيف الدين أبو بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، جلس على سرير الملك ثاني يوم وفاة والده، وكان عمره نحواً من عشرين سنة، واستمر إلى أواخر صفر، سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة، وخُلع لمَّا صدر

عنه من الأفعال التي ذكر أنه تعاطاها؛ من شرب المسكر، وغشيان المنكرات، وجُهِّز إلى قوص، فكانت مدته شهرين وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة علاء الدين كجك

هو علاء الدين كجك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، تسلطن بعد أخيه المنصور أبي بكر، وعمره يومئذ ست سنين، وناب له الأمير سيف الدين قوصون الناصري، واستمر إلى يوم الأحد، تاسع شوال، سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة، وخُلع، واعتلُّوا بصغره، فكانت مدته سبعة أشهر، وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر
أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، جلس على سرير الملك يوم الاثنين، عاشر شوال، سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة هو والخليفة الحاكم، فخطب الخليفة، وخلع الأشرفَ وولَّى الناصر، وكان مولده سنة ست عشرة وسبع مئة، وفي سلخ ذي القعدة، سنة اثنتين

وأربعين وسبع مئة خرج السلطان إلى الكرك، ومعه أموال جزيلة، فدخلها ثامن [ذي] الحجة، فوردت الأخبار عنه إلى مصر بما لا يرضي الناس؛ من اللعب، والاجتماع بالأراذل، وقتله لطشتمر، والفخري، وتقريبه للناصري، فخُلع وهو بالكرك في المحرم، سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة، وحوصر إلى أن مُسك بها في صفر، سنة خمس وأربعين وسبع مئة، وذُبح، وأحضر الأمير سيف الدين منجك رأسَه إلى القاهرة، وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر، وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الملك الصالح أبو الفداء إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان أجود إخوته، جلس علىِ سرير الملك بعد خلعِ أخيه الناصر أحمد في يوم الخميس، ثاني عشر المحرم، **سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة**، وكانت أيامه صالحة طيبة، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع ربيع الآخر، **سنة ست وأربعين وسبع مئة**، وكانت مدة ولايته ثلاث سنين، وشهرين، وأياماً.

والحمد لله وحده.

* * *

سلطنة الملك الكامل سيف الدين
شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، تسلطن بعهد من أخيه الملك الصالح إسماعيل، وهو شقيقه.

واتفق أنه ركب من باب القصر إلى الإيوان يوم الاثنين، تاسع ربيع الآخر، سنة ست وأربعين، ليحضر دار العدل، فلعب بـه الفرس، فنزل ومشى، فتطير به الناس، ثم خُلع بعد سنة ودون الشهر؛ لأنه كان مكثراً من مسك الأمراء بغير سبب، وكان قد قبض على أخيه حاجي، وسجنه هو وأخوه حسين والـد الأشرف شعبان في جمادى الأولى، سنة ست وأربعين وسبع مئة، وكان قد قَتل قبل ذلك أخاهما يوسف، فلما زالت دولته يوم الاثنين، أول جمادى الآخرة، سنة سبع وأربعين وسبع مئة، أُمسك، وسُجن مكان أخيه حاجي، ونُقل حاجي إلى تخـت السلطنة، وأكل سماط الكامل، وأكل الكامل سماطه بالسجن، وعدم من ذلك اليوم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم.

* * *

سلطنة الملك سيف الدين
حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو سيف الدين حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولد وأبوه بالحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة، وجلس على تخت الملك

أول يوم من جمادى الآخرة، سنة سبع وأربعين وسبع مئة، واستمر إلى ثاني شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبع مئـة، فوقع بينه وبين الأمراء، فخرجوا، فتبعهم في طائفة قليلة، فأمسكوه، وقتلوه في التاريخ المذكور.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر

حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، مولده سنة خمس وثلاثين وسبع مئة، وكان: اسمه قمارى، فبعد أن تسلطن، سمى نفسه بحسن، وكانت سلطنته في رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبع مئة، واستمر إلى أن خلع في ثامن عشرين جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة، وكانت مدته ثلاث سنين، وتسعة أشهر، ونصف.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك الصالح

صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هـو الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو ابن بنت تنكز نائب الشام، تسلطن بعـد خلع أخيـه حسن في ثامن عشرين جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة، واستمر إلى أن

خلع في شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة. وكان مولده في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة، لم يكمل أربعاً وعشرين سنة، وكانت مدته ثلاث سنين وربع سنة وأيام.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

سلطنة الملك الناصر حسن

في يوم الاثنين، ثاني شوال، **سنة خمس وخمسين وسبع مئة**: اتفق شيخون، والأمراء على خلع الملك الصالح، وإعادة الملك الناصر حسن، فجلس على سرير الملك، وشرع في عمارة مدرسته المشهورة بالرميلة تجاه قلعة الجبل ولم تكمل، وذلك أنه همَّ بمسك يلبغا، فالتقيا، وانهزم السلطان، ولجأ إلى القلعة، ثم هرب على هَجينٍ لجهة الكرك، فأُمسك، وأُحضر إلى يلبغا، فأعدمه وذلك في يوم الأربعاء، تاسع جمادى الأولى، **سنة اثنتين وستين وسبع مئة**، وكانت مدة مملكته الثانية ست سنين، وسبعة أشهر، وأياماً، ولم يعلم له مكان، وخلف عشر بنين، فكانت ولايته في المرتين عشر سنين، وأربعة أشهر، وأياماً.

* * *

سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي

هو الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي، استقر في

السلطنة بعد قتل عمه الملك الناصر حسن في يوم الأربعاء، تاسع جمادى الأولى، سنة اثنتين وستين وسبع مئة، ثم خُلع يوم الثلاثاء، خامس عشر شعبان، سنة أربع وستين وسبع مئة، وكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر، وستة أيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الأمجد حسين

هو الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الأمجد حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، مولده سنة أربع وخمسين وسبع مئة، استقر في الملك بعد خلع المنصور باتفاق الأمراء في النصف من شعبان، سنة أربع وستين وسبع مئة، وله من العمر عشر سنين، واستمر في الملك أربع عشرة سنة.

وقُتل في يوم الاثنين، خامس ذي القعدة، سنة ثمان وسبعين وسبع مئة، اجتمع عليه جماعة من الأمراء، فاختفى عنهم، فظفروا به، وخنقوه، وجعلوه في قفة، ورموه داخل بئر، ثم أخرجوه بعد أيام، ودفنوه في الكيمان عند السيدة نفيسة، ثم نقله خُدَّامه في ليلته إلى تربة والدته.

وكان ـ رحمه الله ـ من حسنات الدهر، ليناً حليماً، محباً لأهل الخير، مقرِّباً للعلماء والفقراء، مقتدياً بالأمور الشرعية.

وخلف سبع بنين وسبع بنات ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المنصور علي ابن الملك الأشرف شعبان

استقر الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان بن حسين في السلطنة بعد قتل أبيه في يوم الخميس، ثامن ذي القعدة، **سنة ثمان وسبعين وسبع مئة**، وهو ابن ثمان سنين، وقبل له البيعة الأميرُ أقتمر الصاحبي الحنبلي النائب، وأُلبس خلعة الخلافة، واستمر بها إلى أن توفي في يوم الأحد، ثالث عشر صفر، سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة، وكانت مدة مملكته أربع سنين، وثلاثة أشهر، ونصف.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان

استقر الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين في السلطنة بعد وفاة أخيه الملك المنصور علي، وأُركب من باب الستارة بخلعة الخلافة إلى الإيوان في صفر، **سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة**، وأقام بالملك سنة ونصف سنة وأياماً، وخُلع في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى وهو أول الجراكسة

هو أبو سعيد برقوق بن أنس بن عبدالله، الجهاركسي الأصل، وهو القائم بدولة الجراكسة، وهو أولهم، وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك ممن ملك الديار المصرية، والثالث والعشرون ممن ملك الديار المصرية والبلاد الشامية، والثامن ممن ملك مصر ممن مسَّه الرق، وهو من مماليك يلبغا العمري الناصري حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولي المملكة في الساعة السادسة من يوم الأربعاء، تاسع عشر رمضان، **سنة أربع وثمانين وسبع مئة**، وعمّر مدرسته بين القصرين، واستمر يدبر الأمر على أحسن الوجوه إلى أن قام عليه يلبغا الناصري، وخلعه من الملك، وسجنه بالكرك في شهر جمادى الآخرة، **سنة إحدى وتسعين وسبع مئة**، فكانت مدة سلطنته ست سنين، وثمانية أشهر، وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

* * *

سلطنة الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان[1]

استقر الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين

---

(١) كذا في الأصل، وقد سبق ذكر سلطنته قبل قليل بحروفها كما هنا.

في السلطنة بعد وفاة أخيه الملك المنصور علي، وأُركب من باب الستارة بخلعة الخلافة إلى الإيوان في صفر، سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة، وأقام بالملك سنة، ونصف سنة، وأياماً، وخُلع في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية

قد تقدم أن الملك الظاهر برقوق لما خلع من السلطنة، جُهِّزَ إلى الكرك، وسُجن بها، ثم إنه أُطلق من السجن، وتوجه إلى دمشق، ووقع له أمور يطول شرحها، ثم إن الله تعالى نصره، وقوي أمره، ثم توجه نحو الديار المصرية، ودخلها يوم الثلاثاء، رابع عشر صفر، سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة، وجددت له البيعة، وجلس على تخت الملك الشريف، وأفرج عن يلغبا الناصري، وهو الذي أمسكه أَوَّلاً حين اختفى، وقابل إساءته بإحسانه، ثم حصل منطاش في قبضته، فقتله، وجرّس رأسه بالقاهرة، وعُلق بباب زويلة، وأبطل مكوساً كثيرة، وعمّر الجسر على الشريعة، وكان ذا غور ومكر، ودهاءٍ وذكاء وفطنة.

وتوفي بقلعة الجبل، ليلة الجمعة، خامس عشر شوال، **سنة إحدى وثماني مئة** عن ستين سنة، أو قريب منها، وكانت مدته في المرة الثانية تسع سنين، وثمانية أشهر، فكانت مدته في ولايته ست عشرة سنة،

وأربعة أشهر، وأياماً، ودفن بالحوش الذي بناه الخليلي عند أرجل الفقراء والفقهاء المدفونين بالصحراء بوصيته، وأوصى لها بثمانين ألف دينار تُعَمَّر منها، ومهما فضل، يُشترى به لها أوقاف، وأن تعمل خانقاه وجامعاً ـ رحمه الله تعالى وسامحه، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الأولى

هو أبو السعادات فرج ابن الملك الظاهر برقوق، لما مرض والده، أوصى أن يكون السلطان بعده ولده أمير فرج المشار إليه، فلما توفي في التاريخ المتقدم ذكره، طلع الخليفة والقضاة والأمراء إلى القلعة، وبويع له بالسلطنة، وجلس على سرير الملك، وعمرُه اثنتا عشرة سنة، ولقب بالملك الناصر أبي السعادات في صبيحة يوم الجمعة، النصف من شوال، سنة إحدى وثماني مئة، وخطب باسمه في ذلك اليوم، ولما فرغوا من أمر السلطنة، جهزوا الملك الظاهر، وصلوا عليه، ودفنوه حيث أوصى به، واستقر الملك الناصر فرج في السلطنة.

* * *

ذكر وقعة تمرلنك

لما دخلت **سنة ثلاث وثمان مئة**: شاعت الأخبار أن تمرلنك حين عاد من بلاد الهند، بلغه وفاة الظاهر برقوق، فانسرّ لذلك، وأنعم على

مخبره بجملة كثيرة، وكان في نفسه من قتلِه رُسُلَه، ومن أَخْذِ ابن عثمان سيواس وملطية، وأَخْذِ السلطان أحمد بغداد.

فقصد بلاد الشام، ومعه من العساكر ما لا يحصى، فحضر إلى مصر مملوكُ نائب الشام، وأخبر بأن تمرلنك وصل إلى سيواس، وأن علي بن أبي يزيد بن عثمان صاحب الروم توجه هو وقرا يوسف بن قرا محمد، وأحمد بن إدريس إلى برصا، وتركوا البلاد لـه، فأخـذ سيواس، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً.

ثم تتابعت الأخبار بأن أوائل عسكر تمرلنـك وصل إلى عَيْنتاب، فاستدعى السلطانُ فرج ابن الملك الظاهر برقوق الخليفةَ والقضاة، وحضر أعيانُ الأمراء وأرباب الدولة، وذكر أن تمرلنك أخذ سيواس، وأن مقدمته وصل إلى مَرْعَش وعينتاب، والقصد أن يؤخذ من التجار ما يُستعان بـه على النفقة في الجيوش.

فقال القاضي كمال الدين: أنتم أصحاب اليد، وليس لكم معارض فيما تفعلوه، وإن كان القصـد الفتوى، فلا يجـوز لنـا أن نفتي بذلك، وهؤلاء فقراء، ويَدْعون للعساكـر، ومتى أُخـذ منهم شيء، تشوّشوا، ودَعَوا على الجيش، فقيل: نصيب الأوقاف نأخذه، ونستخدم به الأجناد البطالة.

فتكلم القاضي كمال الدين ـ أيضاً ـ كلاماً نافعاً، وجرى بينهم كلام كثير، وحاصل الأمـر أنهم اتفقوا على إرسـال الأميـر أسنبغا الدوادار؛ لكشف الأخبـار، وتجهيـز الجيوش الشامية لملاقاة من يأتي من جهـة

تمرلنك، ويمنعوهم من تعدية الفرات.

وأما أهل دمشق، فإنهم وطنوا على أهل الصالحية والقبيبات والقابون.

وفي [. . . .] منها، وصل الأمير أسنبغا إلى دمشق بأن تتجهز العساكر إلى بلاد الشمال، وعلى يده كتاب إلى الرعية بالقيام على تمرلنك، والتأهُّب لقتاله، وأنه بلغنا ما فعل بالمسلمين من القتل والأسر ودفن الأحياء، وأنا واصلون عقيب ذلك، فقرئ بالجامع على الناس بحضور القضاة والعلماء وحاجب الحجاب.

وفيه وصل إلى دمشق من حلب رسولُ تمرلنك، ومعه كتاب منه افتتحه بعد التسمية، وذكر أسماء المشايخ والأمراء والقضاة: يعلمون أنَّا قصدنا عام أول المجيء لأخذ القصاص ممن قتل رُسُلَنا بالرحبة، فلما وصلنا إلى بغداد، وبلغنا موته ـ يعني: الظاهر ـ، فرجعنا، وقصدنا الهند لمَّا بَلَغَنا عنهم ما ارتكبوه من الفساد، فأظفرنا الله بهم، ثم قصدنا الكُرُج، فقتلناهم كذلك، ثم قصدنا لمّا بلغنا قلةُ عقل هذا الصبي أبي يزيد ـ يعنى: ابن عثمان ـ أن نُفَرِّك بأذنه، ففعلنا بسيواس وبلادها ما بلغكم، ثم قصدنا بلاد مصر؛ لنضرب بها السكة، ويُذكر اسمُنا بها في الخطبة، ثم نرجع بعد أن نفني سلطان مصر منها.

وقال: إنا أرسلنا إليكم عدة كتب، ولم[1] ترسلوا لنا جواباً، ونحن

---

(١) في الأصل: «لا».

نعلم أنها تصل إليكم، فأرسلوا الجواب من كل بُدّ. هذا معنى الكتاب.

[. . . .] منها وصل إلى دمشق كُتُب النواب ورُسلهم مُجِدِّين إلى مصر، وأخبروا بأن تمرلنك نزل على قلعة بهسنا، وجاوزها إلى جهة حلب.

وفي يوم السبت حادي عشره كانت الوقعة، وكانوا قبل ذلك قد اقتتلوا يوم الخميس، وكان مع عسكر الشام عوام كثيرة مشاة، فانتصفوا منهم، وقاتلوهم يوم الجمعة، فقتلوا منهم وأسروا، فلما كان يوم السبت، اقتتلوا يداً واحدة، وحملوا على العسكر، فاقتتلوا يسيراً، وولَّوا الأدبار، ورجع العسكر إلى البلد، ودخل أولهم في آثارهم البلد، وكان العسكر لما رجعوا، داسوا مَنْ قُدَّامَهم من المشاة، وصعِد النواب والأعيان القلعة، ومنهم من لم يدرك، فدُلِّيت لهم الحبال من السور، ومنهم من هرب راجعاً على وجهه لا يدري أين يذهب، ولما دَخل التتار البلد، أخذوا في النهب والحريق والأسر، وصار من هرب من العسكر يجيئون في أسوأ حال؛ قد نقبت أقدامهم من المشي، وأُخذت ثيابهم، ودخلوا البلد على هذه الحالة.

وقال بعضهم: ورأيت في تواريخ المصريين: أنه وصل أقبعا دوادار الأمير أسنبغا الدوادار، وأخبر بأن تمرلنك ترك على الباب حراساً، وأن نائب طرابلس خرج، ومعه نحو سبع مئة فارس، فخرج إليه من عسكر تمرلنك تقدير ثلاثة آلاف فارس، فرموا عليهم بالنشاب، فأخذوه في طوارقهم، وزحفوا عليهم، فرجعوا القهقرى إلى مَدًى بعيد، ثم إن أحد

الفرسان من الشاميين برز بين الصفين، فخرج إليه واحد من التتار وعليه زردبة، واعترك الفارسان ساعـة على الخيل إلى أن وقعا على الأرض، فحمل العساكر الشامية، فقتلوا التتري، وخلَّصوا صاحبهم، فحمل التتر، واعتركوا هم وإياهم، فقبضوا من التتر أربعة أنفس، ورجعت كل طائفة إلى مكانها، وربطوا التتر الأربعة، وعلقوهم.

وأخبر بعضُ من حضر الوقعة: أن الأمير أزدمر أخا أينال اليوسفي، وولـده أشبك حملا في عسكر التتار، وشوهد من شجاعتهما وقوتهما وصبـرهمـا أمـر عظيم، حتى قيل: إنهما وصـلا إلى قريـب من مكـان تمرلنك.

فأما الأمير أزدمر، ففُقد، ولم يُعلم خبره، وأما ولده، فإنـه أبلى فيهم بلاء عظيماً، ولما أُثخن بالجراحات، وقع إلى الأرض، وفيه ستة وثلاثون ضربة.

ولما انقضت الحرب، أُخبر تمرلنك بمكان أشبك بن أزدمر، فأمر بإحضاره، فوجدوه وقـد أشرف على الموت، فأمر بملاطفتـه ومداواة جراحاته، فلما برئ، قَرَّبه تمرلنك، وأدنـاه؛ لما رأى من شجاعتـه، واشتهر عنده وعند جماعته، ثم إنه هرب منه، ورجع إلى الشام، ووصل إلى مصر.

وكان لما نزل تمرلنك عينتاب، أرسل إلى دمرداش نائب حلب يَعِدُه بالاستمرار على نيابته، ويأمره بمسك نائـب الشـام، فقدِم الرسول إلى حلب، وأحضر بين يدي نواب البلاد، وكان معهم من العساكر نحو ثلاثة

آلاف فارس، وكان عسكر الشام نحو ثمان مئة فارس، والآراء مغلولة، والعزائم مجلولة، فبلَّغ الرسول الرسالـة إلى نائب حلب، فأنكر ذلك، وزعم أن ذلك حيلة دبرها تمرلنك ليفسد بينهم، وضرب عنق الرسول.

وفي يوم الخميس تاسـع الشهر نزلـوا على حلب، وأحاطـوا بهـا وسألوا القتال، فلما طلعت الشمس يوم السبت، برز عسكر حلب ومن اجتمع إليهم من العساكر، ومعهم خلق كثير من العامة، وهم مجتمعون في الظاهر، ولكن قلوبهم متفرقة، وأمراؤهم مختلفة، فوقف نائب الشام في الميمنة، ودمرداش في الميسرة، وبقيـة النواب في القلب، وركـب تمرلنك، وأقبلت جموعه حتى بهر الأبصارَ كثرتُها، وسدَّت الآفاق عِدَّتُها، فاقتتلوا يسيراً، ودافع نائب دمشق وطرابلس مدافعة كبيرة، فلم يغن شيئاً بالنسبة إلى من دهمهم من العساكر، فما كان غير ساعة حتى دهمها خلق كأمواج البحر المتلاطم، فولَّوا على أدبارهم ناكِصين، وأقبلوا نحو البلد منهزمين، وقتلوا في رجوعهم خلقاً كثيراً من المشاة، حتى صارت القتلى على الأبواب ما يزيـد ارتفاعـه على قامـة، ودخل النواب إلى القلعـة، ودخل معهم كثير من الناس، ودخل التتار المدينـة، وحصل بهم فساد كبير سفكاً وأسراً، وأضرموا فيها النار، وكان قد نزل بالجامع والمساجد الجمُّ الغفير من النساء والمخدَّرات، فربطوهن بالحبال، وأسرفوا في قتل الأطفال، وكانوا لا يستحيون من الزنا في المساجـد بحضـرة الجمِّ الغفير، وانتُهكت الحرمات حتى صار المسجد كالمجزرة؛ لكثرة ما فيه من القتلى، وأكثروا من شرب الخمر والزنا بالأحرار العفائف، وشرعوا

في نقب القلعة، وردْمِ خندقها.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر نزل دمرداش في طائفة يطلبون الأمان، فأجابهم إلى ذلك، وخلع عليهم أقبية وتيجاناً على عادتهم، وأرسل خلقاً من أصحابه، فاستنزلوا من بالقلعة كل نائب وطائفته، فوضعوا كل رجلين في قيد، ووكلوا بهم من يحفظهم، وأشخص النواب بين يديه، فعنفهم، وأشبعهم توبيخاً وتقريعاً، ثم وكل بهم، وقدمت إليه النساء والصبيان وطرائف الأموال، ففرقها، وأقام بحلب نحواً من شهر، وأصحابه يُفسدون ما أمكنهم، ثم رحل عنها، وجعلها دكًّا.

وفي الأربعاء نصفه، وصل الخبر إلى دمشق، فنادى الحاجب بذلك، وأمر الناس بالتحول إلى البلد، والاستعداد للعدو، فاختبطت البلد، ثم نودي بخروج السلطان من القاهرة، وتطييب خواطر الناس، ووصول بعض العسكر، وانجفل أهل حماة وتلك النواحي إلى دمشق، ومُنع الناس من السفر من دمشق، وكان ذلك من أسوأ الآراء، واستعدوا للحصار.

وفي الأربعاء ثاني عشرينه وصل الخبر إلى دمشق بأخذ قلعة حلب، وأن رسول تمرلنك واصلٌ معه كتبُ النواب بتسليم دمشق، وأن لا يقاتلوا، فهمَّ الحاجب بالهرب، فقام عليه العوام، وهموا بقتاله، فأقام، وسافر جماعة من الناس خفية، ونادى نائب الغيبة بأن أحداً لا يشهر سلاحاً، وتسلم البلد للتتار بالأمان، ونادى نائب القلعة بالاستعداد لقتاله، ومن أراد سلاحاً، فليأخذ من القلعة.

ووصل الأمير أسنبغا إلى دمشق، ومعه جماعة، وقاصد تمرلنك، وأخبر عن كيفية الوقعة وأخذِ القلعة، وأنه نزل نائب حلب من القلعة إلى تمرلنك، وأخذ الأمان للنواب.

وفي يوم السبت خامس عشرينه وصل الخبر إلى القاهرة، فركب القضاة والشيخ سراج الدين البلقيني، والأميران: إقبال حاجب الحجاب، ومبارك شاه الحاجب الثاني، وبادرا بالتأهب لقتال تمرلنك، وذكروا ما حلَّ بأهل حلب.

وفي يوم رابع ربيع الآخر وصل إلى القاهرة الأمير أسنبغا الدوادار، وأخبر بالوقعة، وأخذِ حلب وقلعتِها باتفاق مع دمرداش نائب حلب، وذكر كثرة العساكر الذين مع تمرلنك، فنسبوه إلى الميل إلى تمرلنك؛ لأن أصله أعجمي، وكان أسنبغا لما رجع إلى دمشق، قال للحاجب: خلِّ الناس يسافروا، ومن قدر على ثمن متاع يمشي به، يخرج، فلم يسمع الحاجب منه، ونسبوه إلى غرض أيضاً.

ويوم الأحد المذكور خرج السلطان إلى الريدانية متوجهاً إلى قتال تمرلنك، وخرج معه الخليفة والقضاة ـ خلا الحنفي؛ فإنه كان ضعيفاً، والقاضي ولي الدين بن خلدون وهو معزول، والشيخ محمد المغيربي ـ، واستقر نائب الغيبة الأمير تمراز، فأقام عنده جماعة من الأمراء، وكان منهم الأمير أرسطاي بعد أن أفرج عنه مع الأمير سودون قريب السلطان، وتمراز اختار المقام بالإسكندرية بطالاً، فلما توفي الأمير فرج ابن الأمير سالم الحلبي، رسم السلطان ـ وهو بالريدانية ـ أن يستقر

المذكور في نيابتها.

وفي يوم خامس عشره صح وصول تمرلنك إلى حماة، وأرسل طائفة من جيشه إلى حمص، فدخلوها بالأمان، وخلع السلطان في الطريق على تغري بردي بنيابة دمشق، وأقبغا الجمالي بنيابة طرابلس، وتمربغا المحلي بنيابة صفد، وطولوا بن علي شاه بنيابة غَزَّة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه وصل إلى دمشق مبارك عبد القصار مخبراً باقتراب السلطان، ورجع معه جماعة ممن كان انجفل إلى الرملة وغيرها، فلما وصل الشاليش إليها، اطمأنت خواطرهم، ورجعوا.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه وصل إلى دمشق نائب حلب دمرداش فاراً من تمرلنك في جماعة يسيرة، ولاقاه الحاجب، وتوجه إلى السلطان.

وفي اليوم المذكور وصل إلى دمشق كثير من أهل بعلبك والزبداني بنسائهم وأولادهم ودوابهم، وأخبروا بوصول ابن تمرلنك إلى بعلبك.

ثم عاد تمرلنك إلى حمص، وفي أول جمادى الأولى وصل مبادي الجاليس المصري.

وفي يوم رابعه بكرة النهار لم يفجأ الناس إلا شاليش تمرلنك، وقد أشرفوا على البلد من قبة سَيَّار، وقبة الشيخ خضر، فلما رآهم الناس، انذهلوا، وازدحموا على الدخول من باب النصر ـ ولم يكن باب مفتوح غيره ـ، فمات في الزحمة جماعة، وخرج إليهم حاجب الحجاب،

والأمير أسنباي، وقاضي القضاة، ومعه خلق قد استخدمهم، فلما رأوهم، رجعوا هاربين.

وفي يوم سادسه دخل شاليش السلطان إلى دمشق مع ستة مقدمين: بيبرس قريب السلطان، ونوروز الحافظي، وبكتمر الركبي، وأقباي الطريفاي، وأينال باي من قجماس، ويلبغا الناصري، ودخل معهم الأمير تغري بردي وهو مخلوع عليه بنيابة الشام

وفي يوم ثامنه وصل السلطان إلى قبة يلبغا، وقد ملؤوا الأرض، وهم في غاية الكفاية من الملبوس والخيول، فنزل السلطان بقبة يلبغا إلى قرب المغرب، ودخل إلى القلعة، وبات بها، وكان يوم الخميس بعد أن دخل غالب العسكر إلى دمشق، نزل من تمرلنك جماعة إلى السلطان، فركب العسكر إليهم، فقتلوا من التتار جماعة، وأسروا جماعة، ورجع التتار في أسوأ حال.

وفي يوم الأحد طلعت العساكر إلى قبة يلبغا، وأرسلوا يكشفون خبر تمرلنك أين هو نازل؟ حتى يركبوا عليه، فوجدوه نازلاً عند قطنا، وقد حفر حول عساكره خندقاً، وبنى سوراً قريب قامة ونصف، فبقي العسكر كل يوم يركبوا إلى قبة يلبغا من بكرة النهار إلى المغرب، ثم يرجع السلطان والمماليك، وكل ليلة الكشف على أمير من الأمراء إلى بكرة [ثم] يدخل، وتطلع العساكر.

وفي يوم ثاني عشره جاء من جماعة تمرلنك شاب أمرد حسن الشكل اسمه حسين بهادر، فقال: إنه ابن بنت تمرلنك، وقيل: إنه مقدم

ألف، وعلى رأسه تاج جاء طائعاً، فعظَّمه السلطان تعظيماً كثيراً، ونزل عند ناظر الجيش ابن غراب، وأخبرهم عن تمرلنك وعن عساكره ما أزعجهم؛ من كثرة العساكر، وعدة الطوائف الذين معه، وكان إرسال المذكور خديعة من تمرلنك.

وفي يوم ثامن عشره نزل جماعة مستكثرة نحو ألف فارس من عسكر تمرلنك، فتقدم إليهم بعض المماليك، والأمير أسنباي، ومعهم جماعة دون المئة، ووقعت بينهم حرب شديدة، وقُتل وأُسر من التمرية جماعة، وحصل في قلوب التمريَّة منهم الرعب، لما رأوا واقعة المماليك الذين واقعوهم، وما حصل بينهم من الشر.

وفي يوم تاسع عشر الشهر توجه العدوّ المخذول، وقطع الدرب صوب البرية، فتبعه بعض العساكر، وكان السلطان نازلاً بقبة يلبغا، فرجع العدو المخذول، واتفقوا، وانكسرت العساكر إلى أن رجعوا إلى السلطان عند قبة يلبغا، فأمد الله تعالى السلطان ومماليكه، وكسروهم إلى أن طالعوهم إلى العقبة، وحال الليل بين العسكرين، وقتل في ذلك اليوم خلائق من العوام والفرسان، وجرح في هذا اليوم القاضي برهان الدين الشاذلي، وبات ملقى على الأرض بقبة يلبغا تلك الليلة، ثم حمل من الغد إلى دمشق، فمات بها.

[. . . .] المذكور نزل العدو المخذول بعساكره على قبة يلبغا، وأصبح السلطان والعسكر طلعوا إلى بئر الأعمى، وبقيت القبة بينهم، واستمروا ذلك اليوم يرى بعضهم بعضاً، ولا يقرب أحد منهم إلى الآخر،

إلى أن أمسى المساء، ودخل السلطان القلعة، وبقي بعض الأمراء والعساكر مكانهم، فلما كان ثلث الليل الأخير، خرج السلطان، ومن عَلم به من الأمراء والمماليك، ومن التجار والعوام، واختلفوا في الدروب، وأحس بهم العدو المخذول، فتخطفوهم، وذهب السلطان على قبة سيار، وأحاطت التمريَّة بالبلد، وهم كالجراد المنتشر، فخرج من كان بدمشق من المماليك؛ ظناً منهم أن العساكر خرجت تدور من خلفه، وخرجت العوام، وقاتلوهم، وقتلوا منهم جماعة، وقاتل أهل البلدين على الأسوار، ثم اجتمع رأي الناس على أن يخرج إليه الشيخ تقي الدين ابن مفلح، والشيخ أبو يزيد البسطامي المجاور بالزاوية بالغزالية، فخرجا إليه، ومعهما المصاحف، وجماعة من الناس خرجوا من سور باب الصغير، فتلقوهم بالقبول والوجه الطلق، وفرح ولد تمرلنك الكبير فرحة عظيمة، وقال: الحمد لله الذي حقنتم دم أهل دمشق، وقال لهم: غداً اطلعوا إليه بضيافة.

فأصبحوا [. . . .] عملوا ضيافة: شواء، وحلوى، وبقج قماش، وبقج فرو، من كل صنف تسعة، وقالوا: عادة الملوك أن يقدم لهم من كل شيء تسعة تسعة، فلما طلعوا بالتقدمة، أعجبته، وكتب أماناً لأهل دمشق، قرؤوه على السدة، وفيه: أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وحريمهم، ونحو ذلك، وكان ممن خرج إليه ذلك اليوم: القاضي شمس الدين النابلسي الحنبلي، والقاضي محيي الدين بن العِزِّ الحنفي، والقاضي تقي الدين بن مفلح، ورجعوا وعليهم الخِلَع.

وحكى قاضي القضاة ابن العِزّ الحنفي: أن تمرلنك أحضر إليه القاضي شمس الدين المناوي ممسوكاً، فأهانه إهانة عظيمة، ومنعه من القعود، ونقم عليه أنه نادى بقتاله، وعظَّم القاضي وليَّ الدين بن خلدون؛ لأنه ماشى تمرلنك في فتوحاته، وغير ذلك، وطلب منه أن يكتب له صفة بلاد المغرب ومياهها، ومن بها من قبائل العرب.

[. . . .] بُكرة النهار أرادوا أن يفتحوا باباً من أبواب البلد، فقال لهم نائب القلعة: لا تفتحوا باباً قريباً من القلعة، فاتفقوا على فتح باب الصغير، وكان تمرلنك أرسل مراراً إلى السلطان يطلب الصلح.

وأن سبب رجوع السلطان: اختلاف الأمراء والمماليك عليه، وأن [. . . .] تاسع عشره اختفى جماعة من الأمراء ومماليك السلطان، فمن الأمراء: سودون الناصري الطيار، وقاني بيه العلائي، وجمق أمراء دمشق وغيرهم، وجماعة من الخاصكية، فوقع الاختلاف بين الأمراء والمماليك، وأُشيع بينهم أن الأمراء اختلفوا، ومن معهم من المماليك توجهوا إلى الديار المصرية ليأخذوها، فوقع الوهن في العسكر بسبب ذلك.

فأشير على السلطان بالرجوع، فذهب على عقبة دمر، وذهب إلى صفد، فأخذوا نائب صفد معهم، وذهبوا إلى غزة، فلحقوا الأمراء الهاربين: سودون الطيار، ورفقته، ثم إن السلطان أقام بغزة أياماً حتى تلاحق به بعض المنقطعين، ثم توجه إلى مصر.

ولما فتح باب الصغير، نودي في السقطية أن يكفوا عن القتال، وعسكر تمرلنك فيه خراسانية، وهم أهل المدن: سمرقند، وهمدان،

وأصبهان، وغيرها، وشقطية، وتركمان البلاد، والدشارية، وغيرهم، وأرسل إلى دمشق نائباً يقال لـه: شـاه ملك، فجـاء، ونزل خارج باب الصغير، وولّوا صدقةَ بن خليل الحسامي حاجبَ الحجاب، وعبد الرحمن التكريتي شـاد الـدواوين، وعبـد الملك ولايـة المدينـة، وخلع عليهم تمرلنك، وكذلك على قاضي القضاة محيي الدين بن العزّ بقضاء القضاة، والخطابة، ومشيخة الشيوخ، والأنظار المضافـة إلى القضاء؛ فإن تمرلنك يعظم الحنفية، وكذلك خلع على القاضي شمس الدين النابلسي بقضاء الحنابلة، وعلى القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب بكتابة السر، وعلى شهاب الدين بن الشهيد بالوزارة، وسكن صدقة بدار الذهب، والقاضي الحنفي بدار الخطابة.

[. . . .] كان عسكر تمرلنك يدخلون البلد، ويخرجون ويشترون، وتضاعـف على الناس ما كـان طلب منهم، وكان ذلك الوفا قصـر عن ضبطها الحوادث الجزئية، وأما الكلية، فأمرٌ اشترك في معرفته الخاص والعام، من حضر وغاب.

وفي الثاني من الشهر المذكور وصل بريدي إلى مصر: أنّ الأمراء والمماليك بينهم اختـلاف، وأنهم رجعـوا إلى مصـر هاربين، فخـرج الأستادار إلى لقاء السلطان، وأخـذ معـه خيولاً وخياماً وقماشاً، وغير ذلك.

وفي يوم الخميس خامسه وصـل السـلطان إلى مصـر، وصحبتـه الخليفة والأمراء، ونائب الشـام، وحاجب الحجاب، ونائـب صفـد،

ونائب غزة، ووصل مع السلطان تقدير ألـف مملوك، وحضر الأمراء، ومع كل أمير مملوك واحدٌ أو اثنان، وبعضهم وحـده ليس معـه أحـد، وليس معهم قماش ولا خيام، ولا برك ولا عـدة؛ فإنهم تركـوا جميـع ما كان معهم بدمشق، ونجوا بأنفسهم

وفي يوم الجمعة سادسه حضر القاضي محيي الدين بن العزّ الحنفي بالخانقاه السُّميساطية على قاعدة القاضي الشافعي، وحضر معـه القاضي الحنبلي، وحاجب الحجاب، ومن كان في دمشق من الحنفية، ثم عاد إلى بيت الخطابة، وخطب يومئذ بالجامع، ودعا للسلطان محمد قان، ثم للأمير تمر، ثم لولي العهـد محمـد سلطان، وأقام القاضي الحنفي ببيت الخطابة، وباشر نظر الأوقاف المتعلقة بالقاضي الشافعي.

هذا والتمريَّـة محاصرون القلعـة، ونهبوا بَرَّ المدينـة، وأحرقوه، واستأسروا من الأولاد والحريم والرجال خلقاً كثيراً، وأحرق باب القلعة إلى حائط العادلية الكبرى، إلى نصف الطريق بين السورين، وبين الناحية الأخرى إلى الصمصاميـة إلى المارستان وحـارة الغربـاء، ونصبوا على القلعة مناجنيق، وحذَافات، ومدافع كثيرة، وشرعوا في النقوب، وبنوا قلاعاً مقابل القلعـة، وطلب جميـع ما في دمشـق من الخيـل والجمال والبغـال التي للمصـريين والغيـاب، ونـودي: أن من أخفـى من ذلـك شيئاً، شنق.

ثم إن المباشرين طلبوا أعيان أهل البلد، وقالوا لهم: اشترينا البلد بمال، وشرعوا يجبون من الناس، ويعاقبونهم ثم أضعف ذلك أضعافاً

كثيرة وأخذ المباشرون لأنفسهم أموالاً كثيرة وضربوا الناس حتى تعدى ذلك إلى الفقراء وأهل العلم، ومن امتنع مما وجب عليه، رسم بشنقه.

وكان تمرلنك في تلك الأيام ينادي بالأمان، ومنع أحداً من الشقطية أن يدخل البلد، بل كـان يمسك أراذل الشقطية ممن يفسد، ويفكر في موضع من البلد عالٍ بظهر يظهر أنه مشنوق.

وكان تمرلنك قد أرسل شخصاً من جهته، فكان يتسلم الأموال من المباشرين، وكان صدقـة بن الحسامي في هذه المدة قاعـداً في دسـت النيابة؛ فإنه كان يقعد على حافة الإيوان، ويقعد قدامه كاتب السر، وعن يمينـه القاضي الحنفي، وتحته الحنبلي، والوزير والموقعـون في بقيـة الحلقة.

ثم انتشر الجور، وتناهوا في الظلم، وفقد الناس القوت، ولم يَر أحد بعد توجه السلطان خبزاً في فرن يباع، وغلا القمح والشعير؛ فإنهم لما تسلموا البلد، ختموا على جميع الحواصل التي بأيدي الناس الغائبين والحاضرين، وكان القمح يُباع الغرارةُ بثلاث مئة وستين، ثم وصل في مدة يسيرة إلى ألف وأربع مئة، واستمر الأمـر على ذلك، ولا يجسر أحد يبيع هذا إلا بالليل، أو في خفية، وهم يأخذون حواصل، ويبيعون ذلك، وغالباً البضائع لا توجـد، وصارت الفلوس تقبض الخمسة بدرهم فضة، وهلك الفقراء، وبقي الإنسان لا يقدر يمشي من كثرة الأموات، وعجز الناس عن دفنهم.

وكبسوا الخانات والأسواق والمدارس، وغيرها، وسلموا كل حارة

لواحد من أمراء التتار، ودخلوا يعاقبون الناس لاستخلاص ما في أيديهم، وذلك في [. . . .]، وكان نائب الشام قد نزل بالجامع، وانتهك هو وجماعته حرمته، وفعل فيه ما لا يفعل في الكنائس، وأغلقوا أبوابه غيرَ باب الزيادة، يخرج فيه ويدخل.

وفي يوم الأربعاء آخر رجب عمَّ الحريق والأسر والنهب، وكان تسليم القلعة إلى تمرلنك يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة، ولم تقم الجمعة في الجامع الأموي إلا مرة واحدة، وهي الجمعة الأولى من استيلاء التتار على البلد، ثم نزل فيه نائب الشام، وفي أوائل مقامه بالجامع أُقيمت جمعتان في شمالي الجامع، شهدهما القليل من الناس، ثم تعطلت الجمعة بعد ذلك من الجامع، وكان أهل القلعة سلموا بأمان بعد تسعة وعشرين يوماً من الاستيلاء على البلد.

وفي يوم سلخ رجب دخل البلد من عسكر التتار خلق لا يحصى عددهم، فنهبوا ما بقي من المتاع، وسبوا النساء والصبيان، وأسروا الرجال، وألقوا الأطفال، وأضرموا في البلد النار، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام، ورحلوا، وكانوا قد وصلوا إلى بلاد أذرعات، وحاولوها إلى طرف بلاد السواد، ووصلوا إلى جبل بني هلال، وحاصروا الناس في الحصون والمحامي، وهلك في المحامي من الحراس نحو أربع مئة وخمسين نفساً، وبموضع آخر خلق، وأخذوا الدواب والخبايا.

وجاء مماليك السلطان الذين تأخروا عنه إلى مصر جماعةً بعد جماعة، حفاةً عراة، وجاء منهم جماعة في البحر من السواحل، وكان

مَنْ جاء منهم إلى نائـب غزة منهم يعطيـه ما يستتر بـه على قدر حالـه، وأعطى السلطان لكل من المماليك الذين حضروا ألف درهم، وحضر ـ أيضاً ـ قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي.

[. . . .] من السنة كبس نائب غزة المذكور بيت نوبا وغيرها على العشران الذين نهبوا الرملة، فوسط منهم ستين نفساً.

وفي الشهر المذكور وقـع بَرَدٌ قدر الجوز والبيض لم يُر مثلُه قط، ووُزِنَتْ منه واحدة، فكانت سبعاً وعشرين درهماً.

[. . . .] ثالث شعبان توجه تمرلنك راجعاً إلى بلاده، وتأخر بقايا من عسكره بعده بيومين، وكان من تأخر، يمر على جمـع كثير، فيأخذ ما أراد من النساء والصبيان، ولا يقدر أحد على دفعه؛ مما حصل عندهم من الخـوف والجبن، وخرج الناس من هـذه الوقعـة كالأمـوات الذين خرجوا من قبورهم، ولم يجدوا ما يأكلون، فأكلوا الجـراد، وكسـدت الفلوس، فكان يصرف الدرهم بثلاثـة أو أربعة، واحترق كثير من البلد بعد رحيلهم؛ لعجز الناس عن طفيه.

[. . . .] شعبان وصل إلى القاهرة الأمير سيف الدين شيخ، الذي كان نائب طرابلس، وكان قد وقع في أسر تمرلنك، ثم هرب منه، ووصل إلى طرابلس، ثم ركب في البحر إلى مصر، فخرج الأمراء إليه، وتلقوه، وأرسلوا إليـه الخيل بالسّروج المغرقـة، والقماش والذهـب والفضـة، وغير ذلك.

[. . . .] شعبان وصل دقماق المحمدي نائب حماة، وكان وقـع

أيضاً في الأسر، ثم تخلص، ثم وصل من القاهـرة تغري بردي نائب دمشق، وبقية النواب إلى محل ولاياتهم، والأمراء والأجناد، لما تحققوا رحيل تمرلنك وعساكره من البلاد الشامية.

وفي يوم السبت السادس والعشرين من ذي القعـدة أخـذ تمرلنك بغداد، وكان قد وصل إليها في أواخر شوال، وحاصرها إلى أن أخذها، وبذل السيف فيها ثلاثة أيام، يقتلون الرجال، ويأسرون النساء والصبيان، ثم بعد ثلاثة أيام رسم تمرلنك لقومه أن يأتيه كل واحد برأس، فشرعوا في قتل الأسارى ومن وجـدوا، فأحضروا نحـو مئـة ألـف رأس، فلما حضرت الرؤوس، بنوها مواذن نحو الأربعين، وثبتوها بالحجارة والآجر، وجعلوا الرؤوس دائرة عليها، ثم أمر بهدمها، فهدمـت، وخربوا كثيراً من بغداد.

وكان أصل تمرلنك المذكور من سمرقند، ولد بضواحي كش من أعمال سمرقند، مسيرة يوم عنها، وقيل: كان أبوه أحد وزراء تلك البلاد، فنشأ لبيباً حازماً جَلْداً، وصار معه رفقة لـه يقطع الطريق، وجاءه سهم في رجله، وآخر في كتفه، فبطل نصفه، ولم يزل تتنقل به الأحوال إلى أن استولى على مملكـة خراسان، ثم قصد سجستان وأخربهـا؛ بحيث لم يُبق بها حجراً ولا مدراً، ثم استولى على عراق العجم، وقتل في ساعة واحدة من ملوك العجم سبعة عشر نفساً، واستولى على بلاد فارس، ثم قصد مدينة أصفهان، وهي من أكبر المدن، فقاتله أهلها، فقتل في يوم واحد منهم نحو مئة ألف، أو يزيدون، وجمع الأولاد في مكان، وداسهم

بالخيل، ثم قصد بلاد الدشت، وتختَ مملكتها، فواقعـوه، فكسرهـم، وخرَّب بلادهم، ثم توجه إلى بغداد، واستولى عليها، وأخربها، ثم ذهب إلى بلاد الهند، وكسرهـم، وقتلهم، واستولى على بلاده، ثم إن صاحبها أرسل إليه، وطلب رضاه، فلم يخرب من بلاده شيئًا، وجاءَ الخبر بموت الملك الظاهر برقـوق، فرجـع، وتوجـه إلى بلاد الشام، فأخربها، ثم ذهـب إلى بلاد الـروم، فكسر عسكرهـا، وأسـر ابن عثمان، وأخرب بلاد الروم.

وبالجملة: فقد قتـل من الخلق، وأخـذ من الأمـوال، وأخـرب وأحرق من البلاد ما لا يعلمه إلا الله.

وقيل: إن بين استقلاله بالإمرة ووفاتـه نيفاً وثلاثين سنة، وقيل: إن بعض جداتـه رأت مناماً، فعبر لها بأنها تلد رجلاً يملك البلاد، ويقهـر العباد.

وتوفي بسمرقند في رابع رمضان، سنة سبع وثمان مئة.

وتيمور هو: الحديد بالتركي.

[. . . .] الملك الناصر فرج بن برقوق أنه استمر سلطاناً مدة، ونزل الشام مراراً، ووصل لحلب مرتين، واستمر سلطاناً إلى **سنة ثمان وثمان مئة**، ففتك في مماليك أبيـه، فاختلفوا عليـه، واتفق مَنْ بالقاهرة على خلعه، فخُلع، واختفى بالقاهرة في السنة المذكورة.

* * *

سلطنة الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق

لما خلع الملك الناصر فرج بن برقوق، تسلطن أخوه عبد العزيز، ولقب بالملك المنصور، وأقام في السلطنة نحواً من شهرين وتسعة أيام، ثم ظهر أخوه، وانتصر، وأمسك أخاه وغيره، وكان آخر العهد بهم.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية

عاد الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق إلى السلطنة الشريفة يوم الاثنين، سابع جمادى الآخرة، سنة ثمان وثمان مئة، ثم امتد أمره إلى أن وقع الخلف بينه وبين الأمير شيخ ومَنْ معه، وهو يومئذ بدمشق، واضمحل أمره، وتحصن بقلعة دمشق، ثم لما ضاق عليه الأمر، واشتد الحصار، طلب منهم الأمان، فأمنوه، فلما نزل إليهم، اعتقله شيخ ونوروز، وذلك في صفر، **سنة خمس عشرة وثمان مئة**، واستفتوا عليه، وقتلوه في ليلة السبت سابع عشر صفر المذكور، ودفن بمقابر المسلمين بدمشق.

وكانت مدته الأولى إلى أن خلع ستَّ سنين، وأربعة أشهر، وثلاثة عشر يوماً، والثانية إلى حين وفاته ست سنين، وثمانية أشهر، وعشرة أيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي الفضل بن المتوكل على الله العباسي

أبو الفضل العباس ابن المتوكل على الله العباسي، اجتمع عليه الأمراء بعد هروب الملك الناصر، وبايعوه بدمشق في يوم السبت، خامس عشر من المحرم، سنة خمس عشرة وثمان مئة، وتوجه إلى مصر في ربيع الأول منها، ثم خلع في مستهل شعبان من السنة المذكورة، فكانت مدته ستة أشهر، وخمسة أيام، وتوفي بالإسكندرية بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

سلطنة الملك المؤيد شيخ بدمشق

هو أبو النصر سيف الدنيا والدين، شيخ الملوك والسلاطين، قدم من بلاده إلى مصر سنة اثنتين وثمانين وسبع مئة صحبة أنس والد السلطان الملك الظاهر برقوق، وعمره ثلاث عشرة سنة، وخالط الفقهاء، وسمع من الشيخ سراج الدين البلقيني «صحيح البخاري»، وغيره، وتنقَّل عند أستاذه إلى أن صار أمير طبلخانة، وحج بالناس سنة إحدى وثمان مئة، ولما عاد، أُعطي تقدمة، وتولى طرابلس وهو شاب، ووقع بعد ذلك بمدة يسيرة في أسر تمرلنك، ثم هرب منه من دمشق، وذهب إلى مصر،

فأعيد إلى نيابة طرابلس، ثم ولي نيابة دمشق في ذي الحجة، سنة أربع وثمان مئة، ووقع لـه وقائع كثيرة إلى أن توجه إلى مصر مع الخليفة في ربيع الأول، سنة خمس عشرة وثمان مئة، وتمكن وتسلطن في شعبان من السنة المذكورة.

وكان نوروز بالشام، فأظهر الخلاف، فقدم المؤيـد شيخ دمشق في أوائل سنة سبع عشرة، فكسر نوروز ومَنْ معـه، وحصرهم بالقلعة، ثم نزلوا إليه طائعين، فقتل غالبهم، وتوجه إلى حلب، ثم عاد إلى مصر، وشرع في عمارة المؤيدية بباب زويلة في سنة ثمان عشرة، ثم سافر إلى دمشق بعد ذلك مراراً، وذهب إلى بلاد سيس، وفتح مدناً وقلاعاً.

وكان يحب العلماء، شجاعاً مقداماً، شكلاً حسناً، وأعجله الشيب، وكان يحب سماع كلام العلماء بين يديه في العلم، ويفهم جداً، ويسأل، وكان السبب في عمارة دمشق وطريق الحجاز، وكان يتصدق على الفقهاء والفقراء كثيراً، مع أنه كان ماسكاً.

وبالجملة: فكان خليقاً بالمُلك، ولكن كان فيه طمع، وتطلُّع إلى أموال الناس، توفي في يوم الاثنين، تاسع المحرم، **سنة أربع وعشرين وثمان مئة**، ودفن بالمؤيدية، وكانـت مدة ملكـه ثمان سنين، وخمسة أشهر، وأياماً ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

سلطنة أبي السعادات أحمد ابن الملك المؤيد

هو أبو السعادات أحمد ابن الملك المؤيد شيخ، استقر في السلطنة يوم وفاة أبيه وعمره سنة واحدة، وثمانية أشهر، وسبعة [أيام]، ثم خُلع في شعبان سنة أربع وعشرين وثمان مئة، فكانت مدته سبعة أشهر، وستة عشر يوماً، وتوفي بالإسكندرية بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الظاهر ططر بن عبدالله الظاهري

هو سيف الدين أبو الفتح ططر بن عبدالله الظاهري، كان من مماليك الملك الظاهر برقوق، استقر في السلطنة بعد الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ في يوم الجمعة، تاسع عشرين شعبان، سنة أربع وعشرين وثمان مئة، واستمر بها إلى أن مرض، وتوفي يوم الأحد، رابع ذي الحجة، سنة أربع وعشرين وثمان مئة، وكان ملكاً خيِّراً، يحب العلماء ويكرمهم، ويشاركهم في الفقه، ويميل إلى العدل، وكانت مدته ثلاثة أشهر وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الصالح محمد ابن الملك الظاهر ططر

هو محمد ابن الملك الظاهر ططر، استقر في السلطنة في يوم موت أبيه، وعمره يومئذ نحو عشر سنين، ثم خُلع، فكانت مدته ثلاثة أشهر وأياماً، وتوفي بقلعة الجبل بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري

هو أبو النصر برسباي بن عبدالله الدقماقي الظاهري، من عتقاء الملك الظاهر برقوق، استقر في السلطنة بعد الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر في يوم الأربعاء، ثامن عشر شهر ربيع الأول من شهور سنة خمس وعشرين وثمان مئة.

وكان ملكاً عظيماً، ما اتفق بعد لملك ما اتفق له؛ من تمكن الدولة، واستمرار السعادة، وبنى مدرسته المشهورة بالقاهرة، وسافر إلى آمد في شهر رجب، سنة ست وثلاثين وثمان مئة، وعاد منها، ودخل القاهرة في المحرم سنة سبع وثلاثين وثمان مئة، وفي أوائل دولته عُزل الشيخ ولي الدين العراقي من قضاء الشافعية بالديار المصرية، وولي عوضه قاضي القضاة علم الدين صالح البُلْقيني، ثم عَزَله، وولَّى قاضي القضاة شيخَ الإسلام شهابَ الدين بنَ حَجَر العسقلاني ـ تغمدهم الله برحمته ـ.

وكان قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي من أخصائه وجلسائـه، وهو الذي ولاه القضاء بالديار المصرية عوضاً عن القاضي زين الدين عبد الرحمن التفهني.

وللملك الأشرف محاسنُ كثيرة، وعدل في أحكامـه ـ تغمدهم الله برحمته ـ.

توفي في يوم السبت، ثالث عشر ذي الحجة، **سنة إحدى وأربعين وثمان مئة**، مدته ست عشرة سنة، وتسعة أشهر وأيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي المحاسن يوسف ابن الملك الأشرف برسباي

هو أبـو المحاسن يوسف ابن الملك الأشرف برسباي، استقر في السلطنة يوم وفاة أبيـه، والمتصرفُ في المملكـة أتابكُ العساكر جقمق العلائي الظاهري، وفي أيامـه استقر قاضي القضـاة سعد الدين الديري الحنفي في قضاء الديار المصرية في شهر المحرم، **سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة**، وخُلع في تاسع عشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، فكانت مدته أربعـة وثمانين يوماً، واعتقل عليـه بالإسكندريـة، بعد أن استدعى الملك الظاهر جقمق الخليفة والقضاة وأرباب الدولة، وأثبت عدمَ أهليته، وأنه لا يحسن التصرف، فخلعه الخليفة، وفوض السلطنة

إلى جقمق، واستمر إلى أن توفي بها في العشر الأول من المحرم سنة ثمان وستين وثمان مئة.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك الظاهر هقمق العلائي

هو أبو سعيد وأبو السعادات وأبو الفتوح، جقمق العلائي الظاهري؛ نسبة إلى الملك الظاهر برقوق، وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك، والعاشر من ملوك الجراكسة، وكان يعرف من الأمراء بأخي جركس المصارع، تسلطن، وجلس على سرير الملك في يوم الأربعاء، تاسع عشر ربيع الأول، سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة، وكان على قدم عظيم من الصيانة والديانة، والصدقة والإحسان، والعفاف والشجاعة، والعبادة ومحبة العلماء، وله محاسن جزيلة.

وفي أيامه توفي قاضي القضاة شهاب الدين بن حَجَر الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة، وكان يعظِّم قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، ويكرمه، وهو الذي كان السبب في ولايته في أيام العزيز يوسف، لمَّا كان هو المتصرف في المملكة، وولى قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي قضاء الشافعية بالديار المصرية، ولما مرض مرض الموت، خلع نفسه من السلطنة في يوم الخميس، الحادي والعشرين من شهر الله المحرم، سنة سبع وخمسين وثمان مئة،

وتوفي في ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء، ثالث صفر، ودفن في صبيحة ذلك اليوم بتربة مملوكه قاني باي الجهركسي، وكانت مدته أربع عشرة سنة، وعشرة أشهر، وأياماً، وحُسب مولده، فوجد في سنة ثمان وسبعين وسبع مئة، فكان عمره نحو تسع وسبعين سنة ـ تغمده الله وإيانا والمسلمين برحمته ـ.

* * *

سلطنة أبي السعادات عثمان ابن الملك الظاهر جقمق

هو أبو السعادات عثمان ابن الملك الظاهر جقمق، استقر في السلطنة بحكم خلع والده نفسَه من المملكة، ونزوله عنها له، بحضرة الخليفة أمير المؤمنين، والقضاة الأربعة، وهم: قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي، وقاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، وقاضي القضاة ولي الدين السنباطي المالكي، وقاضي القضاة بدر الدين محمد البغدادي الحنبلي، وكان المسترعى له قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي، فقال له: نشهد عليكم أنكم فوضتم لولدكم سيدي عثمان ما فوضه لكم أمير المؤمنين شرقاً وغرباً، فقال: نعم، وركب الملك المنصور بشعار السلطنة في يوم الخميس، الحادي والعشرين من شهر الله المحرم، **سنة سبع وخمسين وثمان مئة**، وكان يوماً مشهوداً، ثم جددت له البيعة يوم مات والده، واستمر سلطاناً إلى أن ركب عليه الأمير أينال الأتابكي الناصري، وخلع نفسه، وجُهز معتقلاً عليه إلى

الإسكندرية، وكانت مدته أربعين يوماً. والحمد لله.

* * *

سلطنة الملك الأشرف أينال الأتابكي

هو أبـو النصر أينال الناصري، نسبة إلى الناصر فرج بن برقـوق، ركب على المنصور عثمـان، واستمر يحاصره ثمانيـة أيام إلى أن قبض عليه، وجلس على تخـت الملك يوم الاثنين، ثامن ربيـع الأول، **سنة سبع وخمسين وثمان مئة**، وكان أمياً لا يقرأ، وكان مباشروه يكتبون له على المراسيم والمناشير العلامة بقلم رفيع، ثم يعيد عليها بخطـه، وفي أيامه وقع الوباء في أواخر سنة ثلاث، وأوائل سنة أربـع وستين وثمـان مئة، واستمر سلطاناً إلى أن خَلع نفسه من السلطنة، وعهِد إلى ولده، ثم توفي في تاسع جمادى الأولى، سنة خمس وستين وثمان مئة، فكانت مدته ثمان سنين، ونحوَ شهرين.

* * *

سلطنة الملك أحمد ابن الملك الأشرف أينال

هو أبو الفتح أحمد ابن الملك الأشرف أينال، جلس على تخـت الملك الشريف في تاسع جمـادى الأولى، **سنة خمس وستين وثمان مئة**، وكانت أيامه غرة في وجه الزمان، إلى أن أُمسك في ثامن عشر رمضان من السنة المذكورة، فكانـت مدتـه أربعـة أشهر، وتسعة أيام، واعتقل

بالإسكندرية، وتوفي بها في سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة.

* * *

سلطنة أبي سعيد خشقدم المؤيدي

هو أبو سعيد خشقدم المؤيدي، جلس على تخت الملك الشريف يوم الأحد، ثامن عشر رمضان، **سنة خمس وستين وثمان مئة**، وفي أيامه حدث بيع الوظائف الدينية والإمارات، وحصل التظاهر والتجاهر بأخذ الرشوة والبراطيل، وقطع المصانعات نهاراً جهاراً من غير نكير، وفوَّض الأمر إلى غير أهله، وجمع المال من حله وغير حله.

وفي أول **سنة سبع وستين وثمان مئة**: عزل نفسه قاضي القضاة سعدُ الدين الديري باختياره، وتوفي في ربيع الآخر منها، ودفن في تربة السلطان خشقدم، وولي عوضه قاضي القضاة محب الدين بن الشحنة بعد عزل نفسه، وشق ذلك على القاضي سعد الدين، وعظم عليه، وفي أيامه توفي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعي في سنة ثمان وستين وثمان مئة، واستمر سلطاناً إلى أن توفي في ربيع الأول **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، فكانت مدة سلطنته ست سنين، وخمسة أشهر، وثلاثة وعشرين يوماً.

وفي أيامه ولي الأمير ناصر الدين محمد بن الهمام نظر الحرمين الشريفين بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ عوضاً عن الأمير عبد العزيز بن العلاق، ثم عزل، وولي مكانه الأمير حسن

الظاهري، ثم عزل، وولي مكانه الأمير بردبك التاجي، واستمر إلى أن ولي مكانه الأمير ناصر الدين النشاشيبي ـ على ما يأتي ذكره في ترجمة السلطان الملك الأشرف قايتباي عز نصره ـ.

* * *

سلطنة أبي سعيد بلباي المؤيدي

هو أبو سعيد بلباي المؤيدي، جلس على تخت الملك الشريف يوم السبت، حادي عشر ربيع الأول، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، وقويت في أيامه شوكة جلبان الملك الظاهر خشقدم، وتصرفوا على حسب اختيارهم في الوظائف والآمريات والسلطنة؛ بحيث طمعت نفوسهم فيها، واستمر في السلطنة ستة وخمسين يوماً، وأُمسك، وحبس بثغر اسكندرية، وتوفي بها بعد مدة يسيرة، وكان مسكه على يد الأمراء الظاهرية.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي سعيد تمربغا الظاهري

هو أبو سعيد تمربغا الظاهري؛ نسبة إلى الملك الظاهر جقمق، جلس على تخت الملك الشريف في يوم السبت، سابع جمادى الأولى، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، فازداد طغيان الجُلُبَّان، وتمردوا عليه،

وزادوا في تمردهم إلى أن قاموا عليه في ليلة الاثنين، سادس شهر رجب منها، وأمسكوه، وسجنوه عندهم، فكانت مدته ثمانية وخمسين يوماً.

* * *

سلطنة العادل خشقدم خير بك

الظاهري الخشقدمي، أحدُ رؤوس الجُلُبَّان، وجلس بنفسه على تخت الملك من غير مبايعة ولا عقد، فركب العسكر آخر تلك الليلة، فحين أحسَّ الجلبان، ورأسهم خايربك الذي تسلطن بذلك، أفرَجَ عن السلطان تمربغا، وأجلسه على تخت الملك، فصار يشير بكرة بالمنديل للأتابك الأمير قايتباي لقيامه في نصرته، وملكوا القلعة بكرة اليوم التالي لتلك الليلة، وأُمسك المذكوران هما: تمربغا، وخايربك، وسجن خايربك بالإسكندرية، وتمربغا بدمياط، ثم إن تمربغا تسحب من دمياط، وفرّ هارباً إلى أن وصل قريب غزة، وأُمسك، واعتقل عليه بالإسكندرية، واستمر بها إلى أن مات، ثم أخرج خايربك من الإسكندرية، وتوجه إلى مكة، وأقام بها إلى أن توفي في سنة تسع وسبعين وثمان مئة، وسمي: سلطانَ ليلة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي النصر قايتباي الظاهري

هو أبو النصر قايتباي الظاهري؛ نسبة إلى الملك الظاهر جقمق، بويع له بالسلطنة بحضرة أمير المؤمنين، وأصحاب الحل والعقد، وجلس على تخت الملك الشريف بعد طلوع الشمس بعشر درج من يوم الاثنين، سادس شهر رجب الفرد الحرام، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، وقبض على تمربغا وخايربك ـ المشار إليهما فيما تقدم ـ، وكان من أمرهما ما سبق شرحه، واستمر الملك الأشرف في المملكة، وثبت قدمه في السلطنة، ونشر العدل في الرعية، واطمأن الناس بولايته، وبرز أمره الشريف بإحضار الأمير أزبك من نيابة الشام، واستقر به أتابك العساكر بالديار المصرية، وقد رسم للملك الظاهر تمربغا بعد خلعه بإقامته بدمياط، وعدم التضييق عليه، وسيره إليها، فأقام بها أياماً، ثم وسوس إليه الشيطان، وحَسَّن له الفرارَ منها، وكأنّ نفسه حدثته بالعود إلى السلطنة، فخرج منها قاصداً نحو البلاد الشامية، فجهز السلطان خلفه جماعة، فأدركوه بالقرب من مدينة غزة، فقبض عليه، ورسم السلطان بتجهيزه إلى الإسكندرية، فتوجه إليها، واستمر بها إلى أن مات.

ثم في أواخر السنة المذكورة، وهي سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة أنعم السلطان على القاضي غرس الدين خليل الكناني الشافعي أخي الشيخ أبي العباس باستقراره في وظيفة مشيخة الصلاحية، وقضاء الشافعية بالقدس الشريف عوضاً عن الشيخ نجم الدين بن جماعة، وحضر إلى القدس في أواخر ذي القعدة منها.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة: فيها جهز السلطان العساكر لقتال شَهْسِوار، وفيها حصل غلاء عظيم، ثم حصل الوباء في أواخر السنة حتى عم جميع المملكة.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثمان مئة: فيها سيَّر السلطان الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبي الكشف على أوقاف الحرمين الشريفين: القدس، والخليل، وتحرير أمرهما، وإصلاح ما اختل من نظامهما في أيام الأمير بردبك الناجي ناظر الحرمين، فحضر إلى القدس الشريف، ونظر في مصالح الأوقاف، وعمر المسجد الأقصى، وصرف المعاليم، ثم توجه إلى البواب الشريفة.

* **وفيها**: استقر الأمير يشبك الجمالي في نيابة القدس الشريف عوضاً عن دمرداش العثماني، ودخل إليها في يوم خروج الحاج في شهر شوال.

ثم دخلت سنة خمسة وسبعين وثمان مئة: فيها استقر الأمير ناصر الدين النشاشيبي المشار إليه في وظيفة نظر الحرمين الشريفين استقلالاً، وحضر إلى القدس الشريف في أوائل السنة، وحصل به السرور.

* **وفيها**: سار الأمير يشبك من مهدي الدوادار الكبير بالعساكر لقتال شَهْسِوار، واستبشر الناس بالنصر، وكان تقدم قبله تجهيز العساكر مرة بعد أخرى، ولم يحصل المقصود، وقُتل من العسكر جماعة، ولم يكن الأمير يشبك المشار إليه توجه قبل ذلك لقتاله، فلما توجه في هذه المرة، علم الناس أنه صاحب سعد، وتدبيره حسن، ورأيه سديد، وأنه لا بد أن يحصل المقصود والنصر بسفره وكان كذلك.

* **وفيها**: وقعت حادثة بالقدس الشريف في شهر رمضان، وهي أن القاضي غرس الدين الكناني شيخ الصلاحية، وقاضي القدس الشريف حضر عند القاضي شرف الدين الأنصاري وكيل المقام الشريف، وهو نازل بالمدرسة الجوهرية بخط باب الحديد أحدِ أبواب المسجد الأقصى؛ ليسلم عليه، فصادف حضوره عنده حضور الشيخ شهاب الدين العُمَيري، فقصد الشيخ شهاب الدين الجلوس فوق القاضي، فحصل بينهما تشاجر، وحصل فتنة عظيمة، انتهى الحال فيها إلى أن بعض العوام اغتضب للشيخ شهاب الدين، وتوجهوا إلى منزل القاضي بالمدرسة الصلاحية، وهجموا على حريمه، ونهبوا له بعض أمتعة من منزله، واتصل الأمر بالسلطان، وكانت فتنة فاحشة أوجبت عزل القاضي من وظائفه.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثمان مئة: فيها ركب السلطان وصحبته الأمير أزبك أمير كبير لجهة الخانقاه السّرياقوسيّة، فرفست فرس الأمير أزبك السلطان في رجله، فكُسر، وحُمل إلى القاهرة في مَحَفَّة، واستمر أياماً، ثم عوفي، وذلك في شهر المحرم.

* **وفيها**: ابتدأ السلطان بعمارة تربته بالصحراء بظاهر القاهرة المحروسة.

* **وفيها**: أنعم السلطان على شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف بمشيخة الصَّلاحية بالقدس الشريف، وعلى القاضي شهاب الدين أحمد ابن عتبة بقضاء الشافعية عوضاً عن القاضي غرس الدين خليل الكناني، وعلى القاضي خير الدين بن عمران الحنفي بقضاء الحنفية، عوضاً عن

القاضي جمال الدين عبدالله الديري الحنفي، وعلى الشيخ شهاب الدين العُمَيري بمشيخة مدرسته القديمة التي هُدمت، وبُني مكانها المدرسة السلطانية الموجودة الآن بالمسجد الأقصى الشريف، وكان ذلك في شهر صفر عقب عافية السلطان من الكسر الذي كان من فرس الأمير أزبك أمير كبير ـ كما تقدّم ذكره ـ، وأُلبس الثلاثةُ، وهم: شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف، والقاضي الشافعي، والقاضي الحنفي التشاريفَ على العادة، وألبس الشيخ شهاب الدين العميري جنده صوفاً خضراء على سنجاب، وحصل لهم منه الجبرُ والإكرام، وتوجهوا إلى محل وطنهم في شهر ربيع الأول.

* **وفيها** في أواخر السنة: قبض الأمير يشبك الدوادار على شَهْسِوار، واعتقل عليه، واستولى على ما كان بيده من المملكة التي تغلب عليها.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثمان مئة: في أوائلها وردت البشائر إلى المملكة بالقبض على شَهْسِوار، ثم حضر الأمير يشبك الدوادار، وصحبته شَهْسِوار معتقلاً عليه هو وجماعة، ودخل إلى القاهرة في شهر ربيع الأول، فصلب هو ومَن معه على باب زويلة في يوم دخولهم القاهرة.

ثم في سنة سبع المذكورة تحرك حسن باك ملك الشرق، وجردت إليه العساكر، فكفى الله المسلمين أمرهم، ورجع إلى بلاده ولم يحصل منه ضرر.

* **وفيها**: استقر الأمير دقماق الأينالي في نيابة القدس، ودخل إليها في ربيع الأول، فأقام نحو ثلاثة أشهر، وتوفي، ودفن في الزاوية القلندرية

بتربة ماملا ظاهر القدس الشريف من جهة الغرب، وكان قد أظهر حرمة وشهامة، واستقر بعده الأمير جمق في النيابة، ودخل إلى القدس الشريف في شهر رمضان، وكان يوم دخوله كثير المطر.

* **وفيها**: وقع ببيت المقدس مطر كثير هدمت منهُ أماكن كثيرة، ومن جملتها: زاوية سيدنا ولي الله تعالى الشيخ محمد القرمي بخط مرزبان، وكان هدم الزاوية في مستهل رمضان، ولم يحصل لأحدٍ من هدم الأماكن ضرر، سوى امرأة واحدة ماتت من بيت هدم عليها.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثمان مئة: فيها أنعم السلطان على الشيخ نجم الدين بن جماعة بمشيخة الصلاحية، وعلى أخيه الخطيب محب الدين بنصف وظيفة خطابة المسجد الأقصى، ونصف وظيفة مشيخة الخانقاه الصلاحية، ووظائف أخر بالمدارس، وعلى القاضي جمال الدين الديري بقضاء الحنفية، وذلك في أوائل السنة، ثم في شوال أنعم على القاضي علاء الدين بن المزوار بقضاء المالكية بعد وفاة القاضي نور الدين البدرشي.

* **وفيها**: وقعت حادثة بمدينة سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، وهي فتنة بين الطائفتين بها، حصل بها نهب البلد وتخريبها، وكانت فتنة فاحشة، ورُفع الأمر للسلطان، فسير الأمير علي باي الخاصكي للكشف على ذلك وتحريره، فحضر إلى القدس الشريف، وتوجه وصحبته ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين النشاشيبي، والنائب الأمير جقمق، والقضاة بالقدس الشريف، ورسم على أكابر بلد الخليل، وأخذهم صحبته حتى

وصل إلى غزة، فركب فرساً وساقها، فوقعت عليه حائط، فتوفي هناك.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثمان مئة، وفيها وقعت حادثة بالقدس الشريف، وهي: أن جماعة اعتصبوا، وأنهوا أن كنيسة اليهود محدَثة في دار الإسلام، وورد في ذلك مراسيم شريفة، وعقد فيها مجالس بالقاهرة وبالقدس، ومَنع القاضي بهاء الدين بن عبية قاضي القدس الشافعي اليهودَ من اتخاذها كنيسة، بعد إقامة بينة شهدت عنده أنها محدَثة، ثم في شهر رجب حضر من القاهرة السيد الشريف عفيف الدين، وثار معه جماعة من المتعصبين بالقدس، وهُدمت الكنيسة، واتصل الأمر بالسلطان، فطلب الجماعةَ الذين تكلموا في ذلك، منهم: القاضي، والشهود الذين شهدوا عنده، والشيخ برهان الدين الأنصاري الخليلي، وضربهم لافتئاتهم بالهدم بغير إذن شريف، وكان ذلك في أواخر شعبان، وعزل القاضي، وأمَر بإخراجه هو والشيخ برهان الدين من القدس، وعدم سكناهما به.

ثم عقد مجلساً بمنزل الأمير يشبك الدوادار بحضور العلماء والقضاة بالديار المصرية، ورجع القاضي شهاب الدين بن عبية عن حكمه الصادر منه بالقدس الشريف بعد أن استخلفه قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي بالديار المصرية، وأذن له في الرجوع عن حكمه، ونفذ على خلفاء الحكم العزيز من المذاهب الأربعة، وأفتى العلماء من الشافعية والحنفية بمصر بجواز إعادة الكنيسة، ومن جملة مَن أفتى، وأظهر التعصب: القاضي شهاب الدين المغربي قاضي الجماعة بالغرب المالكي فأنشد فيه بعضهم:

تُفْتِـــي بِعَـــوْدِ كَنِـــيسٍ وَكَـــانَ ذَلِـــكَ جَهْـــلاَ
وَتَـــدَّعِي فَـــرْطَ عِلْـــمٍ وَاللهِ مَـــا أَنْـــتَ إِلاَّ

وكانت فتنة فاحشة.

* **وفيها**: حج أتابك العساكر أزبكي إلى بيت الله الحرام، خرج من القاهرة في ثاني شوال، وقصد المدينـة الشريفة، وأقام بها ثمانية أيام، ثم توجه إلى مكة.

* **وفيها**: حجت الآدر الشريفة خوند جهة المقام الشريف إلى بيت الله الحرام، وكان شيخ الإسلام أمين الدين الأقصرائي من جملة المساعدين للمسلمين في أمر كنيسة اليهود بالقدس، فتوجه إلى الحجاز الشريف من شدة ما حصل له من الحنق بسبب ما وقـع بحق المسلمين من الضـرب والإهانة بسبب اليهود، فتوفي ولدُهُ سعد الدين بدرب الحجاز الشريف، وحضر هو إلى القاهرة صحبة الحاج، وتوفي عقب ذلك.

* **وفيها ـ** أعني: **سـنة تسع وسبعين وثمان مئـة ـ**: استقر الأميـر جارقطلي في نيابـة القدس الشريف عوضاً عن جمـق، ودخل إليها في شوال، وأقام الحكم بحرمة وشهامة.

ثم دخلت سنة ثمانين وثمان مئـة: في أوائلها كانـت وفاة الشيخ أمين الدين الأقصرائي ـ كما تقدم ـ.

* **وفيها**: حضر السلطان إلى القـدس الشريف في شهر رجـب، وجلس بقبة موسى تجاه باب السلسلة بالمسجد الأقصى الشريف، ونظر

في حال الرعية، وحكم بالعـدل، وسمع الشكوى على النائب بالقدس الشريف المسمى جارقطلي.

ثم توجـه إلى الرملة، وعاد إلى القاهـرة، ودخـل إليهـا في يـوم الخميس، الثاني والعشرين من شعبان

* **وفيها**: أُعيدت كنيسة اليهود بالقدس، وحضر من القاهرة القاضي شهاب الدين الحزمي الشافعي المشهـور بابن حيلات، والقاضي علاء الدين الميمـوني الحنفي، وأذن الحنفي في إعادتهـا بآلاتهـا القديمـة، فأعيدت، وكان القاضي شهاب الدين الحزمي حصل له توعك بالقدس، فرجع إلى القاهرة، ولم يتكلم في أمرها، واستغفر الله تعالى مما وقع منه من السفر في هذه الحادثة.

وحُكي لي بالقاهـرة أن السبـب في رجوعـه من القدس بسرعـة، وعدم تكلمه في أمر الكنيسة: أنـه لما حصل لهُ التوعك بالقدس، كان بخلوة بالمدرسة الجوهرية، وإذا باليهود قد حضروا بالمدرسة، وجلسوا على باب الخلوة التي هو بها، وتكلموا في أمـر الكنيسة، فقال بعضهم لبعض: هـذا عيـدٌ مبارك بإعـادة هذه الكنيسة، فما نسمي هذا العيـد؟ فقالوا: نسميه: عيـد النصر، فلما سمـع القاضي ذلك، اقشعـر جسدُهُ من ذلك، وانزعج، وبادر بالخروج من القدس، وتوجـه إلى القاهرة، واستغفر الله مما وقع منه.

وأمّا الحنفي، فأقام بالقـدس إلى أن كملت عمارتها، ثم عاد إلى القاهرة، وقد أسكن الله تعالى مقته في قلوب العباد.

وفي سنة ثلاث وثمانين وثمان مئة: حصلت له محنة من السلطان بسبب حُكم حَكم به من أيام قاضي القضاة سعد الدين الديري، فضربه السلطان، وأمر بنفيه إلى حلب، فخرج من القاهرة إلى أن وصل إلى الخانقاه، فوقعت فيه شفاعة، فأعيد إلى القاهرة، وعزَلهُ السلطان من نيابة الحكم عزلاً مؤبداً، وصار فقيراً حقيراً، واجتمعتُ به بعد ذلك، وتكلمتُ معه، ولمُته على ما صدر منه في أمر الكنيسة المذكورة، فأشهدني عليه أن الإذن الصادر منهُ في إعادتها قصد به الفتوى، ولم يقصد به الحكم الشرعي الرافع للخلاف، والله متولي السرائر.

ثم في أواخر السنة: طُلب قاضي القضاة قطب الدين الخيضري من الشام إلى القاهرة، ورسم له بالإقامة فيها.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثمان مئة: فيها تزوج القاضي قطب الدين الخيضري الشافعي بابنة أمير المؤمنين المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بأمر السلطان.

* **وفيها:** حصل الوباء في المملكة كلها، وكان ابتداؤه من شهر رجب، وكثر بالقاهرة من شوال إلى آخر السنة.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة: فيها قبض على القاضي برهان الدين بن ثابت النابلسي وكيلِ السلطان، وصودر، وعوقب إلى أن مات، وكذلك ولده بالشام عوقبَ إلى أن مات، كل ذلك في مدة يسيرة نحو الشهر.

* **وفيها:** وُسِّعت شوارع القاهرة، وهُدم جميع ما فيها من الأماكن

الخارجـة في الشوارع التي ضيقـت قارعـة الطريق بإشارة الأمير يشبك الدوادار الكبير.

* **وفيها**: تكاملت عمارة الأزبكية، التي عمرها المعز الأتابكي أزبك أمير كبير، واختطها بخرائـب عنتر، وكمل جامعها المستجد، والقصر الذي بداخل الحوش، واستوطنها بعيالـه، ثم عمّر البركـة، والرصيف الدائـر عليها، والقصر المطل على البركـة في سنة ثلاث، وسنة أربع، وتكامل ذلك في سنة خمس وثمانين وثمان مئـة، ثم بنى الناس حولها الأملاك، وكان ابتداء عمارتها في سنة ثمانين وثمان مئة.

* **وفيها** ـ أعني: سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة ـ: توجه السلطان من القاهرة في أول جمادى الآخرة في عسكر قليل دون المئة نفس إلى حلب، ووصل إلى الفرات، وحصل له توعك في السفر، ودخل إلى دمشق وهو متوعك، ثم عوفي، وعاد إلى القاهرة، ودخلها في يوم الخميس، رابع شوال من السنة، بعـد أن زُينت لـه، وكان يومـاً مشهوداً، وحصـل من السلطان تغيظ على القاضي قطب الدين الخيضري بسبب ولده.

* **وفيها**: استقر الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير حسن بن أيوب في نيابة القدس الشريف عوضاً عن جارقتلي عند حلول الركاب الشريف بغزة المحروسة.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمان مئـة: في المحرم منها أُلبس القاضي علاء الدين الصابوني وكالة السلطان عوضاً عن البرهان النابلسي، وألبس القاضي قطب الدين الخيضري خلعة الرضا.

* **وفيها**: تزوج الأمير جانم ناظر الجوالي قريب المقام الشريف ابنة الأمير علاء الدين بن خاصبك أخت الآدر الشريفة جهة المقام الشريف، وعُقد عقده عليها بعد صلاة الجمعة في شهر ربيع الآخر بجامع القلعة المنصورة، بحضور المقام الشريف، والأمراء، وقاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وقاضي القضاة بدر الدين السعدي الحنبلي، ولم يحضر الحنفي والمالكي؛ لضعفهما، وكان المتولي للعقد الشافعي، وأُلبس خلعة بعد فراغه، ثم حُمل إلى بيت والد الزوجة الفاكهة والحلوى، وكان عدة الحمالين لذلك مئتين وخمسةً وثمانين رجلاً، وقد عاينتُ ذلك، ودخل بها في شهر رجب، ولمّا ركب من منزله إلى منزل والدها ليلة دخوله بها، مشى في خدمتهِ جميع الأمراء المقدَّمين، ما عدا أمير كبير، وكان الأمير يشبك الدوادار الكبير، والأمير أزدمر الطويل حاجب الحجاب ماسكين رأس فرسه، وكان فرحاً عظيماً.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثمان مئة: فيها استقر الأمير يشبك الدوادار الكبير أمير سلاح عوضاً عن جاني بك الفقيه المتوفَّى بالقدس الشريف، مضافاً إلى الدوادارية، ولم يعهد إضافة الوظيفتين المذكورتين لأحد قبله.

* **وفيها في ربيع الآخر**: توفي الأمير جانم ناظر الجوالي، وجزع السلطان عليه، وتأسف عليه الناس، وكان شكلاً حسناً ـ رحمه الله وعفا عنه ـ.

* **وفيها**: أحضر الملك المؤيد أحمد بن أينال إلى القاهرة، وتوجه

السلطان الملك الأشرف قايتباي ـ نصره الله تعالى ـ الإسكندرية في عاشر جمادى الأولى، وترك المؤيد أحمد بن أينال بالقاهرة، واستمر غائباً عشرين يوماً، ثم حضر، فبلغهُ أن جماعة من المماليك الأينالية تكلموا في أمر الملك المؤيد، فغضب عليهم، ونفاهم، وأفحش في حقهم، ويُقال: إن الملك المؤيد هو الذي أرسل أعلمه بذلك خشية على نفسه، ثم توجه المؤيد إلى الإسكندرية.

* **وفيها**: استقر الأمير سنطباي النحاسي في نيابة القدس الشريف عوضاً عن الأمير ناصر الدين بن أيوب.

* **وفيها**: حج السلطان إلى بيت الله الحرام، وزار النبي ﷺ في الذهاب، وأقام بالمدينة الشريفة أربعة أيام، ثم عاد إلى القاهرة.

* **وفيها**: احترق الجامع الأموي بدمشق، فاهتم السلطان بعمارته، وأعاده أحسن ما كان.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثمان مئة: في يوم الاثنين، ثاني عشر المحرم منها دخل السلطان إلى القاهرة من الحجاز الشريف، وكان يوماً مشهوداً.

* **وفيها**: قَتَل السلطان القاضيَ تاجَ الدين بن المقسي ناظرَ الخواص الشريفة ومَنْ معه في شهر ربيع الآخر.

* **وفيها في الشهر المذكور**: سار الأمير يشبك الدوادار الكبير، وصحبته العساكر المنصورة للتجريدة على يعقوب باك بن حسن باك،

فحصل القتال بين العسكرين بأرض الرها في شهر رمضان، فقُتل الأمير يشبك، واحتُزَّ رأسُه، والمتولي لقتله بيندور باش عسكر يعقـوب باك، وحمل رأسهُ إلى توريز، وقيل: إن جثته حُملت ودفنت بتربته بالصحراء بظاهر القاهرة، وتواردت الأخبـار بقتله في شوال، واستقر الأمير أقبردي قريبُ المقام الشريف عوضه في الدوادارية، ثم تزوج الأمير أقبردي أخت الآدر الشريفة التي كانت زوجاً للأمير جانم ناظر الجوالي، وأخذ ما كان بيده من الإقطاع والبَرْك.

* **وفيها**: استقر الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب في نيابة القدس الشريف عوضاً عن سنطباي البجاسي في المحرم عنـد حضور السلطان من الحجاز، ثم عُزل، واستقر مكانه بعده الأمير أحمد بن مبارك شاه في أواخر السنة.

ثم دخلت سنة ست وثمانون وثمان مئة: في يوم الجمعة، مستهل المحرم منها صُليت الجمعة بالمدرسة القجماسية بخط الدرب الأحمر بالقاهرة بعد كمال عمارتها، وحكم القاضي شرف الدين بن عيد الحنفي بصحة إقامة الجمعة فيها بحضور واقفها، والقضاة، والخاصِّ والعام، وكان الخطيب إمام السلطان ناصر الدين الأخميمي ـ الذي صار قاضي القضاة الحنفي فيما بعد ـ، وكان يوماً مشهوداً.

وفي يوم الأحد بعد العصر سابع عشر المحرم: وقعت زلزلة عظيمة بمصر والمملكة، فتوفي القاضي شرف الدين بن عيد الحنفي، وسبب وفاته: أنـه وقعت عليـه شرافة من الإيوان البحري بالمدرسة الصالحية

ـ وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته في حرف الميم ـ.

وفي صبيحة ذلك اليوم، وهو نهار الاثنين: استقر الأمير قانصوه خمس مئة الدوادار الثاني أمير أخور كبير؛ بحكم شغور الوظيفة عن الأمير قجماس باستقراره في نيابة الشام.

* **وفيها** في صفر: استقر القاضي شمس الدين الغزي في قضاء الحنفية بالديار المصرية عوضاً عن ابن عيد.

* **وفيها**: في يوم الأحد، مستهل رجب الفرد: عزل السلطان قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وقاضي القضاة برهان الدين اللقاني المالكي، والقاضي زين الدين بن مزهر كاتب السر الشريف؛ بسبب واقعة أوجبت ذلك، وكنت حاضراً مجلس عزلهم.

وفي يوم الثلاثاء ثالث رجب: ولي قاضي القضاة الشيخ زكريا قضاء الديار المصرية على كُره منهُ.

وفي يوم الاثنين تاسع رجب: ولي قاضي القضاة المالكي محيي الدين عبد القادر بن تقي، وأعاد القاضي زين الدين بن مزهر إلى وظيفته.

* **وفيها**: غضب السلطان على إمامه برهان الدين الكركي، وعزله من مشيخة الأشرفية، وقرر فيها الشيخ صلاح الدين الطرابلسي، وقرر في قراءة «البخاري» في القلعة الشريفة الشيخ جمال الدين يوسف سبط قاضي القضاة ابن حجر.

* **وفيها** في مستهل شعبان: دخل القاهرة جُمْجُمة بن عثمان،

وأوكب السلطان لهُ، وكان يوماً مشهوداً.

* **وفيها في ليلة الثالث عشر من شهر رمضان**: وقعت صاعقة بالمدينة الشريفة، احترق منها الحرم الشريف النبوي، والحجرة الشريفة، وجميع ما بالحرم الشريف من المصاحف والكتب، ووردت الأخبار بذلك والمحاضر المكتتبة بالمدينة الشريفة في أسرع وقت، وجزع الناس لذلك، ثم اهتم السلطان بعمارته، وقام في ذلك أعظم قيام، وأنشأه في غاية الحسن ـ ولله الحمد ـ.

* **وفيها**: أخرجت وظيفة قضاء الشافعية بدمشق عن القاضي قطب الدين الخيضري، واستقر بها القاضي شهاب الدين بن الفرفور.

* **وفيها**: استقر القاضي علاء الدين بن الصابوني في وظيفة نظر الخواص الشريفة، مضافاً لوكالة السلطان.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثمان مئة: وفيها تكاملت عمارة المدرسة التي أنشأها مولانا السلطان بالمسجد الأقصى الشريف بجوار باب السلسلة، وهي مدرسة عظيمة لم يوجد مثلها، ومن أعظم محاسنها: كونها في هذه البقعة الشريفة.

* **وفيها في شهر شعبان**: وقع بمكة المشرفة السيل العظيم، ودخل إلى المسجد الحرام، وغرق فيه من أهل مكة والمجاورين خلق كثير، وأمره مشهور، وكان قبل ذلك في سنة ست وثمانين وقع الحريق بالحرم الشريف النبوي ـ كما تقدم ـ، فجزع الناس لوقوع هاتين الحادثتين بالحرمين الشريفين في سنتين متواليتين، فالحكم لله العلي الكبير.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثمان مئة : فيها رتب السلطان أوقافاً للمدينة الشريفة، وجعل لها في كل سنة قمحاً يحمل إليها، ويفرَّق على أهلها المقيمين بها، والمجاورين والواردين إليها، وقوي الوقف بحضرته في يوم قراءة المولد الشريف في شهر ربيع الأول بحضور القضاة والأمراء، والخاص والعام في الحوش بالخيمة المنصوبة لقراءة المولد الشريف، وكنت حاضراً ذلك المجلس، فقرأ القاضي زين الدين بن مزهر كاتبُ السرِّ الشريف خطبةَ كتاب الوقف، وهو جالس بين يدي السلطان، ثم تأخر، فحضر القاضي أبو البقاء بن الجيعان، وقرأ وهو واقفٌ أسماء الجهات الموقوفة في قائمة بيده، ثم تأخر، فحضر القاضي أبو الطيب الأسيوطي موقع المقام الشريف في المستندات الشرعية، وقرأ وهو واقف ملخصَ الوقف وشروطَه في قائمة بيده، ومن جملة الشروط : أن يكون النظر لمولانا السلطان الواقف المشار إليه، ثم من بعده لمن يكون سلطاناً بالديار المصرية سلطاناً بعد سلطان، وأن تكون القضاة الأربعة بالديار المصرية شهود الوقف تشريفاً لهم، وكان يوماً مشهوداً.

* **وفيها** : استقر الأمير جانم في نيابة القدس الشريف عوضاً عن أحمد بن مبارك شاه.

* **وفيها** في جمادى الأولى : وقعت حادثة بالقاهرة المحروسة أوجبت أن المماليك وثبوا على الأمير برسباي قراراس نوبة النوب، وأحرقوا منزله، ونهبوه، وكادت تقع فتنة كبيرة، ثم أخمدها الله تعالى، وحصل الصلح.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثمان مئة: فيها كان ابتداء الفتنة بين السلطان وبين أبي يزيد بن عثمان، فتوجه الأمير تمراز أمير سلاح بالعساكر لقتاله، وكان خروجه من القاهرة في شهر جمادى الأولى.

* **وفيها:** استقر القاضي شمس الدين بن المزلق في قضاء دمشق عوضاً عن ابن الفرفور.

* **وفيها:** وقعت بمدينة الرملة حادثة، وهي: أن شخصاً يقال له: ابن دبور خَتَنَ ولده، وعمل له زفة على العادة، فاقتتل جماعة من أهل حارة الباشقردي مع جماعة من أهل حارة التركمان، فقتل بينهما رجل، واتصل الأمر بالحكام بمصر والشام، ووردت قُصّادٌ من الجهتين، وتكلف أهل البلد مبلغاً له صورة، وكان وقوع الفتنة والقتل في شهر شعبان، وكانت حادثة فاحشة.

ثم دخلت سنة تسعين وثمان مئة: فيها تتابع العسكر صحبة جماعة من الأمراء، وتوجهوا خلف الأمير تمراز لقتال السلطان بايزيد بن عثمان.

* **وفيها** في شهر رجب: حضر القاضي أبو البقاء بن الجيعان، والمهتار رمضان لترتيب الوظائف وتقريرها بالمدرسة الشريفة بالقدس الشريف، وحضر صحبتهما شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف، وقد استقر في مشيختها بحكم وفاة الشيخ شهاب الدين العُميري ـ وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته في حرف الميم ـ، وحضر ـ أيضاً ـ صحبة القاضي أبي البقاء القاضي شهابُ الدين بن الفرفور، وقد استقر في قضاء دمشق عوضاً عن ابن المزلق.

* **وفيها** في شوال: توجه المقر الأتابكي أزبك أمير كبير بالعساكر، ولحق الأمير تمراز.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثمان مئة: فيها في أواخر ربيع الأول: حصل للسلطان عارض، وهو أنه ركب فرساً في الحوش، فرماه، ووقع فوقه، فكسر فخذه، واستمر نحو الشهرين، وعوفي.

وفي الشهر المذكور قبل حصول العارض للسلطان: توجه الأمير أقبردي الدوادار الكبير إلى جهة نابلس، وجهز الرجال للتجريدة، ثم عاد إلى القاهرة في شهر شعبان، ونصر الله عسكر الإسلام، وقبض على شخص من أكابر دولة ابن عثمان، يقال له: ابن هرسك، وأُحضر للسلطان في أواخر السّنة المذكورة، فأحسن إليه، وأفرج عنه، وأذن له في التوجه إلى بلاده.

* **وفيها**: استقر الأمير خضر بك في نيابة القدس الشريف عوضاً عن الأمير جانم، ودخل إليها في يوم الثلاثاء، تاسع ذي القعدة الحرام.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة: فيها توجه ابن هرسك إلى بلاده بعد الإحسان إليه من السلطان ـ كما تقدم ـ، ولم يحصل لعسكر السلطان في كل مرة إلا الخير والنصر، كلُّ ذلك والسلطان ابن عثمان على عناده ـ.

* **وفيها**: حصل الغلاء في سائر الممالك، ورأى الناس من ذلك شدة.

* **وفيها**: أفرج السلطان عن الأمير قانصوه اليحياوي من القدس الشريف، ورسم له بالحضور إلى القاهرة بعد إقامته بالقدس من أواخر سنة ست وثمانين وثمان مئة، فتوجه من القدس في يوم عيد الفطر.

* **وفيها**: توفي الأمير قجماس نائب الشام في شهر رمضان، وفيما كان الأمير قانصوه اليحياوي بغزة متوجهاً إلى الأبواب الشريفة، ورد عليه وفاة الأمير قجماس، فتباشر بولاية نيابة الشام على عادته، فلما قدم إلى القاهرة المحروسة، أقام بها أياماً، ثم استقر في نيابة الشام في أواخر السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة: فيها في المحرم قدم الأمير قانصوه اليحياوي إلى الرملة متوجهاً إلى محل ولايته.

* **وفيها**: استعفى الأمير ناصر الدين النشاشيبي من نظر الحرمين، فعفي بعد توقف السلطان في إغوائه مراراً، فادعى العجز، فأعفي، واستقر عوضه الأمير دقماق في النظر، وفي النيابة - أيضاً - في شهر صفر.

* **وفيها**: حضر الأمير أقبردي الدوادار الكبير، وصحبته القاضي زين الدين بن مزهر كاتب السر من القاهرة إلى جهة نابلس؛ لتجهيز الرجال للتجريدة لقتال السلطان ابن عثمان، وتجهز العسكر إلى بلاد الروم، [وكان] قدومهما إلى الرملة في يوم السبت، الحادي والعشرين من جمادى الأولى، وجهزت الرجال من جبل نابلس، ثم توجه القاضي زين الدين بن مزهر في شهر رجب وهو متوعك، ومعه الدوادار الكبير في شعبان، فدخل القاضي زين الدين بن مزهر إلى القاهرة، واستمر في

التوعك إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى في يوم الخميس، سادس شهر رمضان، واستمر في كتابة السر الشريف ولده القاضي بدر الدين محمد ابن مُزْهِر، وأُلبس التشريف الشريف، ونزل من القلعة المنصورة، والناس في خدمته في يوم الخميس ثالث عشر رمضان المذكور، وسنذكر ذلك في ترجمة القاضي زين الدين بن مزهر في حرف الهمزة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمان مئة: فيها نزل الأمير أقبردي الدوادار الكبير بجهة نابلس، وتوجه الأغوار؛ بسبب القبض على بني إسماعيل مشايخ جبل نابلس، وعاد إلى القاهرة في جمادى الأولى، ووقعت حادثة أوجبت غضب السلطان من مماليكه، فخلع نفسه من الملك، وقصد الخروج من الديار المصرية، فجزع الناس لذلك، ثم استُعطف خاطره، واستُرضي، واجتمع الناس بالقلعة، وجلس أمير المؤمنين المتوكل على الله، وقضاة القضاة، وأصحاب الحل والعقد، وجُددت له البيعة بالسلطنة، وأُلبس الخلعة السوداء على العادة، وكان يوماً مشهوداً.

ثم دخلت سنة خمس وتسعون وثمان مئة: فيها توجه الأمير أزبك أمير كبير، وصحبته الأمراء والعساكر لقتال السلطان ابن عثمان، فوصلوا إلى بلاد الروم، وأخربوا غالب تلك البلاد، وأحرقوها، ثم عادوا في أواخر السنة، وهم منصورون مؤيدون.

* **وفيها:** احتبس المطر ببيت المقدس، فصام الناس ثلاثة أيام،

ثم استسقوا في صبيحة يوم الأحد، خامس عشر ربيع الآخر بالصخرة الشريفة، ثم انصرفوا من الصلاة، ولم يُسْقَوا في يومهم، فجزع الناس لذلك، وتضرعوا إلى الله تعالى، فلما مضى النهار وأقبلت ليلة الاثنين، أغاث الله عباده بالمطر الغزير، فامتلأت الآبار، ورَوِيت الأرض، وأظهر الله تعالى إجابة دعاء عباده الضعفاء، فاطمأن الناس، وحمدوا الله تعالى، وأثنوا عليه، وله الحمد والمنة.

وفي يوم السبت ثاني شهر رجب الفرد: هُدمت القبة التي كانت أُحدثت بالقرب من دير صِهْيَون ظاهر القدس، وكان إحداثها في صفر، سنة أربع وتسعين وثمان مئة، فورد مرسوم شريف لشيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف جواباً لمكاتبته الواردة على الأبواب الشريفة بمعنى ذلك، والمرسوم الشريف على يد الأمير أزبك الخاصكي، الذي حضر للكشف على الأمير دقماق ناظرِ الحرمين ونائب القدس بهدمها، فهدمت بحضور الشيخ كمال الدين المشار إليه، وحضور الخاصكي، والنائب، وشيخ الصلاحية، وقضاة الإسلام الأربعة، والخاص والعام، وكان يوماً مشهوداً، وبقي بعض آثارها، فورد مرسوم شريف ثانٍ للشيخ كمال الدين بإكمال هدمها، ومحو أثرها فمحيت، وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الآتية، وهي سنة ست وتسعين وثمان مئة، بحضور ناظر الحرمين الأمير الأجل خضر بك، ومشايخ الإسلام والقضاة، وكان يوماً مشهوداً أعظمَ من اليوم الأول.

* **وفيها**: ـ أعني: سنة خمس وتسعين وثمان مئة ـ: حضر الأمير

أقبردي الدوادار الكبير إلى القدس الشريف متوجهاً لجهة الغور، وكان دخوله القدس في يوم الأحد، سابع عشر ذي الحجة، ونزل بخان الملك الظاهر بيبرس إلى يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر المذكور، ثم توجه إلى الغور.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثمان مئة: في أوائل شهر ربيع الآخر منها حضر قانصوه من مخيم الأمير الدوادار الكبير بمرسومه برمي الزيت المتحصل من جبل النابلس على أهل بيت المقدس، الخاص والعام من المسلمين، واليهود والنصارى، كل قنطار بخمسة عشر ديناراً ذهباً، فرسَّم على الناس، وضربهم، وانتهك حرمهم، وكانت حادثة فاحشة امتُحن الناس فيها محنة لم يُعهد مثلها في بيت المقدس، بل ولا في غيره من بلاد المسلمين، والسبب في ذلك: الضغينة التي في صدر دقماق النائب، لما حصل عنده من الكشف عليه في سنة خمس وتسعين وثمان مئة، واستمر الناس في الضرب والترسيم والمحنة وهتك الحرم شهر ربيع الآخر بكماله، وباع الناس أمتعتهم وثيابهم بأبخس الأثمان، وبيع كل مثقال من الذهب الطيب بدون الخمسين درهم، وبقي الناس يأخذون الزيت كل قنطار بخمسة عشر ديناراً ذهباً، ويبيعونه بمئتي درهم، وخمسين درهماً فضة، فكانت الخسارة أكثر من الثلثين، وكانت محنة شديدة فاحشة، فالحكم لله العلي الكبير.

ثم توجه دقماق وقانصوه المذكورَيْنِ بالمبلغ المقبوض ثمناً عن الزيت، وهو نحو عشرين ألف دينار إلى مخيم الأمير الدوادار بظاهر

مدينة الرملة، فانتقم الله من دقماق لما فعله بالمسلمين، وعزله الأمير دوادار الكبير واستقر عوضه الأمير خضر بك نظر الحرمين الشريفين، والنيابة في يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى، وهو اليوم الذي سافر فيه الأمير دوادار من الرملة قاصداً الأبواب الشريفة، ودخل إلى القدس الشريف في يوم الاثنين، عاشر جمادى الأولى، وكان يوماً مشهوداً لدخوله.

* **وفيها**: في شهر ربيع الآخر برز الأمر الشريف بإخراج مدينة الرملة عن نائب الشام الأمير قانصوه اليحياوي، وإضافتها إلى ملك الأمراء أقباي نائب غزة المحروسة، ولم تجر بذلك عادة قبل ذلك، فلما أضيف إلى ملك الأمراء المشار إليه، عمرت البلاد، وحصلت الطمأنينة للرعية والمسافرين بأمن الطرقات، وردع المناحيس والمفسدين ـ ولله الحمد ـ.

* **وفيها**: حضر قصَّاد السلطان بايزيد بن عثمان، وقاضي مدينة برصا بطلب الصلح مع مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي، فأحسن إليهم، وأكرمهم، وعاد القصاد والقاضي المشار إليه، فدخلوا بيت المقدس في شهر رمضان، وركب للقائهم ناظرُ الحرمين، ومشايخ الإسلام، والقضاة، والخاص والعام، ودخلوا إلى القدس الشريف، وكان يوماً مشهوداً، وتوجهوا في الشهر المذكور قاصدين بلاد الروم.

وجهز السلطان الملك الأشرف قايتباي قاصده الأمير جان بلاط للسلطان بايزيد بن عثمان، لعود الجواب عن الصلح، وحصل للرعية الطمأنينة بوقوع الصلح بين هذين الملكين.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمان مئة والخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز يعقوب ـ أعز الله به الدين، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ـ، والسلطان بالديار المصرية الملك الأشرف أبو النصر قايتباي.

* **وفيها**: توفي الشيخ الصالح شمس الدين محمد خليفة المغربي الأصل ـ الآتي[1] ذكرُ جده في حرف الخاء ـ، وكان عبداً صالحاً، وأهلُ بيت المقدس يعتقدونه، ورئي له بعض كرامات، وكانت وفاته في ليلة الخميس، وصُلِّي عليه بعد الظهر من يوم الخميس السابع والعشرين من صفر بالمسجد الأقصى، ودفن بتربة ماملا عند جده الشيخ خليفة، وكان لجنازته مشهد عظيم، شهده العام والخاص، وكانت وفاة والده الشيخ شمس الدين في جمادى الآخرة، سنة تسع وثمانين وثمان مئة.

* **وفيها**: في شهر ربيع الأول عاد الأمير جان بلاط قاصد المقام الشريف من الروم بعد أن حصل له الجبر من ملك الروم السلطان أبي يزيد، وبالغ في إكرامه، وأكمل الله الصلح بين سلطاننا وبينه، واطمأن الناس ـ ولله الحمد ـ.

وكان ابتداء الفتنة وتجهيز العساكر لقتال السلطان ابن عثمان من أوائل سنة تسع وثمانين وثمان مئة إلى أن لطف الله تعالى بعباده، ووقع الصلح، وتكامل في هذا التاريخ بعد وقوع الحرب والفتن نحو ثمان

---

(١) في الأصل: «المتقدم».

سنين، وصرف في التجاريد ما لا يحصى كثرة.

* **وفيها**: في شهر ربيع الأول ـ أيضاً ـ، الموافق لكانون الثاني وقع هدم فاحش بكنيسة قمامة بالقدس الشريف في الليل من المطر، وهلك تحته رجلان من الحبشة.

* **وفيها**: ورد مرسوم شريف على شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف بالتوجه إلى مدينة غزة، وصحبته السيفي خضر بك ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة بالقدس الشريف، وإيقاع الصلح بينه وبين ملك الأمراء المقر الأشرف السيفي أقباي كافل المملكة الغزية، والمعاهدة بينهما، وزوال الكدر والوحشة من بينهما، وكتابة صورة بذلك، وعرضها على المسامع الشريفة، فتوجه من القدس الشريف إلى غزة المحروسة، وامتثل ما برزت به المراسيم الشريفة، وحصل الصلح بين المشار إليهما على أحسن وجه، وكان ذلك في جمادى الآخرة.

* **وفيها**: دخل الوباء بالطاعون حتى عمَّ جميع المملكة بالديار المصرية، والممالك الشامية، وكانت قوته بالقاهرة في الجمادَيْن، وتواترت الأخبار بزيادته وتفاحشه إلى أن بلغ بالقاهرة في كل يوم أكثر من عشرين ألفاً، وفي مدينة غزة أربع مئة في كل يوم، وقيل: أكثر من ذلك، ثم ابتدأ بالقدس الشريف والرملة في أواخر جمادى الآخرة، وتزايد أمره بالرملة في شهر رجب إلى أن بلغ في كل يوم نحو مئة وعشرين، وكان في بيت المقدس في شهر رجب إلى آخره، في كل يوم أربعين وثلاثين، وبلغ في يوم الجمعة حادي عشري رجب نحو الخمسين، وهي أول

جمعة ظهر فيها كثرة الأموات.

* **وفيها**: في ثامن عشري شهر رجب المذكور توفي الشيخ الإمام العالم العلامة عبد السلام بن الرضا الكركي الحنفي ـ تغمده الله برحمته ـ، وكان من أهل العلم والفضل، وعليه السكينة والوقار، وكان يكتب على الفتوى كتابة حسنة، والناس سالمون من يده ولسانه، وكان في ابتداء أمره على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، ثم انتقل عنه، وقلد الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه، وتفقه على الشيخ ناصر الدين محمد بن حسني الشهير بابن الشنتير، وبرع في المذهب، وأفتى ودرَّس، وانتفع به الناس في الفتوى، وتوفي في اليوم المذكور، وصُلي عليه بالمسجد الأقصى الشريف بعد صلاة العصر في يوم الجمعة، وحمل تابوته على الرؤوس، ودفن بماملا ظاهر القدس الشريف، ومات فقيراً لم يترك من الدنيا سوى نحو عشرة دنانير، ولما انتقل من مذهب الإمام الشافعي إلى مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، لامه بعض الناس على ذلك، فأنشد:

أَخَذَ السَّفِيهُ يَلُومُنِي بِجَهَالَةٍ ... لِمْ لا ثَبَتَّ عَلَى الطَّرِيقِ الأَعْرَفِ

فَأَجَبْتُهُ دَعْ عَنْكَ لَوْمِي يَافَتَى ... وَاسْلُكْ طَرِيقَةَ ذَا الإِمَامِ الأَشْرَفِ

إِنَّ المَذَاهِبَ خَيْرُهَا وَأَصَحُّهَا ... مَا قَالَهُ النُّعْمَانُ حَقّاً فَاقْتَفِ

إِنْسَانَ عَيْنٍ لِلأَئِمَّةِ كُلِّهِمْ ... فَالكُلُّ عَنْهُ لِلطَّرِيقَةِ مُقْتَفِ

فَاخْتَرْتُ مَذْهَبَهُ وَقُلْتُ بِقَوْلِهِ ... وَجَعَلْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُسْعِفِي

ـ رحمه الله، وعفا عنه، وعوضه الجنة ـ.

* **وفيها**: دخل الوباء من القاهرة وما والاها، ومن غزة في شهر رجب، ودخل إلى مدينة دمشق في أواخر رجب، بعد أن عم جميع المملكة الشامية بحلب وحماة وحمص، وورد الخبر أنه وصل في مدينة حلب في كل يوم نحو ثمان مئة، ثم وصل فيها إلى الألف وخمس مئة، وتناقص بمدينة الرملة في أوائل شعبان إلى أن بقي في كل يوم ثلاثة أنفار أو أربعة، ووصل العدد بمدينة سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ في اليوم دون الخمسين، واستمر بالقدس الشريف بعد ارتفاعه من غزة والرملة وكانت قوته في شهر شعبان، ووصل العدد منه إلى فوق المئة في اليوم، وقيل: إنه بلغ إلى مئة وثلاثين.

وتوفي الأمير خضر بك ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ في ليلة الأحد، الحادي والعشرين من شعبان، وكان دخوله إلى القدس متولياً يوم الاثنين، عاشر جمادى الأولى، سنة ست وتسعين وثمان مئة، وحصل بولايته عمارة البلاد، واطمأن الناس في الطرقات باعتبار حرمته وشهامته ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ، وكان قبل ذلك تولى النيابة فقط، ودخل إلى القدس في تاسع ذي القعدة، سنة إحدى وتسعين وثمان مئة، وساءت سيرته، وورد المرسوم الشريف بالكشف عليه على يد الأمير تغري ورمش دوادار المقر الأشرف أقبردي أمير داودار كبير، فكشف عليه في شهر ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين، وكتب الجواب للسلطان بسيرته، وما هو عليه، فعزله في أوائل سنة ثلاث وتسعين.

ولمَّا استقر في هذه الولاية في النيابة والنظر، باشر مباشرة حسنة، وأظهر العدل في الرعيـة، واستعطف خواطر الناس، وشرع في سلوك طريق الرئاسة، ثم لما دخل الوبـاء، تطيّـر من ذلك، وطلع من القدس الشريف إلى ظاهرها، وأقام بالكروم أياماً، فأنكر الناس عليه ذلك، فدخل إلى المدينة، فأقام بعض أيام، فتوفيت ابنـة لـه، ثم بعد يومين أو ثلاثة توفيت زوجته، ثم بعد وفاة زوجتـه بنحو ستة أيام توفي هو، وصُلي عليه بالمسجد الأقصى بعـد صلاة الظهر من يوم الأحـد، ودفن بتربـة ماملا ظاهر القدس الشريف.

وكان أسند وصيته لشيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف ـ أمتع الله بحياته ـ، فتوجه إلى التربـة، وتولى أمره، ووقف على دفنه، وصحبته جماعة من الأعيان، وقضاة الشرع الشريف.

واستمر الوباء بالقـدس الشريف في قوتـه إلى سلخ شهر شعبان، وأفنى خلقاً كثيراً من الأطفال والشبان، وأفنى طائفة الهنود عن آخرهم، وكذلك طائفة الحبشة.

وفيها توفي عدد من الأخيار الصالحين:

منهم: الشيخ جبريل الكردي الشـافعي، وكـان من أهل الفضل، وكان معظماً عند شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف.

ومنهم: الشيخ الصالح الفاضل يوسـف السليماني الحنفي نائـبُ إمام الصخرة الشريفة، وكان من أهل الخير والصلاح والفضل في مذهب

الإمام أبي حنيفة ﷺ، وكان يصلي إماماً بالصخرة الشريفة، وعلى قراءته الأنس.

ومنهم: الشيخ الصالح المقرئ علي الجزولي المغربي، نائب إمام المالكية بالمسجد الأقصى، وكان من أهل الخير والصلاح، حافظاً لكتاب الله، وكان يؤم بجامع المغاربة، ويؤدي الصلاة على أوضاعها من الطمأنينة في الركوع والسجود.

ومنهم: الشيخ الصالح موسى المغربي، وكان عبداً صالحاً، وكان مقيماً بالخلوة التي تحت سور الصخرة الشريفة القبلي سفل التاريخ، وكان يجلس على باب الخلوة، ويجتمع عنده أهل الخير يتلون كتاب الله، وكان يجلس غالباً ورأسه مكشوف، والصلاح ظاهر عليه.

ومنهم: الشيخ الصالح الناسك إسحاق الجبرتي، وكان عابداً زاهداً، منقطعاً إلى الله تعالى في الخلوة التي بصدر جامع النساء بداخل المسجد الأقصى، والناس يترددون إليه، ويتبركون به، ولقد ظهر له كرامات ومكاشفات ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ.

وتناقص من أول شهر رمضان، وتوفي الخطيب جلال الدين محمد ابن الخطيب محب الدين أحمد ابن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، خطيبُ المسجد الأقصى الشريف، وشيخُ الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف، وكان شاباً حسناً، بلغ من العمر نحو اثنتين وعشرين سنة، ولم يحصل منه ضرر لأحد، وكان متأدباً سالكاً طريق الحشمة،

لم يصدر منه ما يَشينه، وتأسف الناس عليـه، وكانت وفاته يوم الاثنين، سابع شهر رمضان، ودفن بماملا عنـد الشيخ شهاب الدين بن أرسلان بتربة أسلافه ـ رحمه الله، وعفا عنه، وعوضه بشبابه الجنة ـ.

واستمر الوباء بهجومه إلى مدينة دمشق في أول شعبان سنة، وتزايد بها وتفاحش من نصف شعبان، وارتفع من القدس في أواخر شهر شوال، وتناقص من دمشق في العشر الأول من شوال، بعد أن بلغ العـدد فيها في كل يوم ثلاثة آلاف، وارتفع من دمشق في أواخر شهر ذي القعدة.

وحضر شخص من القاهرة، وأخبر أنه كُتب ارتفاعٌ[1] بعِدَّة من مات بالطاعون بالقاهرة، وعُرض على السلطان، فضبَط عدَّة من مات، فكانت العدة ألف ألف، وست مئة ألف، وثمان مئة وسبعة وتسعين نفراً، كذا ورد الخبر على كاتبه من مدينة الرملة، والله أعلم بحقيقة الحال.

* **وفيها**: استقر القاضي عز الدين عبد العزيز ابن القاضي شمس الدين محمد الديري الحنفي في وظيفة قضاء الحنفية بالقدس الشريف.

* **وفيها**: استقر القاضي كمال الدين أبو البركات محمد ابن الشيخ خليفة المالكي في وظيفة قضاء المالكيـة بالقدس الشريف، ووصلت الولاية إليهما معـاً على يد سعد الدين قاصـد المعـز البـدري بن مُزْهِر صاحـب ديوان الإنشاء الشريف في صبيحة يوم الخميس، خامس عشر شوال، وحصل الجمـع بين يدي شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «أرقاع».

في المدرسة الأشرفية بعد صلاة العصر من اليوم المذكور، وقرئ توقيعاهما بين يديه بحضور قضاة الشرع الشريف، وجماعة من طلبة العلم الشريف، والخاص والعام، فكان تاريخ توقيع المالكي في خامس عشري رمضان، وتوقيع الحنفي في خامس شوال.

واستقر الحنفي عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد بن المهندس، وهو الذي أخذ عن والده، وكان استقراره في الثامن والعشرين[1] رمضان، سنة خمس وتسعين وثمان مئة، ودخوله إلى القدس في يوم الخميس خامس المحرم سنة ست وتسعين، واستمر بها إلى أن انفصل في التاريخ المذكور.

واستقر المالكي بعد شغور الوظيفة عن المرحوم القاضي شمس الدين بن الأزرق الأندلسي ـ الآتي[2] ذكره في حرف الميم ـ من شهر ذي الحجة سنة ست وتسعين ـ ونسأل الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه ـ.

* **وفيها**: حج إلى بيت الله الحرام سيدنا ولي الله تعالى الشيخ شمس الدين أبو العون محمد الغزي القادري نزيل جلجولية ـ أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته، ونفعنا ببركة علومه وصالح دعواته ـ، فدخل إلى القدس الشريف من جلجولية في يوم السبت، سابع عشر شوال، وتوجه منها لبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ قاصداً مكة المشرفة بعد

---

(١) في الأصل: «ثامن عشرين».

(٢) في الأصل: «المتقدم».

الظهر من يوم الاثنين تاسع عشر شوال.

* **وفيها**: استقر الأمير جان بلاط أخو الأمير خضر بك في وظيفة نظر الحرمين الشريفين، ونيابة السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ عوضاً عن أخيه الأمير خضر، ووصل إلى القدس الشريف المرسوم الشريف بولايته في شهر رمضان، ودخل إلى القدس الشريف في بكرة يوم السبت، ثامن شهر ذي القعدة الحرام، وكان يوماً مشهوداً.

* **وفيها**: ثارت فتنة عظيمة بالقاهرة من المماليك السلطانية في شهر شوال بسبب إقطاعات من توفي في الوباء، وتهجم المماليك إلى القلعة بسبب عدم إعطاء السلطان لهم الإقطاعات، فطلع إليهم الأمير تمراز أمير سلاح، وعنفهم بالكلام، ووعدهم بكل جميل، وأخمد الفتنة.

* **وفيها**: توفي قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن يونس النابلسي الشافعي قاضي نابلس، وكان ولي قديماً قضاء نابلس، ثم أضيف إليه قضاء الرملة، ثم استقر في قضاء القدس، عوضاً عن القاضي شهاب الدين بن عتبة في أواخر سنة، لرسمه، وعزل في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وثمان مئة، واستمر سبع سنين معزولاً، ثم استقر في قضاء نابلس في سنة ثمان وثمانين وثمان مئة، وتولى الرملة على ضربين، وعزل عنها، واستمر بنابلس، ثم استوطن دمشق وصفد، مع استمراره في الولاية، ثم توجه إلى الحج إلى بيت الله الحرام، فقضى مناسكه، وخرج صحبة الحاج وهو ضعيف، فتوفي ببطن مرو، وأُعيد إلى مكة،

ودفن بها في شهر ذي الحجة، وهذا دليل على حسن الخاتمة ـ رحمه الله تعالى، ورحم جميع أموات المسلمين ـ.

* **وفيها**: توفي يونس بن إسماعيل شيخ جبل نابلس في شهر ذي القعدة، وكانت سيرته غير حسنة؛ مما ينسب إليه من الفسق، وتعاطي المحرمات، واستقر عوضه في مشيخة جبل نابلس أزبك بن قانصوه من بني عم يونس المذكور، ووردت المراسيم الشريفة لملك الأمراء أقباي نائب غزة ولملك الأمراء جان بلاط نائب القدس الشريف، وناظر الحرمين الشريفين بالتوجه إلى جبل نابلس، وتسليمه له، فتوجها حسب المراسيم الشريفة، واستقر في محل مشيخته في أواخر شهر ذي الحجة الحرام، سنة سبع وتسعين وثمان مئة، وكانت سنة شديدة.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثمان مئة والخليفة المتوكل على الله أمير المؤمنين عبد العزيز بن يعقوب، والسلطان الملك الأشرف قايتباي.

* **وفيها في شهر الله المحرم**: تعين قانم الخاصكي للتوجه إلى المملكة الشامية؛ لكشف الأوقاف والمدارس على عادة من تقدمه في ذلك، وكان تقدَّمَه في الكشف الأميرُ جانم قريبُ المقام الشريف في شهور سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة، ثم كشف الأوقات الأمير جان بلاط الأشرفي في شهور سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة، ودخل قانم الخاصكي المذكور إلى القدس الشريف في عشية يوم السبت ثالث صفر، وجلس في بكرة يوم الأحد بالمدرسة السلطانية بحضور شيخ الإسلام الكمالي بن أبي

شريف، وشيخ الإسلام النجمي[1] بن جماعـة، والأمير جان بلاط ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة الشريفة، وقضاة الشرع الشـريف، وقرئ المرسـوم الشـريـف الوارد على يـده بمعنى كشـف الأوقـاف، وما تحصل من التِّرك المخلفة عن الأموات في الوباء المختصة بجهة بيت المال المعمور، واستخرج من الأوقاف أموالاً نحو ألف وخمس مئة دينار، وحصل الضرر بسبب ذلك للفقراء والفقهاء، فالحكم لله العلي الكبير.

وتوجه من القدس في صبيحة يوم السبت، عاشر صفر.

* **وفيها** في العشر الأوسط من صفر: حضر الأمير أقبردي الدوادار الكبير من الديار المصرية على حين غفلة، ولم يعلم به حتى دخل مدينة غزة، ثم توجه إلى الرملة، ووضع أثقاله بها، ثم توجه من فوره هو ومَنْ معه على الخيـول إلى جهة نابلس، ثم عاد إلى الرملة، وأقام بداخل البلد هو وجماعته، ولم ينصب مخيمه بظاهرها على ما جرت به العادة، ونادى بالأمان، وأمر جماعته بعدم التعرض لأحد، ولا تشويش على الرعية.

* **وفيها**: توفي الشيخ الصالح الناسك العابد الخاشع شرفُ الدين موسى ابن الشيخ شهاب الدين أحمـد ابن الشيخ الصالح القدوة جمال الدين عبدالله بن الصامت القادريُّ الحنفيُّ شيخ الفقراء القادرية، وكان من أهل الخير والصلاح، وله عبادة وملازمة على ذكر الله تعالى، وكان مقيماً بالمدرسة الصيبيـة شمالي المسجد الأقصى، ويقيم فيها الأوقات

---

(١) أي: نجم الدين.

المشهودة بالذكر، خصوصاً ليالي الجمع، وكان يذكر الله تعالى في المسجد الأقصى بصدر جامع النساء عقب صلاة كل جمعة، وعليه الأنس والخشوع، وهو معتزل عن الناس، لا يخالط أبناء الدنيا، ولا يتردد إليهم، وكان جده من أكابر الصالحين، ووالده ـ أيضاً ـ كان رجلاً صالحاً، وهو من بيت قوم صالحين، وكان الشيخ موسى أضرّ في بصره، وضعف بدنه قبل وفاته بسنين، وهو ـ مع ذلك ـ لا يفتر عن ذكر الله تعالى، ولا عن ملازمة الطاعة على عادته، وكان الناس سالمين من يده ولسانه، والصلاح ظاهراً عليه.

وكان ذلك ليلة الأحد، وصُلي عليه بعد الظهر من يوم الأحد بالمسجد الأقصى في سادس عشر صفر الأغر، وحمل تابوته على الرؤوس، ودفن بتربة الساهرة ظاهر القدس الشريف من جهة الشمال، وكانت جنازته حافلة، حضرها خلق لا يحصون كثرة، ولم ير مثل جنازته في هذه الأزمنة، وشيَّعه شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، وقضاة الشرع والعلماء، والخاص والعام، وبلغ من العمر نحو ثلاث وسبعين سنة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

قد تقدم أن الأمير أقبردي الدوادار الكبير حضر من الأبواب الشريفة، وأقام بالرملة بداخل البلد، وكان مقامه بدار الأمير منصور بن قرابغا يبيت بها ليلاً، وجلوسه في النهار بدار ابن باكيش المعدة للحكام، وجماعته من الخدم وغيرهم نزلوا عند الناس في منازلهم متفرقين.

ثم في عشية يوم الأحد عاشر ربيع الأول حضر إلى القدس الشريف

قانصوه، وعلى يده مرسوم الدوادار برمي الزيت المتحصل من جبل نابلس على التجار المعتادين بعمل الصابون كل قنطار بخمسة عشر ديناراً، بعد أن خُتم على ما اشتروه من القلي، ونودي في البلد بالأمان للعوام، وأن الزيت لا يأخذه إلا أربابه، فمن الناس من لم يصدق هذه المناداة، وخرج هارباً، ومنهم من اطمأن، ثم شرع قانصوه في كتابة أسماء التجار، ومَنْ له عادة بعمل الصابون حتى اطمأن الناس، وشَرع يقبض عليهم واحداً بعد واحد، من التجار وغيرهم، ويلزمهم بشراء الزيت على حكم ما فعل بهم في سنة ست وتسعين وثمان مئة، ورمي على اليهود والنصارى، وطلب بعض نساء الغائبين[1]، ولكنه في هذه المرة أخفُّ وطأة من المرة الأولى التي كانت في سنة ست، بمقتضى أن ناظر الحرمين ونائب السلطنة بالقدس الأمير جان بلاط اعتنى بأهل بيت المقدس، وظهر منه التلطف بالرعية، فلم يقع فيهم الإفحاش كما تقدم في زمن دقماق النائب.

وكان الزيت المرسوم برميه على القدس وبلد الخليل ألف وخمس مئة قنطار، من ذلك مئة وستون قنطاراً مختصة بأهل الخليل، وعلى أهل غزة ألف قنطار، ثم رمي على أهل الرملة، وضيق عليهم بالضرب والحبس وإخراج بعض الحريم؛ كما وقع لأهل القدس في سنة ست وتسعين، فالحكم لله العلي الكبير.

---

(١) في الأصل: «وطلب بعض نساء بسبب الغائبين».

وسافر قانصوه من القدس صحبةَ ناظر الحرمين بالمال المقبوض بعد صلاة الجمعة، العشرين من ربيع الآخر، بعد إقامته بها أربعين يوماً، وحضر إلى الأمير أقبردي الدوادار النواب والأمراء إلى الرملة من طرابلس وحماة وصفد والبيرة، وأُهدي إليه من الأموال والمواشي ما لا يحصى، ثم حضر إليه ملك الأمراء قانصوه اليحياوي كافل المملكة الشامية، والأمير يونس حاجب الحجاب بالشام، وغيرُهما، وحضر الأمير قانصوه اليحياوي إلى القدس الشريف لقصد الزيارة، ونزل في تربته التي أنشأها بظاهر باب الأسباط في عشية يوم الخميس، رابع جمادى الأولى، وتوجه في صبيحة يوم الأحد سابع الشهر قاصداً إلى دمشق المحروسة، وتوجه الأمير أقبردي الدوادار من الرملة لجهة الغور لقتال العرب، وتوجه إليه الأمير جان بلاط ناظرُ الحرمين، وناظر القدس الشريف في بكرة يوم الاثنين من جمادى الأولى، [وتوجه إلى] بلاد حوران وما والاها من البلاد، ونهب أذرعات وغيرها، وحصل من الأموال والمواشي ما لا يحصى كثرة، وحضر إليه عامر بن مقلد شيخ العرب، فقبض عليه، وحضر إلى مدينة الرملة في يوم السبت، تاسع عشر شهر جمادى الآخرة، وتوجه منها قاصداً الأبواب الشريفة في ليلة الجمعة، خامس عشر جمادى الآخرة، وصحبته من المواشي ما لا يحصى كثرة، فهلك منها في الطريق غالبها، ولم يصل معه منها إلى القاهرة إلا الأقل.

* **وفيها**: توفي القاضي غرس الدين خليل الكناني أخو الشيخ أبي العباس الواعظ بمكة المشرفة، وكان ولي قضاء نابلس، وقضاء صفد،

وباشر نيابة الحكم بالديار المصرية، ثم ولي قضاء الشافعية بالقدس الشريف، ومشيخة المدرسة الصالحية، وأضيف إليه قضاء بلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، والرملة، وكان دخوله للقدس الشريف في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة، وعزل في أوائل سنة ست وسبعين وثمان مئة، وتقدم طرف من أخباره في ترجمة السلطان الملك الأشرف قايتباي، واستمر معزولاً مقيماً بغزة ومجدل حمامة، ثم توجه للحج في سنة سبع وتسعين وثمان مئة، وجاور بمكة، فمات بها في شهور سنة **ثمان وتسعين وثمان مئة**، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **وفيها**: في شهر شوال حل ركاب الأمير قانصوه نائب قلعة الجبل المنصورةَ بالديار المصرية إلى مدينة الرملة متوجهاً إلى ملك الشرق من الأبواب الشريفة، وأوقع الصلح بين أخيه الأمير جان بلاط ناظر الحرمين الشريفين، ونائب القدس الشريف، وبين ملك الأمراء المقر السيفي أقباي كافل المملكة الغزيّة؛ بسبب ما كان بينهما من التنافس.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثمان مئة والخليفة والسلطان على عادتهما.

* **وفيها**: توجه الأمير جان بلاط نائب القدس الشريف إلى الأبواب الشريفة، وكان سفره من القدس في ليلة السبت، تاسع عشرين المحرم، ولم يعلم أحد بسفره إلا بعد يومين أو ثلاثة، فوصل إلى القاهرة.

* **وفيها**: توفي الأمير أزدمر نائب حلب، وكان ظالماً عَسوفاً للرعية، وحصل منه لأهل حلب الضرر الكثير، وكان كثير الإساءة لطائفة

الفقهاء، وامتهان أحكام الشريعة المطهرة، وكان أمير مجلس بالديار المصرية، ثم ولي نيابة حلب.

* **وفيها**: توفي الأمير أزدمر نائب صفد المعروف بالمسرطن، وكان أحد الأمراء المقدمين بالديار المصرية، ثم ولي نيابة صفد، فأحسن السيرة، وعدل في الرعية؛ بخلاف ما كان عليه نائب حلب، فهو يوافقه في الاسم، ويخالفه في الفعل، وكانت وفاتهما في مدة متقاربة، فطلع سيف كل واحد منهما للسلطان، وكان ذلك في شهر صفر.

* **وفيها**: استقر القاضي شرف الدين يحيى العيزري في وظيفة قضاء الشافعية بغزة، عوضاً عن القاضي شمس الدين بن المحاسن، بعد محن حصلت له، وصودر وحبس بعد الكشف عليه وكتابة محاضر في حقه بمال أُنهي أنه في جهته من الناس في مدة ولايته، وكان ابتداء ولايته في أوائل سنة تسع وسبعين وثمان مئة، وعزل مرات بالقاضي محيي الدين ابن جبريل، وبالقاضي شرف الدين العيزري المقدَّم ذكرُه، ثم استقر في الولاية من سنة تسعين وثمان مئة، واستمر بها إلى أن قدر الله تعالى بمحنته في هذه المرّة، واستقر عوضه القاضي شرف الدين العيزري، وأُلبس التشريف الشريف في دار السعادة بغزة، بحضور ملك الأمراء السيفي أقباي، في شهر الله المحرم الحرام.

* **وفيها**: في يوم الثلاثاء تاسع عشري ربيع الأول الموافق لسابع كانون الثاني: وقع الثلج بالقدس الشريف، واستمر ينزل من ظهر الثلاثاء إلى عشية يوم الخميس مستهل ربيع الآخر، ليلاً ونهاراً حتى امتلأت الشوارع

والأسطحة والأماكن، ورُئي منه ما لم يُعْهَد في هذه الأزمنة من نحو سبعين سنة، حتى كان حجمه فوق الأرض في بعض الأماكن أكثر من أربعة أذرع، وأخبرت أنه بلغ في بعض الأماكن أكثر من خمسة أذرع، وتقطعت السُّبل وسُدَّت الشوارع، وأصبح الناس في يوم الجمعة ثاني ربيع الآخر في شدة شديدة، وأقيمت صلاة الجمعة بالمسجد الأقصى الشريف، فلم يحضرها من أهل بيت المقدس النصف، بل ولا الثلث.

ووقع الثلج بمدينة الرملة، ولم يعهد وقوعه بها في هذه الأزمنة، إلا ما يحكى أنه من مدة طويلة من نحو ثمانين سنة وقع بها مرّة في سنة من السنين، فسماها أهل الرملة: سنة الثلجة، ولم يُعلم أنه بلغ قدر ما بلغ في هذه المرة، حتى قيل: إنه وصل إلى البحر، [واستمر] في شوارع القدس أكثر من عشرين يوماً، وقد اشتد حتى صار كالحجارة، ثم وقع البرد الشديد بعد وقوع الثلج بنحو خمسة عشر يوماً، حتى جمد الماء وصار جليداً، ثم في عشية الخميس ليلة الجمعة، السادس عشر من ربيع الآخر عاود الثلج، ونزل حتى عمَّ الأرض، لكنه كان خفيفاً.

ومن الاتفاق: أن الثلج كان وقع بالقدس في السنة الماضية، وهي سنة ثمان وتسعين، في يوم تاسع عشرين ربيع الأول، ثم وقع في هذه السنة في تاسع عشرين ربيع الأول، لكنه في العام الماضي كان في يوم الجمعة، وفي هذا العام في يوم الثلاثاء، فسبحان القادر على كل شيء.

ثم وقع الثلج بغزة المحروسة، ولم يعلم وقوعه بها قبل ذلك.

قد تقدم قبل ذلك: أن الأمير جان بلاط ناظرَ الحرمين الشريفين،

ونائبَ السلطنة بالقـدس الشريف توجَّـه إلى الأبواب الشريفة في تاسع عشرين المحرم، فلما وصل إلى الخدم الشريفة، بقي هناك مدة، وحصل له الإنعام الشريف باستمراره في وظيفته، وأُلبس التشريف، ودخلها في بكرة يوم الخميس، ثاني عشرين ربيع الآخر، وكان يوماً كثير المطر لم يُر مثلُه في شتاء هذا العام، وركب الناس للقائـه من القضاة والأعيان، واستمر المطر ينزل عليهم من عند خان الملك الظاهر بيبرس وإلى دار النيابة، ودخل صحبته القاضي برهان الدين الجوهري، وعليه خلعة كاملية بفرو سمور، ولم يعهد دخول حاكم لبيت المقدس في مثل هذا اليوم إلا في سنة سبع وسبعين وثمان مئـة لما توفي الأمير دقماق الأينالي نائـب القدس الشريف ـ المتقدم ذكره في ترجمة مولانا السلطان ـ، واستقر بعده في النيابـة جقمق الظالم العاجز، فدخل إلى القدس الشريف في شـهر رمضان من السنة المذكورة، في يوم كثير المطر كهذا اليوم.

وفي ثاني يوم دخول الأمير جان بلاط إلى القدس الشريف، وهو نهار الجمعـة، الموافق لآخر يوم من كانون الثاني، وقع الثلج بالقدس الشريف مرّة ثالثة، واستمر ينزل من وقت صلاة الجمعة إلى بعد الظهر من يوم السبت، حتى بقي حجمه فوق الأرض أكثر من ذراع، وامتلأت الشوارع والأسطحة منه، وانزعج الناس لذلك خشية الضرر منه، وأصبح إلى يوم الأحد، وأغاث الله عباده بنزول الغيث الغزير من بعد الظهر من يوم الأحد إلى آخر ليلة الاثنين، فأزال الثلج، حتى لم يبق منـه إلا القليل، ثم وقع الهدم في الأماكن، فسقط كثير من الدور والأبنية.

* **وفيها**: استقر الأمير أقباي نائب غزة المحروسة في نيابـة صفد عوضاً عن الأمير أزدمر المسرطن، وتوجه إليها في شهر ربيع الآخر.

واستقر في نيابة غزة الأمير قاني بك، ودخـل إليها في شهر جمادى الآخرة، وكان قدومه من حلب.

واستقر في نيابة حلب الأمير أينال نائب طرابلس.

* **وفيها**: أضيف كشف الرملة لملك الأمراء بالشام، وجهز كاشفة إليها الأمير إسكندر، فأقام بها مـدة يسيره نحـو شهر، ثم ورد مرسـوم شريف لملك الأمراء بغزة الأمير قاني بك بأن يكون متكلماً على الرملة على عادة الأمير أقباي نائب صفد حين كان نائباً بغزة، وأن يقوم لملك الأمراء بالشام بما جرت بـه عادته، وجهز متسلمه إليها، فتسلمها في عشية يوم الأربعاء ثالث رجب، ثم ورد ملك الأمراء قاني بك للرملة في يوم الثلاثاء ثامن شعبان، وحضر إليه ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة بالقدس الشريف الأمير جان بلاط، وصحبتـه قضاة بيت المقدس في يوم السبت ثاني عشر شعبان.

* **وفيها**: استقر القاضي شهاب الدين بن المهندس الحنفي في قضاء الحنفية بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليـه السلام ـ، والرملة، وورد توقيعه مؤرخاً في ثامن عشر رجب، وأُلبس التشريف الشريف من ظاهر مدينـة القدس في يوم الاثنين سابع شعبان، وكانت ولايتـه لبيت المقدس عوضاً عن القاضي عز الدين الديري ـ المتقدم ذكر ولايتـه في سنة سبع وتسعين وثمان مئة ـ، وللرملة عوضاً عن القاضي كمال الدين

محمد بن الأحزم النابلسي، وحضر إلى محل ولايته بالرملة صحبة ناظر الحرمين السيفي جان بلاط ـ في التاريخ المتقدم ذكره قريباً ـ.

* **وفيها**: توفي شيخ الإسلام صلاح الدين محمد الطرابلسي الحنفي، شيخُ المدرسة الأشرفية بالديار المصرية، وكان من أهل العلم والدين، وتقدم في ترجمة السلطان: أنه استقر في مشيخة الأشرفية عوضاً عن برهان الدين الكركي في سنة ست وثمانين وثمان مئة، وقد عظم شأنه، وصار المرجع إليه في الفتوى، وكانت وفاته في يوم الاثنين، خامس عشر رجب ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* **وفيها**: استقر قاضي القضاة محب الدين محمد بن القَصيف الحنفي في وظيفة قضاء الحنفية بدمشق المحروسة، عوضاً عن القاضي برهان الدين بن القطب، بعد وفاته بالقاهرة المحروسة، ووصلت الولاية إليه في شهر رجب.

* **وفيها**: استقر حسن بن إسماعيل في مشيخة جبل نابلس عوضاً عن أزبك بن إسماعيل في شهر شعبان.

* **وفيها**: استقر محمد بن إبراهيم الوديات في إمرة جرم عوضاً عن ثابت الرميني، وقدم إلى مدينة غزة، فورد مرسوم شريف لنائب غزة الأمير قاني بك، وقرينه مرسوم شريف لناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس الشريف الأمير جان بلاط يعلمهما: أن مكاتبة ملك الأمراء بغزة وردت للأبواب الشريفة تتضمن: أن أمير جرم محمد الوديات لا يصلح للإمرة؛ لعجزه عن القيام بالقود، وما هو مقرر عليه للخزائن

الشريفة، وأن نائب القدس الشريف يتوجه وصحبته قضاة القدس الشريف، وأركان الدولة بها لمدينة غزة، والاجتماع لملك الأمراء بغزة وقضاتها، وأركان الدولة بها، وجميع أمراء جرم، ومن كان يصلح للولاية ممن ترضى به الرعية، ويقدر على ما هو مقرر، يُكتب له محضر شرعي، ويُعرض على المسامع الشريفة.

فتوجه ناظر الحرم، وصحبته قضاة القدس الشريف الأربعة من القدس الشريف، في ليلة الأحد، سابع عشرين شعبان، ووصلوا غزة في بكرة الاثنين، وحصل الاجتماع بنائب غزة وقضاتها بدار النيابة بغزة بعد العصر في يوم الثلاثاء، ودار الكلام بينهم فيمن يصلح، فنائب غزة قصد أن يستقر أبو العُوَيس بن أبي بكر، ونائب القدس قصد استقرار محمد الوديات؛ لكونه هو الذي سعى في توليته، ثم التزم ناظر الحرمين بما على محمد الوديات من القود والعادة في مدة ولايته، وبمبلغ خمس مئة دينار زيادة على ما هو مقرر عليه، فلم يحصل اتفاق بين نائب غزة ونائب القدس، وانفصل المجلس على غير رضا، وكل من النائبين كتب للسلطان بما يختاره، وتوجه نائب القدس وقضاتها من غزة في بكرة نهار الأربعاء سلخ شعبان، وصحبتهم محمد الوديات أمير جرم، ومكَّنه نائب القدس من الإمرة، وألبسه خلعة السلطان، وقام في نصرته بكل ممكن.

* **وفيها**: استقر الشيخ برهان الكركي في مشيخة المدرسة الأشرفية بالديار المصرية عوضاً عن الشيخ صلاح الدين الطرابلسي بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، وأُلبس الخلعة من الحضرة الشريفة في مستهل شهر

شعبان، واستقر ـ أيضاً ـ في قراءة الحديث الشريف بالقلعة الشريفة عوضاً عن الشيخ جمال الدين سبط قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، وشرع في قراءة الحديث في الأشهر الثلاثة الشريفة، وكان قبل ذلك حصل الرضا عليه من المقام الشريف، وأقره في إمامته على حالته، وعاد إلى ما كان عليه من الحشمة، ونفاذ الكلمة، والإقبال من السلطان ـ وقد تقدم في ترجمة السلطان ما كان وقع من إخراج وظائفه عنه في حوادث سنة ست وثمانين وثمان مئة ـ، والآن فقد مَنّ الله عليه بإعادة وظائفه بعد وفاة مَنْ أخذها عنه، فسبحان القادرِ على ما يشاء.

* **وفيها:** في شهر رمضان وقع بدمشق فتنة فاحشة، وهي أن رجلاً يسمى: الشيخ مبارك، أسود اللون سلك[1] طريق الفقراء، وتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان تسلط على أرباب المنكرات في كَبِّ الخمر، ونحوه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحمل منه حكام الشام الأتراك، فوقعت حادثة أوجبت أن قُبض عليه، وأُحضر إلى نائب الشام الأمير قانصوه اليحياوي، فلما حضر بين يديه، ضربه ضرباً فاحشاً، وضرب رجلين من جماعته بالمقارع، وحبسهم فثار جماعة لنصرة الشيخ مبارك، وحضر قاضي القضاة شهاب الدين بن فرفور الشافعي لمجلس النائب، وتكلم معه في إطلاق الشيخ مبارك، فلما خرج

(١) في الأصل: «سالك».

من السجن، اعتصب معه جماعة بسبب الرجلين المحبوسين من جماعته، وتوجهوا للسجن، وفتحوه، وأطلقوا مَنْ به من المسجونين، فلما علم النائب بذلك، أركب جماعة من مماليكه، وأمرهم بالقبض على الشيخ مبارك ومَنْ معه على هيئة الحرب، وحضروا إلى الجامع الأموي، وحصل البطشُ منهم في الناس بالضرب والقتال والنهب فيمن عرفوه ومن لم يعرفوه، حتى قُتل من الناس خلق كثير نحو مئة وثلاثين نفساً، قتل عمد بغير حق، فبعضهم قُتل خارج الجامع، وبعضهم بداخله في محل العبادة والصلاة، وتفاحش الحال في القتلى حتى صاروا كالجيف الملقاة، وكان ذلك في النهار من شهر رمضان، وأُخبرت أنه حصل فسق، وأفطر ـ أيضاً ـ من المماليك، فالحكم لله العلي الكبير.

ثم كتب نائب الشام يُعلم السلطان بذلك، وتوجه الشيخ مبارك ـ أيضاً ـ للسلطان، ومعه مكاتبات من أهل دمشق بما وقع، والله تعالى المتصرف في عباده كيف يشاء.

* **وفيها**: في شهر رمضان ـ أيضاً ـ وقع بحلب فتنة بين العوام وبعض المتصرفين من أعوان الشرطة، وقتل جماعة من الناس في نهار رمضان، نظير ما وقع بالشام، وكانت حادثة فاحشة.

* **وفيها**: في شهر رمضان توفي الأمير علاء الدين علي بن خاص بك، صهرُ المقام الشريف، وكان رجلاً عاقلاً، حصلت له الرياسة، فلم يحصل له ما حصل لغيره من الطغيان، فإنه صاهر الملوك بتزويج أخته للملك الأشرف أينال، وابنته للسلطان الملك الأشرف قايتباي، وكان

مقيماً بمنزله بخط بين القصرين، لا يتكلم بين اثنين، ولا يظهر التجوُّهَ ولا الفخر بمصاهرة الملوك، ولا تحصل منه شفاعة عنـد أحد من أرباب الولايات في أمر من الأمور، واستمر على ذلك إلى حين وفاته، وكانت جنازته حافلة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **وفيها:** استقر الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد ابن الشيخ نور الدين علي الشيشيني الحنبلي أحـدُ علماء الحنابلة بالديار المصريـة في وظيفة قضاء الحنابلة بالحرمين الشريفين: مكة المشرفة، والمدينة الشريفة ـ على الحالِّ بها أفضلُ الصلاة والسلام ـ، عوضـاً عن السيد الشـريف قاضي القضاة محيي الدين عبد القادر الحسني الحنبلي ـ رحمـه الله تعالى ـ بحكم وفاته، بعد شغورها عنه أكثر من سنة، فإنه توفي بالمدينـة الشريفة في نصف شعبان، سنة ثمان وتسعين وثمان مئة، مباشرتـه لقضاء الحرمين الشريفين نحو خمسة وثلاثين سنة، وكان من أهل العلم والدين، عفيفاً في مباشرته ـ رحمه الله ـ.

* **وفيها:** حضر الأمير قاني بك نائب غزة المحروسة إلى القدس الشريف، حسب المرسوم الشريف الوارد عليه في ذلك، وكان دخوله للقدس في ضحى يوم الثلاثاء، عاشر شهر ذي القعدة الحرام، وحصل الاجتماع بينـه وبين الأميـر جان بلاط ناظرِ الحرمين الشريفين، ونائبِ السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، بحضـور شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف بمنزلـه بالمدرسة التنكزية، ووقع الصلح بينهما، وحصلت الموافقة والمعاهدة على زوال ما بينهما من التنافر.

وتوجه نائب غزة من القدس في عشية نهار الأربعاء.

* **وفيها**: توفي الأمير يشبك بن حيدر نائب حماة، وكان باشر الولاية بالقاهرة المحروسة مدة طويلة تقرب من عشرين سنة، ثم ولي حماة، واستمر إلى أن مات بها.

* **وفيها**: توفي الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ نجم الدين أحمد الخطيب الحنبلي من ذرية الشيخ أبي عُمَر ابن قدامة، مولده بصالحية دمشق، في عشية عيد الفطر، سنة خمس وثمان مئة، وكان من أهل الفضل، ومن القدماء، باشر نيابة القضاء بالديار المصرية عن قاضي القضاة محب الدين بن نصر الله البغدادي، ومن بعده إلى أيام قاضي القضاة عز الدين الكناني، وكان في دولة الأشرف أينال تُكُلِّم له في قضاء الديار المصرية، فلم ينبرم ذلك، ثم لما توفي قاضي القضاة عز الدين الكناني، تطاول للولاية، فلم يقدَّر ذلك، واستمر خاملاً إلى أن توفي، وكانت وفاته في نهار الأربعاء، خامس عشرين ذي القعدة بالقاهرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ثم دخلت سنة تسع مئة، الخليفة والسلطان على عادتهما.

* **وفيها**: توفي الأمير يونس حاجب الحجاب بالشام المحروس، وكان خصيصاً بالسلطان، وله عنده وجاهة، وكلامه مقبول عنده، وكان قد رأس بالشام، وتَرِدُ إليه المراسيم الشريفة في الأمور المهمة، وكانت وفاته في يوم السبت، رابع المحرم ـ عفا الله عنه ـ.

* وفيها: في العشر الثالث من المحرم، لما عاد ركب الحج الشامي من مكة المشرفة، وزار النبي ﷺ، وسار إلى أن وصل إلى قريب من مدينة الكرك في مكان يعرف بـ: معان، والركب سائر، ظهر عليه عرب بني إبراهيم، ومعهم جماعة من عرب بني لام، وحصل النهب من العرب في الحج، فأخذ بعضه، فلما وصل ركب الحج إلى الحسا، حصل بين أمير الركب الشامي ومن معه من الحجاج، وبين العرب أمور يطول شرحها، وجُمع من الحجاج مال، ودُفع للعرب، وحصل الأمان بينهم، فشرع الحجاج في التحميل والسير، فظهر العرب عليهم، وأُخذ ركب الحج عن آخره، ونُهبت الأموال نهباً فاحشاً، وكانت عِدّة جمال الحجاج ثلاثة عشر ألف جمل، لم يسلم من ذلك سوى ستة عشر جملاً عرايا من غير أحمال، وكان في الحج جماعة من الأعيان بدمشق، وأُخذ قاضي القضاة شمس الدين بن المزلق الشافعي، وجماعة من أعيان التجار من أولاد القاري وغيرهم، ومعهم من الأموال ما لا يحصى كثرة، فأُخذ جميع ذلك عن آخره، وهلك من الرجال والنساء والأطفال خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى، وسار جماعةٌ حفاةً عراةً إلى أن وصلوا إلى مدينة الكرك، وبعض الحجاج استمر ملقًى في البرية، وتشتت شملُ الحجاج وتفرق، وقُبض على أمير الحاج، وأُخذ جميع ما معه، وكانت حادثة فاحشة، لم يُسمع بمثلها في هذه الأزمنة، واغتضب جماعة من أهل الكرك، وجماعة من أهل سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، وتوجهوا إلى جهة الأغوار وغيرها، وأحضروا جماعة من الحجاج إلى بلد سيدنا الخليل ـ عليه

السلام ـ، وإلى القدس الشريف، فالحكم لله العلي الكبير.

والسبب في ذلك: أن أمير الركب الشامي هو أركماس دوادار السلطان بالشام، كان لما كان متوجهاً إلى الحجاز الشريف، قَبض على شخص من العرب، وضيق عليه، ثم هرب منه، فنهب أميرُ الحاج مالاً لبعض العرب وحصل منه التشوفُ عليهم، فلما عاد ركب الحج الشريف، تحالف عليه جماعةُ العربان من بني إبراهيم وبني لام، ووقعت هذه الحادثة، والله سبحانه هو المتصرف في عباده.

* **وفيها**: توفي قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن التادفي الحنبلي قاضي مدينة حلب، وكان من أهل الفضل، حسن الشكل، وخَطُّه حسن، وله مروءة وشهامة، وكانت ولايته لمنصب القضاء بحلب في دولة الملك الأشرف أينال في حدود الستين وثمان مئة، عوضاً عن قاضي القضاة علاء الدين بن مفلح، ووقع له العزل والولاية مرات بالقاضي علاء الدين بن مفلح، ثم لما نزل السلطان إلى المملكة الشامية، في شهور سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة، واجتمع به بمدينة حلب، أنعم عليه باستقراره في كتابة السر، ونظرِ الجيش، ونظرِ القلعة بحلب، مضافاً لمنصب القضاء، فباشر الوظائف مدةً، فتجمد عليه مال للديوان الشريف، وطُلب إلى القاهرة، وحُبس بالسجن المعروف بالقشرة مدة طويلة، وعزل من وظائفه، واستقر فيها غيره، وهو رجل شريف من أهل حلب، فباشرها مدة، وحصل له فيها محنة بسبب تجمد المال عليه، كما وقع للقاضي جمال الدين التادفي، ثم أُفرج عن القاضي جمال الدين من

السجن، وحصل له الجبر من السلطان، وولاه وظيفة قضاء الحنابلة بحلب على عادته، وتوجه إليها، وأقام بها إلى أن توفي بها في شهر المحرم ـ غفر الله تعالى له، وسامحه ـ.

* **وفيها**: استقر الأمير قايتباي نائب صفد في نيابة السلطنة بحماة المحروسة، عوضاً عن الأمير يشبك بن حيدر، وتوجه إليها في شهر صفر، فكانت إقامته بصفد دون السنة.

* **وفيها**: توفي القاضي تقي الدين أبو بكر بن شمس الدين محمد العجلوني المعروف بابن البيدق الحنبلي، أحد خلفاء الحكم العزيز بدمشق، وكان من أهل الفضل، ومن أعيان جماعة الحنابلة بدمشق ـ رحمه الله ـ، وكانت وفاته في أوائل هذا العام ـ غفر الله تعالى له ـ.

* **وفيها**: استقر القاضي عز الدين عبد العزيز الديري الحنفي في وظيفة قضاء الحنفية بالقدس الشريف، عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد ابن المهندس ـ المتقدِّم ذكرُ ولايته في السنة الخالية ـ، وقد تقدم أنه استقر في قضاء القدس، وبلدِ سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، والرملةِ، وأن توقيعه مؤرخ في ثامن عشر رجب، سنة تسع وتسعين وثمان مئة، فعزل عن قضاء بلد الخليل ـ عليه السلام ـ في ثامن عشرين شعبان منها، فكان استمرار ولايته بالخليل أربعين يوماً، ثم عزل عن قضاء الرملة في يوم الأربعاء، مستهل المحرم من هذه السنة، وهي سنة تسع مئة، فكان استمرار ولايته بالرملة خمسة أشهر، واثني عشر يوماً، ثم عزل عن قضاء القدس الشريف، وورد خبر ولاية القاضي عز الدين السري، وجلس

للحكم في يوم السبت، ثامن عشرين ربيع الأول، فكان استمراره في قضاء القدس من يوم ولايته وإلى هذا اليوم ثمانية أشهر، وعشرة أيام بالنسبة إلى تاريخ توقيعه، وبالنسبة إلى لبسه التشريف، وتمكنه من الحكم في سابع شعبان، كانت مدته سبعة أشهر، وعشرين يوماً.

وفي يوم الثلاثاء، ثاني شهر ربيع الآخر: دخل الأمير جان بلاط ناظر الحرمين الشريفين، ونائبُ السلطنة بالقدس الشريف وبلدِ سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ إلى مدينة القدس، وهو لابس خلعة الشتاء الواردة إليه من الأبواب الشريفة، ودخل معه القاضي عز الدين السري، وهو لابسٌ تشريف الولاية.

* **وفيها**: برز الأمر الشريف بإضافة التكلم على كشف مدينة الرملة المحروسة، للمقر الأشرف الأمير جان بلاط ناظرِ الحرمين الشريفين، ونائبِ السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، وأُخرجت عن المقر الأشرف الأمير قاني باي نائبِ غزة المحروسة، وتسلمها الأمير جان بلاط في شهر جمادى الأولى، وحصل لأهل الرملة السرور بذلك.

* **وفيها**: ورد السيفي علان من الأبواب الشريفة، وعلى يده مراسيمُ شريفة برمي الزيت المتحصل من جبل نابلس على أهل القدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، وغزة، والرملة، على ما جرت به العادة في سنة ست، وسنة ثمان وتسعين وثمان مئة، فرمي عليهم كل قنطار بالكيل الرملي بخمسة عشر ديناراً ذهباً، فالذي رمي على القدس

الشريف والخليل تسع مئة قنطار، وعلى أهل الرملة مئتا قنطار، وحصل لأهل البلاد المذكورة الرفقُ من الأمير جان بلاط نائبِ الحرمين ونائب القدس والخليل والرملة؛ فإنه تلطف بهم، ولم يحصل منه ضرر ولا تشويش لأحد منهم، بل استعطف خواطرهم، وأخذهم بالتي هي أحسن، فجزاه الله خيراً، ولكن تضرر الفقراء من ذلك؛ كونهم يخسرون كثيراً؛ فإن كل قنطار بخمسة عشر ديناراً، وكلفته نحو دينار، فأبيع بتسعة دنانير فما دونها، فكانت الخسارة نحو النصف، والله لطيف بعباده.

* **وفيها**: في شهر رجب حضر رجل من بلاد الفرنج، زعم أنه أخو مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي، وأنه لما أسر هو وإياه من بلاد الجركس، وأُحضر السلطان إلى الديار المصرية حتى وصل إلى ما منّ الله عليه من الملك، أُخذ هو إلى بلاد الفرنج، واستمر عندهم إلى أن بقي شيخاً، ورزق الأولاد، وهو على دين النصرانية، وذكر أنه قدم إلى القاهرة مراراً، وأنه كان ينظر أخاه السلطان، ولا يجسُر أن يتعرف به، فلما وصل علمهُ للسلطان، أحضره من بلاد الفرنج، فقدم إلى مدينة طرابلس، ثم توجه إلى الديار المصرية، فتمثل بالحضرة الشريفة، وذكر أمره للسلطان، فسأله السلطان عن حقيقة أمره، فذكر له أَمارات دلَّت على صدقه، فعند ذلك صدَّقه السلطان على أُخُوَّته وأحسن إليه، وأسلم هو وأولاده، وسمي: [. . . .]، وأقام بالقاهرة مكرَّماً، فسبحان المتفضل على من يشاء بما شاء.

* **وفيها**: وقعت فتنة عظيمة بين الأمير جان بلاط ناظرِ الحرمين،

ونائبِ القدس والرملة، وبين الأمير قاني بك نائب غزة، وهو: أن الأمير جان بلاط لما قدم إلى الرملة بسبب رمي الزيت المتقدم ذكره قريباً؛ امتثالاً للمرسوم الشريف الوارد عليه بمعنى ذلك، فدخل إلى الرملة في يوم الأحد سادس عشر رجب، فلما كان في صبيحة يوم الثلاثاء ثامن عشر رجب، أمر كاشفه بالرملة، وهو الجمالي يوسف بالركوب هو وجماعته، والمشي في معاملة الرملة؛ لحفظها من المناحيس، والذَّبِّ عن الرعية؛ لأنه كان ـ قبل ذلك ـ حضر جماعة من العرب، ونهبوا أبقاراً لأهل الرملة، ولأهل نيعان من أعمالها، فلما ركب الكاشف بجنده، ركب ناظر الحرمين، وصحبته دواداره برسباي، ونحو أربعة أنفس، وخرج إلى ظاهر الرملة للمسايرة، فطلع على الكاشف جماعة، فطردهم وطردوه إلى أن حصروه بالبرج الكائن بقرية خلدا من أعمال الرملة، فتحصن به، فأخذوا خيوله، وقتلوا جماعة ممن معه، وكان ناظر الحرمين بالقرب من قرية تل الجزر، فسمع الصوت، فسار بمن معه من دواداره برسباي، والأربعة أنفس الذين معه نحو الصوت، فطلع عليهم العرب، وتواقعوا، فقتلوا برسباي الدوادار ومن معه، حتى لم يبق سوى الأمير جان بلاط بمفرده، فثبت لهم، وقاتلهم أشد قتال بمفرده حتى تخلص منهم، ونجا ولله الحمد، فكان عدة القتلى في ذلك اليوم عشرة أنفس، منهم شخص شريف، فحُملوا إلى الرملة ودفنوا، وتوجه قضاةُ الرملة إلى جهة تل الجزر، وعاينوا بعض القتلى بأرضها، وكُتب محضرٌ بذلك، وجُهِّز إلى الأبواب الشريفة مع مكاتبته.

ثم كتب نائب غزة إلى السلطان يتشكى من ناظر الحرمين بكلمات مهملة لا حقيقة لها، فبرز الأمر الشريف بتجهيز الأمير قانصوه الساقي الخاصكي، وعلى يده مراسيم شريفة لشيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، وقضاة غزة والقدس والرملة بالتوجه إلى المكان الذي وقعت به الفتنة، وتحرير ذلك، وإعادة الجواب على المسامع الشريفة.

فحضر شيخ الإسلام المشار إليه، وصحبته قضاة القدس الشريف إلى الرملة في يوم الأربعاء، عاشر رمضان، واجتمع به الخاصكي، وقضاة الرملة، وتوجهوا إلى قرية تل الجزر، وحرروا الأمر في ذلك، فتبين لهم أن الحق بيد ناظرِ الحرمين، وأن القتل والفتنة كانا في معاملته، وحضر قضاة غزة إلى تل الصافية بأطراف معاملة غزة، وامتنعوا من الحضور إلى الرملة، والاجتماع بشيخ الإسلام وقضاةِ القدس والرملة، وأظهروا التعصب لنائب غزة.

وكتب شيخ الإسلام وقضاةُ القدس والرملة محضراً، وكتبوا خطوطهم عليه بما يقتضي أن الحق بيد ناظر الحرمين، ثم كتب قضاة غزة محضراً بما اختاروه، وملخصه: أن ناظر الحرمين كان هو المتعدي بدخوله معاملة غزة، وجُهز كلٌّ من المحضرين للأبواب الشريفة، ثم حضر الخاصكي إلى القدس الشريف للزيارة، ثم توجه لزيارة سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، ثم توجه إلى غزة ليقيم فيها لانتظار الجواب بما يرد عليه من المراسيم الشريفة.

* **وفيها**: توفي قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي بن شمس

الدين محمد الحموي الشيبي المعروف بابن إدريس، وبابن العطار الحنبلي قاضي طرابلس، وكان من أهل الفضل، وباشر القضاء بطرابلس أكثر من عشرين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث ناصر الدين محمد ابن الشيخ عماد الدين أبي بكر، المشهور بابن زريق، من ذرية الشيخ أبي عُمر بن قُدامة الحنبلي، وكان من أهل الفضل، ومن بيت كبير، ومن أعيان المحدِّثين، وكان ناظراً على مدرسة جده الشيخ أبي عمر بصالحية دمشق، وقد عُمِّر رحمه الله.

* **وفيها**: توفي الشيخ الإمام العالم العلامة المحدِّث علاءُ الدين علي ابن البهاء البغدادي الحنبلي، أحدُ مشايخ الحنابلة بدمشق، قدم من بلاده إلى مدرسة أبي عُمر في سنة سبع وثلاثين وثمان مئة، وهو بالغ، أو قاربَ البلوغ، وأقام بها، وصار من أعيان الجماعة، وصنف «شرح الوجيز»، ثم لما ولي قضاءَ دمشق قاضي القضاة نجمُ الدين بن مفلح، استخلفه في الحكم، فباشر عنه إلى حين وفاته، وتوفي في سن الثمانين ـ رحمه الله تعالى ـ.

وتوفي الشيخ الإمام العالم المحدث برهان الدين إبراهيم الناجي الشافعي محدِّثُ دمشق وواعظها، وكان في ابتداء أمره حنبليَّ المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ﵁، وصار له القبول في الوعظ، وأحبه الناس، وترددوا إليه، وأخذوا عنه، وكان مقيماً بالقبيبات وتوفي في شهر رمضان، وكانت جنازته حافلة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **وفيها**: يوم الاثنين ثاني عشرين رمضان المعظم خُتم كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» على شيخ الشيوخ الجلالي أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي شريف الشافعي شيخ الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف، أخي شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين عبد الكريم الموقت الخليلي المقرئ الشافعي، وكان الختم بالمدرسة الشريفة الأشرفية بالمسجد الأقصى الشريف، بحضور شيخ الإسلام الكمالي، وأخيه شيخ الإسلام البرهاني - أمتع الله الأيام بوجودهما -، وبحضور جمع من القضاة والفقهاء والأعيان، وكان يوماً مشهوداً.

وقد ألف الشيخ أبو البركات المغربي المالكي قصيدة في معنى الختم المشار إليه، امتدح بها الشيخ جلال الدين، وتعرض فيها لمدح أخويه شيخي الإسلام: الكمالي، والبرهاني، المشار إليهما، ومنها:

شِفَاءٌ خَتْمُهُ فَتْحُ المَعَالِي ... وَرَسْمٌ بِالعِنَايَةِ لِلجَلاَلِ

فُتُوحُكَ بِالشِّفَا فَتْحٌ مُبِينٌ ... يَدُلُّ عَلَى العُلاَ حَالٌ بِحَالِ

فَمِنْهُ إِلَى مُنَاوَلَةِ البُخَارِي ... وَلِلْفُتْيَا وَإِدْرَاكِ المَعَالِي

أَلَسْتَ مُعَرِّفاً بِحُقُوقِ مَنْ لاَ ... تَخِيبُ لَدَيْهِ رَاحَاتُ الأَمَالِ

نَبِيٌّ مَدْحُهُ كَهْفٌ مَنِيعٌ ... وَذُخْرٌ عِنْدَ حَادِثَةِ اللَّيَالِي

رَسُولٌ شَأْنُهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ ... وَقَدْرٌ كَامِلُ الأَجْزَاءِ عَالِ

أَيَا ابْنَ أَبِي شَرِيفٍ نِلْتَ حَظّاً ظَفِرْتَ بِمَا تَشَاءُ فَلاَ تُبَالِ

أَتَيْتَ بِكُلِّ ذِي مَعْنًى لَطِيفٍ تُعَبِّرُ عَنْهُ بِالسِّحْرِ الحَلاَلِ

بِدَايَتُكُمْ نِهَايَةُ كُلِّ حَبْرٍ تَدُلُّ عَلَى التَّفَرُّدِ[1] بِالخِصَالِ

جَلاَلَ الدِّينِ بِالبُرْهَانِ تَسْمُو عَلَى أَعْلَى مَقَامَاتِ الكَمَالِ

فَثِقْ وَصِلِ الصَّلاَةَ عَلَى نَبِيٍّ كَرِيمٍ مَاجِدٍ بِالخَيْرِ آلِ

عَلَيْهِ وَآلِهِ أَزْكَى صَلاَةٍ وَخَيْرُ تَحِيَّةٍ مِنْ ذِي الجَلاَلِ

* **وفيها**: ورد مرسوم شريف على شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف بأن يكون متكلماً على الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف، ينظر في أمرها، وعملِ مصالحها، فحضرها في عشية يوم الاثنين، سادس شوال، وجلس بالجمع مع الصوفية في مجلس للشيخ، وحصل للخانقاه وأهلها الجمالُ بحضوره، ثم بعد فراغ الحضور جلس على تفرقة الخبز على عادة مشايخها، وتصرف فيها بإجارة الوقف، والنظرِ في أمره، وشرع في عمارة الخانقاه، وإصلاح ما اختل من نظامها ـ أثابه الله الجنة ـ.

* **وفيها**: وقعت فتنة فاحشة بمدينة حماة، وهي: أن نائبها الأمير أقباي لما دخل إليها، حصل منه العسف، وشرع في التشديد عليهم، وقتل منهم جماعة، وأحرق منازلهم، فثاروا عليه، وجمعوا الجموع الكثيرة، وحصروه في منزله، وشرعوا في أسباب انتهاك حرمته، فكتب

---

(١) في الأصل: «الفرد».

للسلطان يُعْلمه بما هو فيه، فبرز أمر السلطان إلى نائب حلب، ونائب طرابلس، ونائب حمص، ومن أُضيف إليهم من مشايخ العربان بالركوب إلى حماة، والقيام في نصرة الأمير أقباي، وحرق حماة، ونهبها، وقتل أهلها، فركب النواب المذكورون ومَنْ معهم من العساكر والجمع، وحضروا إلى حماة، ونازلوها في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المعظم، وحرقوا منها الجانب القبلي من الجسر إلى باب العميان إلى جانب السجن، وهي محلة كبيرة نحو ثلث المدينة، ونهبوا ما فيها من الأموال مما لا يدخل تحت الحصر، وقتلوا من الرجال وغيرهم نحو خمس مئة نفر، واستمر الحرق والنهب والقتل ثلاثة أيام متوالية، وحصل فيها من الفسق والفساد وسبي الحريم ما لا يكاد يوصف، ثم تفرق النواب ومن معهم إلى محل أوطانهم، واستمر نائب حماة بها، وكانت حادثة فاحشة، لم يُسمع مثلها في هذه الأزمنة.

* **وفيها**: وقعت فتنة بالقاهرة المحروسة، وهي: أن السلطان حصل له توعك في شهر رمضان، وأُشيع في المدينة وفاته، ووقع الإرجاف في الرعية والعسكر، فبادر الأمير قانصوه خمس مئة أمير أخور كبير، وحَصَّن القلعة، وأُشيع عنه أنه تطاول لأخذ السلطنة، وكثر الكلام بسبب ذلك، ثم إن الأمير قانصوه قصد الدخول إلى السلطان، ومشاهدة حاله، فحضر إلى باب الحريم، فلقيه بعض الخدام، وقال: إن السلطان متوعك، ولا يمكنك الاجتماع به، فنهر الخادم، وضربه، ودخل هجماً إلى السلطان، فوجد عنده الأمير جان بلاط أحدَ الأمراء المقدَّمين بالديار

المصريـة، والأميـر ماماي الدوادار الثاني، وهما جالسـان عنـد رجلي السلطان، وهو نائم في فراشه، فلما وقع نظره عليه، شرع الأمير قانصوه يكلم السلطان بكلام لطيف، معناه: أنه حصل له الانزعاج بسبب توعك السلطان، وأنه قصد التمثل لحضرته الشريفة لمشاهدة ذاته الشريفة ليطمئن قلبه، ثم انصرف من عنده، فأُخبر السلطان بما فعله من تحصين القلعة، ودخوله إليه هجماً، فأجاب السلطان عنه بجواب يقتضي الاعتذار عنه، ولم يُظهر الغضب عليه، فتحرك العسكر على الأمير قانصوه، وقصدوا انتهاك حرمته، فأمره السلطان بالتوجه من القاهرة إلى ذلك البر لإخماد الفتنة، فتوجه، واستمر غائباً بقية شهر رمضان، فلما دخل شهر شوال، ركب المماليك، وتوجهوا إلى منزل الأمير قانصوه بقناطر السباع، ونهبوه وحَرَقـوه وحُرق عدة أماكـن ونُهبـت، وحصل للناس في ذلك الضـرر الكثير، وقتل في الحريق خلق من الناس، واستمر ذلك نحو ستة أيام، وطلب العسكر من السلطان إخراج الأمير قانصوه إلى القدس الشريف، فأظهر لهم السلطان أنه يجيبهم إلى ذلك، ثم تكلم الأميـر أزبك أتابكُ العساكر، والأمير تمراز أميرُ سلاح مع السلطان في أمر الأميـر قانصوه أمير أخور كبير، وأن إخراجه إلى القدس الشريف لا فائدة فيه، وشَرَعا في إخمـاد الفتنـة، فطلب السـلطان أكابـر المماليك، وتلطف بهم في الكلام، واسترضاهم على الأمير قانصوه، ووعدهـم بكل جميل، فرضوا بذلك امتثالاً لأمره، وأُحضر الأمير قانصوه إلى الحضرة الشريفة، وأُلبس خلعة من حضرة السلطان، ونزل إلى المدينة والناس في خدمته من الأمراء

والخاصكية والمماليك السلطانيـة، ونودي في المدينـة للرعية بالأمان والطمأنينة، والله سبحانه يلطف بعباده.

* **وفيها**: في شهر رمضان في أواخره وقع حريق فاحش بدمشـق المحروسة، فاحترق سوق جسر الزلابية، وجسر الحديد، وانتهى الحريق إلى المدرسة المؤيدية تحت القلعة، وعُدم للناس من الأموال والأمتعة ما لا يحصى، وهلك فيها خلق كثير.

* **وفيها**: وصل مرسوم السلطان إلى الأمير جان بلاط نائب القدس الشريف؛ بأن يرمي على أهل القدس الشريف من زيت الذخيرة الشريفة ثلاث مئة قنطار، كل قنطار بخمسة عشر ديناراً، على حُكْمِ ما تقدم في حوادث هذه السنة.

فطلب التجار والناس، وأُلزموا بأخذ الزيت، ثم كتب الأمير جان بلاط إلى كاشفـه بالرملة بطلب التجـار بها، وأن يرمي عليهم من زيت الذخيرة الشريفة، فطُلبوا، وأُلزموا بذلك.

وحصل لأهل القـدس الشريف والرملة الضررُ من ذلك؛ لكونهم تقدم لهم أخذ الزيت، ثم رُمي عليهم مرة ثانية؛ فإنه لما رمي الزيت في سنة ست وتسعين، وفي سنة ثمان وتسعين رمي مرة واحدة، وفي هذه السنة تكرر عليهم مرة ثانيـة، فانزعج الناس لذلك، فلا حول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم.

* **وفيها**: في العشر الثالث من شهر شوال ورد مرسوم السلطان إلى

شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف الشافعي، ومرسوم شريف مطلق لقضاة غزة والقدس الشريف بسبب الحادثة الواقعة بين الأمير جان بلاط ناظرِ الحرمين الشرفين ونائبِ السلطنة بالقدس الشريف، وبين الأمير قاني بك نائب غزة المحروسة ـ المتقدم ذكرها قريباً في حوادث هذه السنة ـ، وقد تقدم الكلام: أن شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، وقضاة القدس الشريف والرملة كتبوا خطوطهم بما ظهر لهم من الكشف، وبما وقع في حق نائب القدس الشريف من قتل جماعته، ونهب خيولهم وما معهم، وكتب قضاةُ غزة محضراً يتضمن أن نائب القدس هو المتعدي على نائب غزة، وجُهز كلٌّ من المحضرين إلى الأبواب الشريفة.

فلما عُرضا على السلطان، أَنكر ذلك غاية الإنكار، وكتب لشيخ الإسلام الكمالي، ولقضاة غزة والقدس يُعلمهم أنه لما جهز الأمير قانصوه الساقي الخاصكي لكشف هذه الماجرية وتحريرها، وكتابة محضر بقضاة غزة والقدس بما يتضح به الحق، وأن كلاً من النائبين كتب محضراً بما يختاره، ولم يتضح للمسامع الشريفة الحقُّ في ذلك، وأن المرسوم الشريف الوارد على يد الخاصكي إنما برز بكتابة محضر واحد لا محضرين، وبرز أمر السلطان أن شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف يتوجه بنفسه، وصحبته قضاة القدس الشريف والرملة إلى مدينة غزة المحروسة، ويجتمعوا هم وقضاة غزة، وتُحرَّر هذه الواقعة من أولها إلى آخرها، وكتابة محضر واحد، وتجهيزه للأبواب الشريفة، بما يتضح من الحق، وإن لم يحرر ذلك، تبرز المراسيم الشريفة لقضاة غزة والقدس الشريف

بإلزامهم بالقيام للخزائن الشريفة بعشرة آلاف دينار، مؤرخ المرسوم في ثالث عشر شوال، فعند ذلك قابل شيخُ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، وقضاةُ القدس الشريف أمرَ السلطان بالسمع والطاعة، وتوجهوا إلى مدينة غزة المحروسة.

وهذه الواقعة من العجائب؛ لأن شيخ الإسلام رجل عظيم الشأن، وهو بركة الوجود، وعالم الممالك، وهو شيخ كبير سنه نحو الثمانين، وبنيته ضعيفة، والسفر يشق عليه، فكُلف إلى ما لا طاقة له، في زمن الحر الشديد؛ بسبب واقعة حدثت من العرب المفسدين المحاربين، الذين لاإسلام لهم ولا إيمان، ولما توجه من القدس الشريف، حُمل في محارة على جمل، وكان لا يركب الفرس إلا قليلاً؛ لضعف بدنه إلى مدينة غزة في عشية يوم الخميس، مستهل ذي القعدة، وأصبح في يوم الجمعة حضر بين يديه قضاةُ غزة وأكابرها للسلام عليه، ثم عقب صلاة الجمعة جلس بالجامع المنسوب لمولانا السلطان، وجلس معه قانصوه الخاصكي، وقضاةُ غزة والقدس الشريف، ومن تيسر من قضاة الرملة، ودار الكلام بينهم في تحرير هذه الحادثة، وكتبوا محضراً واحداً، ملخصه: ما كتب في المحضر الأول من قتل جماعة نائب القدس الشريف، ونهب خيولهم، غير أنه زيد في هذا المحضر: أن الجمالي يوسف كاشفَ الرملة لما خرج من الرملة، ووصل إلى آخر معاملتها، وجد ثلاثة أنفار من العرب العواسة، فطردهم إلى أرض عموريا من عمل غزة المحروسة، وقُتل منهم فرسان، ثم طردوه إلى أن وصل إلى معاملة الرملة عند قرية

خلدا، وقرية تل الجزر، وحصل ما حصل من القتل والنهب ـ كما تقدم شرحه ـ.

وكتب شيخ الإسلام، وقضاةُ غزة والقدس والرملة خطوطَهم بالمحضر المذكور، وجُهز للأبواب الشريفة، وقرينه مكاتبةُ شيخ الإسلام، واستمر الخاصكي بغزة لانتظار الجواب، ثم عاد شيخ الإسلام وقضاة القدس إلى أوطانهم.

* **وفيها**: حج إلى بيت الله الحرام المقر الأشرف بدرُ الدين محمد ابن مُزْهِر صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية ـ عظم الله شأنه ـ.

* **وفيها**: توفي الشيخ الصالح الورع الزاهد وليُّ الله الشيخ نعمة بصفد، وكان صالحاً، له كرامات مشهورة، وكانت وفاته في [ذي] الحجة ـ نفعنا الله ببركته ـ.

* **وفيها**: وقعت بالقاهرة فتنة فاحشة، بسبب ما تقدم ذكره من أمر الأمير قانصوه خمس مئة أمير آخور كبير، وقد تقدم: أن السلطان كان طَلب منه إخراج الأمير قانصوه من القاهرة، وأنه استرضى العسكر على الأمير قانصوه، وتلطف بهم، وأنه خلع على الأمير قانصوه، ونزل إلى منزله في موكب عظيم، وكان هذا الحال والأمير أقبردي الدوادار الكبير في جهة الصعيد، ولم يحضر هذه الوقائع، فلما حضر إلى القاهرة في شهر ذي القعدة، واجتمع بالسلطان، سعى في إخراج الأمير قانصوه من القاهرة، وشرع في أسباب امتهانه، فبرز أمرُ السلطان للأمير قانصوه أن

يخرج من القاهرة، فإن شاء، يتوجـه إلى القدس، أو مكة، أو أي مكان أراد من غير ترسيم، فبادر الأمير قانصوه، وتوجه إلى إخوانه المتعصبين لـه، منهم: الأمير قانصـوه الألفي، والأمير قانصـوه الشـامي، والأمير مصرباي، وغيرهم، وتكلم معهم، فشدوا أزره، وقالوا له: لا سبيل إلى إخراجك، وكلنا عَضُدُك، وفي خدمتك، فتوجه الأمير قانصوه إلى المقر الأشرف أزبك أمير كبير أتابك العساكر المنصورة، وتكلم معه، فوافق الجماعة المتعصبين له، وشد عضده، وأخذ في أسباب نصرته، فاجتمع الأمراء بمنزل المقر الأتابكي، وتكلموا فيما هم فيـه، وتشاوروا في تدبير الأمور، فبلغ السلطان ذلك، فاحتفل الأميـر أقبردي الدوادار الكبيـر، وطلع إلى القلعـة، واشتد الأمـر، فانتهى الحـال إلى أنّ السلطان أمـر بالنداء: أن كل من هو في طاعة السلطان، فليطلع إلى القلعة، فبادر الأمير تمراز أمير سلاح، والأمير أزبك رأس نوبة النوب، وغيرهما من الأمراء المقدمين، وطلعوا إلى القلعـة، ثم أرسل السـلطان بعض الأمـراء إلى المقر الأتابكي، وتكلم معـه في طلوع القلعة، فأغلظ الأميـر كبيـر في القول على القاصد، ولم يطلع إلى القلعة، لا هو، ولا الأمراء المجتمعون عنده، فأعيد الجواب على السلطان، فاشتد غضبه، وأمر بإحضار الوالي، فقيل له: إن الوالي بمنزل أمير كبير، فبادر وقلد الولاية لبعض مماليكه، وألبسه الخلعة، وجهزه، وصحبته جماعـة كثيرة من المماليك، وأمـره بالتوجه إلى منزل أمير كبير، وإعلامه بأن السلطان رسم لمن أطاعه بالتوجه إلى القلعة، وإشهار النداء بذلك، فحضر الوالي الجديد إلى منزل أمير

كبير، وأعلمه بذلك، فبادر الأمير كبير من حينه، وركب وتوجه إلى القلعة، ومعه الأمير يشبك الجمالي أحدُ مقدمي الألوف والزردكاش، وطلعا إلى القلعة، واجتمعا بالسلطان، فأما الأمراء الذين كانوا بمنزل أمير كبير، ففروا عن آخرهم، وتشتت شملهم، فلما طلع الأمير كبير، والأمير يشبك الجمالي إلى القلعة، حصل ما لا خير فيه من الكلام السيئ، والترسيم عليها، ثم رسم السلطان بإخراج أمير كبير إلى مكة المشرفة، فتوجه إليها، ورسم بإخراج الأمير يشبك الجمالي إلى القدس، فحضر إليها في أواخر ذي الحجة، وشرع يتتبع بقية الأول الذين اختفوا، فأمسك قانصوه الألفي، ومصر باي، وقيت، وحبسوا بقلعة صفد، وكذلك جماعة من الأمراء نُفُوا في أماكن متفرقة، وأما الأمير قانصوه خمس مئة أمير آخور كبير، وقانصوه الشامي، فاختفى أمرهما، ولم يعلم أين توجها، فيقال: إن الأمير قانصوه خمس مئة توجه نحو الطور، واختلفت الأقوال فيه وفي قانصوه الشامي.

وانقضت سنة تسع مئة والأمر على ذلك، وكانت سنة شديدة، كثيرةَ الفتن والحروب بين الحكام وغيرهم، والله لطيف بعباده.

ثم دخلت سنة أحد وتسع مئة والخليفة المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب، والسلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي على عادتهما.

* **وفيها**: حصل الرضا على الأمير أينال الخسيف أحدِ الأمراء بالديار المصرية، وأُفرج عنه بعد الترسيم عليه، وأما الأمير قانصوه الشامي،

فوقعت فيه شفاعة من المقام الناصري محمد نجلِ المقام الشريف، وظهر من الاستتار، وولي نيابة حماة المحروسة، وخلع عليه بذلك في نهار الخميس، ثالث عشر المحرم، وعزل الأمير جان بلاط من نيابةِ القدس الشريف ونظرِ الحرمين، واستقر في أمره ميسرة بحلب المحروسة، وعزل الأمير قاني بك من نيابة غزة المحروسة، وطلب إلى القاهرة، واستقر ملك الأمراء المقر الأشرف السيفي أقباي نائب حماة في نيابة السلطنة الشريفة بغزة المحروسة والقدس الشريف، وبلدِ سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، ونظر الحرمين الشريفين، وكشف الرملة، وكُتب له بذلك مرسوم شريف في ثالث عشري المحرم، وحضر من مدينة حماة المحروسة إلى محل ولايته، فوصل إلى مدينة الرملة في يوم الاثنين، رابع عشر صفر، ودخل إلى غزة المحروسة في يوم الخميس، سابع عشر صفر، وكان يوماً مشهوداً لدخوله، ثم حضر إلى بلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ في يوم الأحد، خامس شهر ربيع الأول، ثم حضر إلى القدس في صبيحة يوم السبت، ثامن عشر ربيع الأول، وكان دخوله إليها وقت طلوع الشمس، فدخل إلى المسجد الأقصى، وقرئ توقيعه بحضور المشايخ والقضاة، ثم زار الصخرة الشريفة، ومُدَّ له السماط عند باب الناظر، وكان يوماً حافلاً.

* **وفيها:** في عاشر شهر صفر استقر الأمير تمراز أمير سلاح في الإمرة الكبرى، عوضاً عن الأمير أزبك المتوجه إلى مكة المشرفة، واستقر الأمير قاني بك الجمالي أمير سلاح.

واستقر الأمير أزبك الخازندار أمير مجلس، واستقر الأمير قاني بك قراراس نوبة النُّوَب، واستقر الأمير أينال الخسيف حاجبَ الحجاب، واستقر الأمير ماماي مقدَّم ألف عوضاً عن قانصوه الشامي الذي ولي نيابة حماة، واستمر أمر الأمير قانصوه خمس مئة موقوفاً، ولم يعلم أين هو.

* **وفيها**: توفي الأمير يشبك الجمالي بالقدس الشريف بالمدرسة الخاتونية في ليلة الاثنين، سادس ربيع الأول، وصُلي عليه بالمسجد الأقصى، ودُفن بالقلندرية بتربة ماملا ـ عفا الله عنه ـ.

* **وفيها**: توفي الشيخ علي الجبرتي بالقاهرة المحروسة، وصلي عليه بالنية بالمسجد الأقصى في شهر صفر.

* **وفيها**: احتبس المطر حتى دخل في كانون الثاني أياماً، فصام الناس ثلاثة أيام، ثم استسقوا في صبيحة يوم السبت، ثالث عشري شهر ربيع الآخر الموافق لتاسع كانون الثاني، وخطب للاستسقاء الخطيبُ العلامة شرف الدين موسى بن جماعة بالصخرة الشريفة، وكانت خطبة بليغة، ودعا الناس وابتهلوا، وتضرعوا إلى الله، وانصرفوا ولم يُسْقَوا، وطلعت الشمس حارة، واشتد الحر حتى كأنه من أيام الصيف، واستسقى أهل الرملة في ذلك اليوم ـ أيضاً ـ، واستمر المطر محتبساً إلى ليلة الاثنين ثاني جمادى الأولى، ثم أغاث الله تعالى عباده في تلك الليلة، ووقع المطر في يوم الاثنين المذكور، [و]حصلت الرحمة بفضل الله وكرمه بعد أن جزع الناس، وساءت ظنونهم، فسبحان من لا يُسأل عما يفعل.

* **وفيها**: استقر الأمير شادبك أمير آخور كبير، عوضاً عن الأمير

قانصوه خمس مئة، وأُلبس الخلعة من الحضرة الشريفة في يوم الاثنين، ثامن عشر ربيع الآخر، وأنعم في ذلك اليوم على جماعة من الأمراء باستقرارهم في وظائف بالمملكة الشريفة، واستمر الأمير قانصوه خمس مئة في الاستتار، ولم يُعلم خبره.

* **وفيها**: توفي القاضي عبد الغني بن الجيعان كاتبُ الخزانة الشريفة، ووفاته في يوم السبتُ، ثاني شعبان، ودفن يوم الأحد ثالثه ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **وفيها**: حصل للسلطان توعك، وانقطع أياماً، وكان قد انزعج خاطره من المماليك بسبب طغيانهم وعنادهم، ثم منّ الله بعافيته، وجلس على سرير الملك.

وفي نهار الثلاثاء، رابع شهر رمضان أنفق على الأمراء والمقدمين والمماليك مالاً؛ لحصول السرور بعافيته، والرضا على عسكره، وكان جملة المال المصروف في النفقة أربع مئة ألف دينار، وحصل الأمن للرعية، واطمأنت الخواطر، فنسأل الله أن يختم بخير.

[....]: لما جرى ما تقدم شرحه في حوادث سنة تسع مئة، وهذه السنة، من الفتن والحروب بين العساكر بالديار المصرية، وغضب السلطان الملك الأشرف على مماليكه، وإخراجهم من الديار المصرية، وولاية بعضهم المناصب بالمملكة الشامية، والديار المصرية ـ كما تقدم ذكره مفصلاً ـ، واستمر الحال على ذلك إلى شهر شوال.

واشتغل الناس بالقاهرة بأمر الحج إلى بيت الله الحرام، وحصل في العرب تخبيط في عجرود ونخل بدرب الحجاز الشريف، فأرسل السلطان الدوادار الثاني بعمارة المكانين المذكورين قبل خروج الحجاج بعشرة أيام، وتأخر المحمل إلى عشرين شوال، وحصل على الحُجَّاج شدة من العطش، وخرج عليهم جماعة من العرب، وأخذوا منهم جمالاً، وبيعت القربة [من] الماء بدينارين، وشربة[1] الماء بخمسة أنصاف فضة، وهي عشرة دراهم شامية.

ورجع جماعة من الحجاج إلى القاهرة صحبة الدوادار الثاني، ثم مَنَّ الله تعالى على الحجاج المتوجهين إلى مكة المشرفة، فوصلوا سالمين، ولم يحصل لهم ضرر، وكانت الأسعار بأرض الحجاز مرخصة، والأقوات متيسرة.

ولماَّ كان يوم الأربعاء، ثاني شهر ذي القعدة، ركب العسكر بمصر، واستمر إلى آخر النهار، ثم في اليوم الثاني كان الأمر أعظم من اليوم الأول، وأُرمي على العسكر بالنشاب والبارود من مماليك السلطان، ومماليك الأمير أقبردي الدوادار الكبير.

ثم في ليلة الجمعة ويوم الجمعة: نُقُب منزل الدوادار من الرميلة، واحترق سوق القماش، ونُهب ما كان فيه وفي سوق السلاح، حتى أصبح التجار بالسوقين فقراء، واشتد الأمر وتفاحش، ثم حصل التراضي

---

(١) في الأصل: «والشربة».

والاتفاق على إحضار جميع من أخرجهم السلطان من الديار المصرية من المقيمين بغزة، وصفد، والشام، وطرابلس، والأمير قانصوه الشامي من حماة، وكُتبت المراسيم بذلك في يوم الجمعة، رابع ذي القعدة، وسافر القصاد يوم السبت خامِسِه، وأما الأمير أزبك أمير كبير، فإنه لم يُذكَر، ولم يُرسَم بإحضاره.

[. . . .] بعد المغرب ركب الوالي بالقاهرة، ومعه جماعة من المماليك بالأسلحة، وأُجهر النداء: أن الأمير قانصوه خمس مئة يظهر، وله الأمان، وفي بكرة نهار السبت طلع الأمير أقبردي الدوادار الكبير إلى القلعة، وأُلبس خلعة الاستمرار على عادته، وكذلك الأمير شادبك أمير آخور كبير، ونزلا من السبع حدرات بالقلعة، وألبس الأمير كرتباي خلعة باستمرار في كشف البحيرة، والدوادار الثاني، ونزلا من الباب المدرج، وكان يوماً مشهوداً.

ولمّا كان يوم الخميس، عاشر ذي القعدة ركب العسكر، وتفاحش الأمر، وتحدث الناس بظهور الأمير قانصوه خمس مئة، فأكمن جماعة من المماليك، منهم مئة بالسبع حدرات، ومئة في درب نُكَر، وثلاث مئة في الرميلة، وهم لابسون معتدون، فلم يظهر، فبلغ السلطان ذلك، فأحضر الأمير شادبك أمير آخور كبير، وعزله من الإمرة، واستمر مقدَّمَ ألفٍ على عادته الأولى، ثم حصل خلف وتخبيط بين الأمير أقبردي الدوادار، والأمير جان بلاط، والأمير ماماي، وكادت تقع فتنة فاحشة، ثم رسم السلطان، وأجهر النداء بأن المماليك السلطانية تطلع إلى طباقها

بالقلعة، وأن الأمراء المقدمين يتوجهون إلى منازلهم، وأن أحداً لا يتكلم فيما لا يعنيه.

ولمّا كان يوم السبت، ثاني عشر ذي القعدة ظهر الأمير قانصوه خمس مئة، وطلع إلى القلعة، وألبس خلعة، وهي كاملية، وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله، ولم يحصل لأحد في أيام الملك الأشرف قايتباي نظيره، وتزايد توعُّكُ السلطان الملك الأشرف، واشتد ضعفه، وشرع الأمير أقبردي الدوادار الكبير في التأهُّب لعمل الأسلحة، وتحصين منزله، والأمور بينه وبين الأمير قانصوه خمس مئة في الباطن غير مسددة، والأحوال غير منتظمة.

وكان الأمير قانصوه الألفي المسجون بصفد قد تَسَحَّب من سجن قلعة صفد، وخرج هارباً مختفياً، فلما شاع ذكر ما رسم به الملك الأشرف من حضوره هو وغيره إلى القاهرة، وحصول الرضا عليهم، اجتمع الأمير قانصوه الألفي وبقية الأمراء المقيمين بالمملكة الشامية بنائب حماة الأمير قانصوه الشامي، وساروا متوجهين إلى جهة الديار المصرية، فوصلوا إلى مدينة الرملة في يوم الاثنين، ثامن عشرين ذي القعدة، وتوجهوا إلى غزة، وساروا منها ليلة الأربعاء مستهل ذي الحجة، ولم يعلموا بما وقع بالديار المصرية، وتوجه صحبتهم ملكُ الأمراء السيفي أقباي نائبُ غزة والقدس الشريف، وناظرُ الحرمين الشريفين وكاشفُ الرملة، وكان من أمرهم ما سنذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وفي نهار الاثنين، رابع عشر ذي القعدة رسم الملك الأشرف بطلب

الأمير أزبك أمير كبير من مكة المشرفة، وكتب المرسوم بذلك، فطلع الدوادار الكبير، وتسبب في إبطال ذلك، ثم إن الأمير تمراز أمير كبير ألبس الأمير قانصوه خمس مئة خلعة عظيمة، وأركبه فرساً ثمينة، وكان السلطان رسم للأمير قانصوه بالتوجه إلى الدوادار الكبير، فلما توجه إليه، ألبسه كاملية قيمتُها ألف دينار، وأركبه فرساً ثمينة، ثم اشتد مرض السلطان وأخذ في النزع، واستمر ثمانية أيام، ثم أفاق، وحصل الخلف بين الأمراء والعسكر، وصاروا فريقين، واختلفت الآراء والأقوال، وكثر القيل والقال، وكل أحد من الأمراء والأكابر بالقاهرة يتكلم بما يوافق هواه.

ولما كان نهار الأحد عشرين ذي القعدة، الموافق لسابع مسري، أوفى الله النيل المبارك، وكان السلطان في شدة مرضه، وله ثلاثة أيام لم يجتمع بأحد، فنزل الأمير تمراز أمير كبير، وكسر النيل، وصحبته الأمير يشبك قمر الوالي، وطلعا إلى القلعة، وأُلبسا الخلع بالحوش من غير أن يعلم بها السلطان.

ثم في نهار الاثنين، حادي عشرين ذي القعدة أرجف الناس بموت السلطان، فاجتمع بالأمير قانصوه خمس مئة جماعةٌ من الأمراء، منهم: جان بلاط، وماماي، وكرتباي الأحمر، وتاني بك الجمالي وغيرهم من الربعينات والخاصكية والمماليك، وصار العسكر فرقتين.

ففي نهار الجمعة خامس عشرين ذي القعدة وقع بين الفريقين وقعة لطيفة قبل الصلاة، وحصل الاتفاق بين الأمير تمراز أمير كبير، والأمير

أقبردي الدوادار الكبير: أن الأمير تمراز يطلع إلى القلعة للسلام على السلطان، ويأخذ ولد السلطان، وينزل به إلى الحراقة بباب السلسلة، وأن الدوادار الكبير يركب بعد الصلاة، ويفتح له باب السلسلة، فبلغ ذلك الأمير قانصوه خمس مئة ومَنْ معه، فركبوا جميعاً من الميدان الذي عند بركة الناصرية، وترتبوا طلباً بعد طلب، ومعهم عامة مصر، وحملوا على باب السلسلة، فرمي عليهم من القلعة، فتوجه منهم فرقة من باب القرافة، وكسروا باب الميدان، ونزلوا من السبع حدرات، فوجدوا الأمير تمراز أمير كبير وهو جالس بالحراقة، فأمسكوه وضربوه، ووضعوه في الحديد، وفتح باب السلسلة، ودُقت الكُوس، وأشيع أن ولد السلطان قد تسلطن، واستمر القتال بينهم إلى المغرب من يوم الجمعة.

فلما كان يوم السبت، سادس عشرين ذي القعدة، أصبح الناس، فوجدوا الدوادار الكبير قد اختفى هو ومن معه، ولم يُعلم خبرهم، وكان قد بنى برجاً على الرميلة، فرُمي عليه وهُدم، ونُهب بيته في لحظة، حتى لم يبق فيه شيء من المال، ولا من الأسلحة، ولا من الخيول، فقيل: إن الذي أُخذ له يساوي ألف ألف دينار، غير الغنم والبقر والجمال.

ثم في اليوم المذكور، وهو يوم السبت جلس أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب العباسي ـ أعز الله به الدين ـ، وقضاة القضاة الأربعة بالديار المصرية، وهم: شيخ الإسلام زين الدين أبو محمد زكريا الأنصاري الشافعي، وشيخ الإسلام ناصر الدين أبو الخير محمد الأخميمي الحنفي، وشيخ الإسلام تقي الدين أبو الفضل

عبد الغني بن تقي المالكي، وشيخ الإسلام بدر الدين أبو المعالي محمد السعدي الحنبلي، وأركان الدولة من أهل العقد والحل، وتوقف أمير المؤمنين في الأمر، فتوجه ثلاثة من قضاة القضاة، والمقر البدري بن مزهر الأنصاري صاحب ديوان الإنشاء إلى الملك الأشرف، فوجدوه في حكم الأموات، والروح في صدره، فرجعوا إلى أمير المؤمنين، وأعلموه بذلك، **فبايع الملك الناصر بالسلطنة**، وهو أبو السعادات محمد ابن الملك الأشرف أبي النصر قايتباي، ولبس شعار الملك والسلطنة، وجلس على تخت الملك الشريف، وانقاد لأمره الخاص والعام، وهو يومئذ شابٌّ في سن البلوغ، وكان يوماً مشهوداً، وكتب علامته على المراسيم الشريفة: محمد بن قايتباي.

واستقر الأمير قانصوه خمس مئة أتابك العساكر، والأمير تاني بك الجمالي على عادته أميرَ سلاح، ومشيرَ المملكة، والأمير جان بلاط دوادار كبير.

فلما كان يوم الأحد، سابع عشري ذي القعدة، أفاق الملك الأشرف بما وقع، فأرسل في الحال طلب النجارين، وعمل تابوتاً جديداً، ودكة للغسل، وبيَّض الطاسات النحاس، وعمل مقعداً، وجهز لنفسه الكفن، ووضعت له زوجته الآدُر خوند الخاصبكية مئة مثقال مسك، وما يلائم ذلك، وجُهز ذلك جميعه، وفرغ منه بعد العصر من يوم الأحد، ثم دخلت له زوجته خوند، فوجدته قد أفاق من النزع، فذكرت له جميع ما وقع من سلطنة ولده، والقبض على الأتابك تمراز، واختفاء الأمير

أقبردي الدوادار، ونهب منزله، فكان آخر كلامه: لا إله إلا الله، أَخْرَبوا المملكة.

فلما كان آخر نهار الأحد، قبل المغرب بنحو ثلاث درج، توفي الملك الأشرف قايتباي ـ رحمه الله تعالى ـ، وفي بكرة يوم الاثنين، ثامن عشري ذي القعدة، غُسِّل، وصُلي عليه، ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء، وكان يوماً مشهوداً لجنازته، وامتد الخلق من باب المدرج إلى تربته، حتى قيل: إنه لم يُر لأحد جنازة مثل هذه من بعد جنازة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

ومات وله خمس وسبعون سنة؛ فإن مولده في سنة ست وعشرين وثمان مئة، ودخل إلى القاهرة في سنة ثمان وثلاثين وثمان مئة، فاشتراه الملك الأشرف برسباي، وكان من مماليكه، ثم انتقل إلى ملك الملك الظاهر جقمق، وأعتقه، فنسب إليه، وكانت سلطنته في يوم الاثنين، سادس شهر رجب الفرد سنة **اثنتين وسبعين وثمان مئة**، فكانت مدة سلطنته من حين ولايته إلى حين ولاية ولده الملك الناصر محمد المشار إليه تسعاً وعشرين سنة، وأربعة أشهر، وعشرين يوماً، وكان جلوسه على سرير الملك في ضحى يوم الاثنين المذكور، ونزوله إلى قبره في ضحى يوم الاثنين.

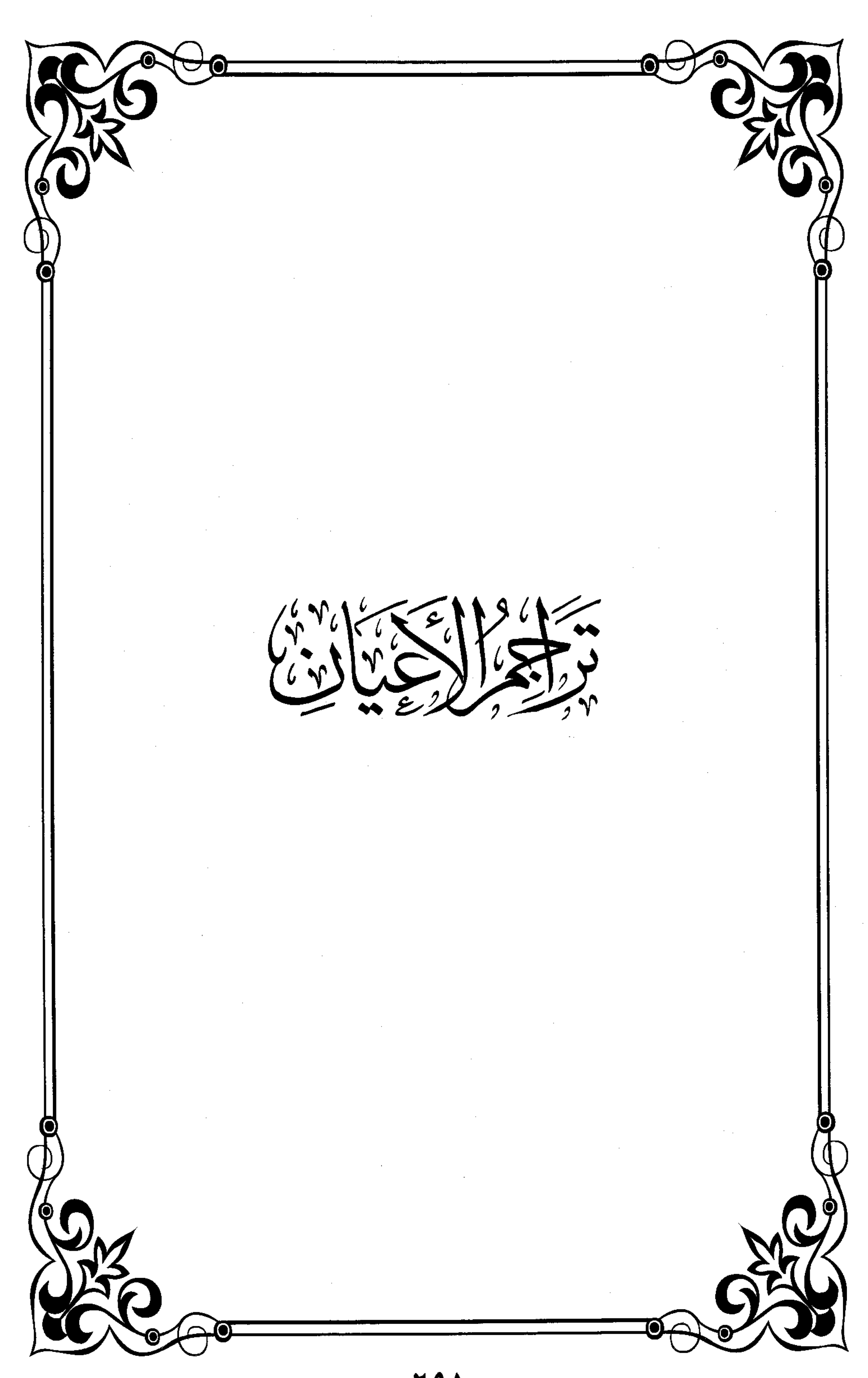
وكان شيخاً طُوالاً، أبيض اللون، حسن الشكل، فصيح اللفظ، وكان من معتبري ملوك الديار المصرية، وله شهامة وحرمة وافرة عند ملوك الأرض، وتوفي وهو على ذلك، والمأمول من كرم الله وعفوه أن

يتجاوز عن سيئاتنا وسيئاته، ويتغمدنا وإياه والمسلمين برحمته الوافرة التي وسعت كل شيء.

وقد انتهى ما أوردناه في هذا الجامع من التاريخ، على حكم ما تقدم الوعد به، مما تيسّر ذكره من قصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وأخبار الخلفاء الراشدين، والملوك والسلاطين إلى سنة إحدى وتسع مئة، إلى ثامن عشري ذي القعدة الحرام منها[1].

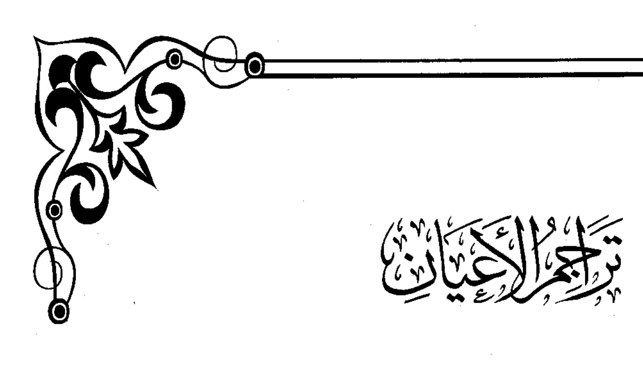
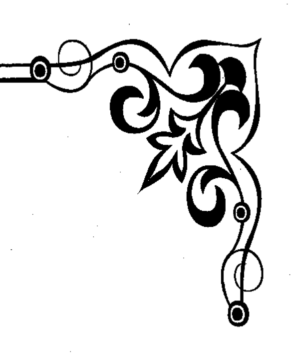


(١) جاء في آخر النسخة الخطية من الجزء الأول: «وكتبت هذه النسخة من نسخة المؤلف التي بخطه في ثالث شهر ربيع الثاني، سنة خمس وأربعين وتسع مئة بمدينة إستنبول، غفر الله لكاتبه، ولمؤلفه، ولمن كتب برسمه، ولوالديهم، ولجميع المسلمين أحياءً وأمواتاً.
وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.
يتلوه في الجزء الثاني: تراجم الأعيان على حروف العجم».



تراجم الأعيان



تراجم الأعيان

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

قال جامع هذا المختصر ـ غفر الله تعالى له وللمسلمين ـ:

لما فرغتُ من ذكر الأنبياء عليهم السلام، وختمتهم بسيد الأنام محمدٍ ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وذكرت الخلفاء من بعده، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والحسن ابنه رضي الله عنهم، ومَنْ بعدهم من الخلفاء الأموية، والعباسية بإقليم العراق، والدولة العلوية الفاطمية، والخلفاء من بني العباس بالديار المصرية، وأخبار الملوك والسلاطين بالمملكة الإسلامية، وما تيسر من ذكر أخبارهم وأحوالهم إلى عصرنا هذا، وهو سنة إحدى وتسع مئة، فرأيت أن أذكر ما تيسر من أسماء ساداتنا أئمة الإسلام، وهم: الأئمة الأربعة، وغيرهم من التابعين، والعلماء الأعلام، والرؤساء والوزراء والشعراء والأعيان، وقضاة الشرع الشريف، وطلبة العلم، وحملة القرآن.

[....] في ذكر تراجمهم على وجه الاختصار، وترتيبهم على حروف المعجم، من غير التزام لترتيب الأسماء ولا الوفيات، بل بحسب

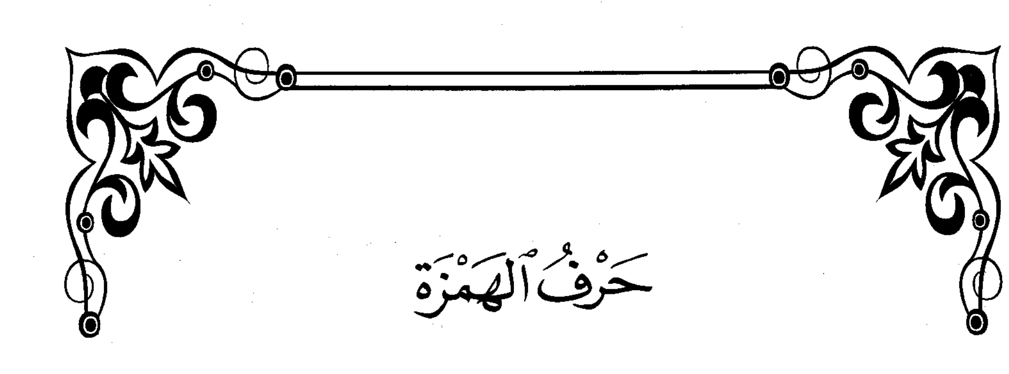
ما تيسر لي من الاطلاع على أسمائهم، ويلهمه الله من الترتيب لتراجمهم.

فإن بعض المؤرخين التزم أن يذكر في أول كل حرف أسماء معينة، فيذكر في حرف الهمزة أولاً: كلَّ من اسمه إبراهيم، ثم كل من اسمه أحمد، وفي حرف الميم يبدأ بكل من اسمه محمد، ثم يذكر كل من اسمه موسى، وهلم جَرّاً في كل حرف، بجعل كل نوع من الأسماء على حدة.

ولم أر في هذا كبير فائدة، فلم ألتزمه، بل إذا ذكرت الحرف، ذكرت فيه من تيسر ممن أول اسمه ذلك الحرف، من غير مراعاة لترتيب الأسماء.

وليس الغرض في هذا المختصر ذكرُ الحوادث والأخبار، وإنما الغرض الإحاطةُ بمعرفة اسم من ذكر فيه، وتاريخ وفاته، والعصر الذي كان موجوداً فيه [....]، وبالله التوفيق، وأسأله المعونة بفضله.

* * *



حَرْفُ ٱلهَمْزَة

١ ـ ذكرُ ما تيسر من مناقب الإمام البارع، المجمَع على جلالته وأمانته، وورعه وزهادته، وحفظه ووفور عقله، وعلمه وسيادته، إمام المحدثين، والناصر للدين، والمناضل عن السنة، والصابر في المحنة، إمام الأئمة، رباني الأمة، **أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال** ابن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدّ بن أُدَدْ بن الهَمَيسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صلوات الله عليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ـ.

وهذا النسب فيه منقبة عظيمة، ورتبة جليلة من وجهين:

أولهما: حيث يلاقي فيه نسب رسول الله ﷺ؛ لأن نزاراً كان له أربعة أولاد، منهم: مضر، ونبينا محمد ﷺ من ولده، ومنهم: ربيعة، وإمامنا أبو عبدالله أحمد من ولده.

والوجه الثاني: أنه عربي صحيح النسب، وقد قال النبي ﷺ: «أَحِبَّ العَرَبَ لِثَلَاثٍ: لِأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، وَلِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ»[1]، ذكره ابن الأنباري في كتاب «الوقف والابتداء».

ولد الإمام أحمد ببغداد، بعد حمله بمرو، في شهر ربيع الأول، **سنة أربع وستين ومئة**.

وكان من أصحاب الشافعي وخواصِّه.

قال الشافعي رضي الله عنه: خرجت من بغداد، وما خلَّفت فيها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل.

وقال الربيع بن سليمان: قال لنا الشافعي: أحمدُ إمامٌ في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة.

وصدق الإمام الشافعي في هذا الحصر.

أما قوله: إمام في الحديث، فهذا ما لا اختلاف فيه ولا نزاع، حصل به الوفاق والإجماع.

وأما قوله: إمام في الفقه، فالصدق فيه لائح، والحق فيه واضح.

وأما قوله: إمام في اللغة، فهو كما قاله. قال المرُّوذي: كان أبو

---

(١) ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٩٩٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٤١)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

عبدالله لا يلحن في الكلام.

وأما قوله: إمام في القرآن، فهو واضح البيان، لائح البرهان؛ فإنه صنف في القرآن، وهو مئة ألف، وعشرون ألف حديث، والناسخ والمنسوخ، والمقدم والمؤخر في كتاب الله، وجوابات القرآن، وغير ذلك.

وأما قوله: إمام في الفقر، فيا لها حلّةً مقصودة، وحالة محمودة، منازل السادة الأنبياء، والصفوة الأتقياء.

وأما قوله: إمام في الزهد، فحاله في ذلك أشهر وأظهر، أتته الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها.

وأما قوله: إمام في الورع، فصدق في قوله وبرع.

ومن بعض ورعه:

كانت لأم ولدِه عبدالله دار يأخذ منها أحمدُ درهماً بحق ميراثه، فاحتاجت إلى نفقة تصلح بها، فأصلحها ابنه عبدالله، فترك أبو عبدالله أخذَ الدرهم الذي كان يأخذه، وقال: قد أفسده عليَّ، تورَّع عن أخذ حقه من الأجرة؛ خشية أن يكون ابنه أنفق على الدار مما يصل إليه من الخليفة.

وأما قوله: إمام في السنة: فلا تختلف الأوائل والأواخر أنه في السنة الإمامُ الفاخر، والبحر الزاخر. أُوذي في الله تعالى، فصبر، ولكتابه نصر، ولسنة رسوله ﷺ انتصر، أبان حَقّاً، وقال صدقاً، وزان نطقاً

وسَبْقاً، ظهـر على العلماء، وقهـر العظماء، ففي الصادقين ما أوجهه! وبالسابقين ما أشبهه! وعن الدنيا وأسبابها ما كان أنزهه!

جـزاه الله خيـراً عن الإسـلام والمسلميـن، فهـو للسنـة كما قال الله تـعـالـى فـي كتـابـه المبيـن: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف: ١٣].

قال علي بن المديني: أيّد الله هـذا الدين برجلين لا ثالـث لهما: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة.

ومناقبه رضي الله عنه أكثرُ من أن تحصر، وأشهرُ من أن تذكر.

توفي ـ رحمه الله ـ في صدر النهار من يوم الجمعة، الثاني عشر من ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين ومئتين، وله سبع وسبعون سنة، ودفن بباب حرب.

وأسلم يوم مات عشرون ألفاً من اليهـود والنصـارى والمجوس، ووقع النوح في الطوائف كلها من سائر الملل.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: بيننا وبينهم يوم الجنائز ـ يعني: أهل البدع ـ، فأظهر الله صدقَ مقالته، وأوضح ما منحه من كرامته.

وتقدم طرف من أخباره ومحنتـه في تراجم الخلفـاء: المعتصم، والواثق، والمتوكل ـ عفا الله عنهم ـ.

* * *

٢ ـ إبراهيم النخعي أبو عمران، وأبو عمار، إبراهيم بن يزيد بن

الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة[1] **بن سعد بن مالك، النَّخَعيُّ، الفقيهُ الكوفيُّ**: أحد الأئمة المشاهير، تابعيٌّ رأى السيدة عائشة رضي الله عنها، ودخل عليها، ولم يثبت له منها سماع.

ونسبته إلى النَّخَع ـ بفتح النون والخاء المعجمة، وبعدها عين مهملة ـ، وهي قبيلة من مَذْحِج باليمن.

توفي سنة ست، وقيل: خمس وتسعين للهجرة، وله تسع وأربعون سنة ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ.

* * *

٣ ـ أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، الفقيهُ البغداديُّ: صاحب الشافعي، وناقل الأقوال القديمة عنه، وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي العراق، فاختلف إليه، ورفض مذهبه الأول.

توفي لثلاث بقين من صفر سنة [ست و] أربعين ومئتين ببغداد.

* * *

٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي، الفقيهُ الشافعيُّ: إمام عصره في الفتوى والتدريس، وانتهت إليه الرياسة بالعراق، ثم ارتحل إلى مصر في آخر عمره، فأدركه أجله بها لسبع خلون

---

(١) في الأصل: «ربيعة بن ذهل بن حارثة بن ذهل».

من رجب، سنة أربعين وثلاث مئة، ودفن بالقرب من مدفن الإمام الشافعي رضي الله عنه.

* * *

٥ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، الملقب: ركن الدين، الفقيهُ الشافعيُّ الأصوليُّ: أقر له بالعلم أهلُ العراق وخراسان، وبنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور، وتوفي بها يوم عاشوراء، سنة ثمان عشرة وأربع مئة.

* * *

٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروز[أ]بادي، الملقب: جمال الدين، الشافعيُّ، مؤلف «التنبيه»: الورعُ الناسك.

ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة بفيروز[أ]باد، وتوفي ببغداد، ليلة الأحد، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، سنة ست[١] وسبعين وأربع مئة، ودفن من الغد بباب أبرز[٢].

* * *

(١) في الأصل: «سبع».

(٢) في الأصل: «باب أبرد».

٧ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور بن[1] جعفر بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، الهاشميُّ: أخو هارون الرشيد، كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي.

وكان أسود اللون؛ لأن أمه جارية سوداء اسمها شكلة، وكان عظيم الجثة، [و]كان فصيحاً غزير [الأدب، وافر] الفضل، وبويع له بالخلافة ببغداد بعد المئتين، والمأمونُ يومئذٍ بخراسان، وأقام خليفة بها مقدار سنتين، وكانت مبايعته يوم الثلاثاء، لخمسٍ بقين من ذي الحجة، سنة إحدى ومئتين، بايعه العباسيون خفية، ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم سنة اثنتين ومئتين، وخلعوا المأمون، فلما كان يوم الجمعة، لخمسٍ خلون من المحرم، أظهروا ذلك، فلما توجّه المأمون من خراسان إلى بغداد، خاف إبراهيم على نفسه، واستخفى ليلة الأربعاء، لثلاثَ عشرةَ ليلة بقيت من ذي الحجة، سنة ثلاث ومئتين، وجرى أمور يطول شرحها، ثم إن المأمون عفا عنه.

وكانت ولادته في عشر ذي القعدة، سنة اثنتين وستين ومئة، وتوفي يوم الجمعة، لتسعٍ[2] خلون من رمضان، **سنة أربع وعشرين ومئتين**، وصلى عليه ابن أخيه المعتصم بِسُرَّ مَنْ رأى.

* * *

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٩): «أبي».

(٢) في الأصل: «لسبع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٤١).

٨ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان، ويقال له ـ أيضاً ـ: ميمون بن بهمن[١]، التميميُّ الأرجانيُّ: المعروف بالنديم الموصِلي، ولم يكن منها، وهم من بيت كبير في العجم، ولم يكن في زمانه مثله في الغناء، واختراع الألحان، وكان إذا غنّى، وضرب أخو زوجته[٢] زُلزُلُ، اهتز لهما المجلس.

مولده بالكوفة، سنة خمس وعشرين ومئة، وتوفي ببغداد، سنة ثمان وثمانين ومئة بعلة القولنج.

* * *

٩ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبدالله بن خفاجة الأندلسيُّ الشاعرُ: ولد ببلاد الأندلس سنة خمسين وأربع مئة، وتوفي بها يوم الأحد، لأربعٍ بقين من شوال، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة.

فمن شعره، وهو معنى حسن:

مَـا لِلعِـذَارِ وَكَـانَ وَجْهُـكَ قِبْلَـةً
قَـدْ خَـطَّ فِيـهِ مِـنَ الـدُّجَى مِحْرَابَـا

---

(١) في الأصل: «لقمان» والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٤٢).

(٢) في الأصل: «وضربت أختُ زوجته زلزل»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٤٢).

وَأَرَى الـشَّبَابَ وَكَـانَ لَـيْسَ بِخَاشِـعٍ
قَـدْ خَـرَّ فِيـهِ رَاكِعـاً وَأَنَابَـا
وَلَقَـدْ عَلِمْـتَ بِكَـوْنِ[1] تَغْـرِكَ بَارِقـاً
أَنْ سَـوْفَ يُزْجِـي لِلعِـذَارِ سَـحَابَا

* * *

١٠ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الغزيُّ، الشاعرُ المشهورُ، ومن جيد شعره المشهور:

قَالُوا: هَجَرْتَ الشِّعْرَ، قُلْتُ: ضَـرُورَةً
بَـابُ الـدَّوَاعِي وَالبَوَاعِـثِ مُغْلَـقُ
خَلَـتِ الـدِّيَارُ فَـلاَ كَـرِيمٌ يُرْتَجَـى
مِنْـهُ النَّـوَالُ وَلاَ مَلِـيحٌ يُعْـشَقُ
وَمِـنَ العَجَائِـبِ أَنَّـهُ لا يُـشْتَرَى
ويُخَـانُ فِيـهِ مَـعَ الكَـسَادِ وَيُـسْرَقُ

ولد بغزة، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمس مئة ما بين مرو وبلخ[2] من خراسان، ودفن ببلخ.

* * *

---

(١) في الأصل: «بأن»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٥٦).
(٢) في الأصل: «مروقه بلخ»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٦٠).

١١ ـ **أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور**: من كورة بلخ، كان من أبناء الملوك، فخرج يوماً متصيِّداً، وأثار ثعلباً أو أرنباً، وهو في طلبه، فهتف به هاتف: ألهذا خُلِقتَ، أم بهذا أُمِرتَ؟ ثم هتف به من قربوس سرجه: والله! ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فنزل عن دابته، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جُبَّة الراعي من صوف، فلبسها، وأعطاه فرسه وما معه، ثم دخل البادية، ثم دخل مكة، وصحب بها سفيان الثوري، والفضيلَ بنَ عياض، ودخل الشام، ومات بها.

وقبره مشهور بمدينة جبلة من أعمال طرابلس، وله من الكرامات ما هو مشهور، وكان يأكل من عمل يده؛ مثل: الحصادة، وحفظ البساتين، وغير ذلك.

وكان يحفظ اسمَ الله الأعظم، وكان صدِّيق وقته، وحجَّة أهل زمانه، وكان مقبولاً عند جميع المشايخ والأكابر، وصحب الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ﷺ، وكان في ابتداء حاله سلطانَ بلخ، وكانت تلك المملكة تحت حكمه وسلطانه، وكان يُحمل أربعون ترساً، وأربعون مقمعةً من ذهب أحمر بين يديه وخلفه، فتنزه عن ذلك كله، وانقطع إلى ربه، فكان من أمره ما اشتهر ﷺ.

توفي سنة إحدى وستين ومئة ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

* * *

١٢ ـ **أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج الشافعي**: من عظماء

الشافعية، وكان يقال له: الباز الأشهب، ولي القضاء بشيراز، وكان يفضَّل على جميع أصحاب الشافعي، حتى المزني، وكان له نظم حسن.

توفي ببغداد، لخمسٍ بقين من جمادى الأولى، **سنة ست وثلاث مئة**، ودفن بحجرته بسويقة غالب، بالجانب الغربي، بالقرب من محلة الكرخ، وعمره سبع وخمسون سنة، وستة أشهر، وكان جده سُريج مشهوراً بالصلاح، وهو بضم السين.

* * *

١٣ ـ أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص، الطبريُّ الفقيهُ الشافعيُّ: إمام وقته في طبرستان، وكان يعظ الناس، فانتهى في بعض أسفاره إلى طرسوس، وقيل: إنه تولى القضاء بها، فعقد له مجلس وعظ، فأدركته رِقَّةٌ وخشية من ذكر الله، فخر مغشيّاً عليه، ومات **سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة**، وعرف والده بالقاصِّ؛ لأنه كان يقصُّ الأخبار والآثار.

* * *

١٤ ـ أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد، المعروف بابن القطان، البغداديُّ الشافعيُّ: من كبار أئمة الأصحاب، وكانت الرحلة إليه بالعراق، مات **سنة تسع وخمسين وثلاث مئة**، وله مصنفات في أصول الفقه وفروعه ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

١٥ ـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، الأزديُّ الطَّحاويُّ الفقيهُ: انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، وكان شافعيَّ المذهب، يقرأ على المزني، وصنف كتباً مفيدة، وله تاريخ كبير.

مولده سنة تسع[1] وعشرين ومئتين، ونسبته إلى طَحَا ـ بفتح الطاء ـ: قرية بصعيد مصر، والأزد: قبيلة من قبائل اليمن.

* * *

١٦ ـ الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني، الفقيه الشافعيّ، انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين ببغداد، وقال الناس: لو رآه الشافعي، لفرح به.

ولد سنة أربع وأربعين وثلاث مئة، وقدم بغداد، وتوفي ليلة السبت، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال، سنة ست وأربع مئة ببغداد، ودفن بباب حرب، وكان يوم موته يوماً مشهوداً بكثرة الناس، وإسفراين: بلدة بخراسان بنواحي نيسابور.

* * *

١٧ ـ أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل ابن محمد بن إسماعيل، المحامليُّ الفقيهُ الشافعيُّ: برع في الفقه،

---

(١) في الأصل: «سبع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٧٢). وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة.

وصنف كتباً كثيرة، ولد سنة ثمان وستين وثلاث مئة، وتوفي يوم الأربعاء، لتسعٍ بقين من ربيع الآخر، **سنة خمس عشرة وأربع مئة**.

والمحاملي: منسوب إلى المحامل التي يحمل عليها الناس في السفر.

* * *

١٨ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الفقيهُ الشافعيُّ الحافظُ المشهور، ومن مشهور مصنفاته: «السنن الكبرى»، و«الصغرى»، و«دلائل النبوة»، و«شعب الإيمان»، و«مناقب الشافعي»، و«مناقب أحمد» رضي الله عنهما، وكان على سيرة السلف.

وقال إمام الحرمين في حقه: ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه مِنَّةٌ، إلا أحمد البيهقي؛ فإن له على الشافعي مِنَّة؛ فإنه كان أكثر الناس نصراً لمذهب الشافعي.

ولد في شعبان، سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، وتوفي في العاشر من جمادى الأولى، **سنة ثمان وخمسين وأربع مئة** بنيسابور.

* * *

١٩ ـ أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان النسائي: الحافظُ، إمامُ عصره في الحديث، له «السنن»، سكن بمصر، ولما امتُحن بدمشق، قال: احملوني إلى مكة، فحُمِل إليها، ودفن بين الصفا والمروة. وقيل: مات بالرملة، وكانت وفاته في شعبان **سنة ثلاث**

وثلاث مئة، ولما داسوه بدمشق، مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول[1]، لمَّا سئل عن معاوية، وما روي من فضله.

ونسبته إلى نَسَا ـ بفتح النون ـ: مدينة بخراسان، خرج منها جماعة من الأعيان.

* * *

٢٠ ـ أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر، الفاسيُّ الأصل، الملثَّم: السيد الجليل المعروف بالبدوي.

ولد سنة ست وتسعين وخمس مئة، عُرف بالبدوي؛ لملازمته اللِّثام، فيلبس لِثامين لا يفارقهما، وعُرض عليه التزويج، فامتنع؛ لإقباله على العبادة، وكان يقرأ القرآن، وقرأ شيئاً من الفقه على مذهب الشافعي.

اشتهر بالعَطَّاب؛ لكثرة ما كان يقع لمن يؤذيه من الناس، ثم إنه لازم الصمت، حتى كان لا يتكلم إلا بالإشارة، ولازم الصيام، وأدمن عليه، كان يطوي أربعين يوماً.

حج أبوه في سنة سبع وست مئة وهو معه، فمات أبوه بمكة في سنة سبع وعشرين، ودخل العراق صحبة أخيه حسن، ثم سار إلى مصر في سنة أربع وثلاثين، فوصل إلى طندتا من الغربية، فأقام بها على سطح دار لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، وإذا عرض له الجلل، يصيح، وكان يُكثر من الصياح.

---

(١) في الأصل: «مقتول»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٧٧).

وكان طويلاً، غليظ الساقين، كبير الوجه، ولونه بين البياض والسمرة، ووقع له كرامات كثيرة، وخوارق مشهورة.

توفي في ثاني عشر من شهر ربيع الأول، **سنة خمس وسبعين وست مئة**، وعُظِّم قبره، وبني عليه، وقام بأمر أتباعه صاحبُه عبد العال، فسمَّوه: خليفة الشيخ أحمد، واشتهر أتباعه بالسطوحية، وعُمِّر بعده مدة طويلة حتى مات في **سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة**، وحدث لهم بعد مدة عملُ المولد النبوي، فصار يوماً مشهوراً، يُقصد من النواحي البعيدة، وله شهرة في الديار المصرية ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

* * *

٢١ ـ أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيهُ المعروفُ بالقُدُورِيِّ:

انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق، ولد سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وتوفي يوم الأحد، الخامس من رجب، **سنة ثمان وعشرين وأربع مئة** ببغداد، ودفن بداره، ثم نقل إلى تربة في شارع المنصور.

ونسبته إلى القُدُور التي هي جمع قِدْر.

* * *

٢٢ ـ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الثعلبيُّ النيسابوريُّ:

المفسِّر المشهور، صنف «التفسير الكبير» الذي فاق غيره من التفاسير،

ويقال له: الثعالبي، وهو لقب، وليس بنسب، توفي في **سنة سبع وعشرين وأربع مئة**، وقيل: سنة سبع وثلاثين.

* * *

٢٣ ـ أبو عبدالله أحمد بن أبي دُؤاد الإياديُّ القاضي: كان معروفاً بالمروءة والعصبية، وكان شاعراً فصيحاً، وكان يقول: ثلاثة ينبغي أن يُبجَّلوا، وتُعرف أقدارُهم: العلماء، وولاة العدل، والإخوان، فمن استخفَّ بالعلماء أهلكَ دينه، ومن استخف بالولاة، أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان، أهلك مروءته.

وكان ابن أبي دؤاد المذكور معتزلياً، ولما ولي المعتصم الخلافة، جعل ابنَ أبي دؤاد قاضي القضاة، وعزل يحيى بنَ أكثم.

وابن أبي دؤاد هو الذي كان سبباً لمحنة الإمام أحمد، وألزمه بالقول بخلق القرآن، وذلك في رمضان، سنة عشرين ومئتين.

ثم حصل لابن أبي دؤاد محن كثيرة، وصودر في أيام المتوكل، وعُزل، وابتلي بالفالج، ومات به في المحرم، **سنة أربعين ومئتين**، وتوفي ولده محمد قبله بعشرين يوماً.

* * *

٢٤ ـ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف بالخطيب: صاحب «تاريخ بغداد» وغيرِه، كان من الحفَّاظ والعلماء، صنف قريباً من مئة مصنَّف.

ولد في جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة، وتوفي في يوم الاثنين، في السابع من ذي الحجة، **سنة ثلاث وستين وأربع** مئة ببغداد، والعجب أنه كان في وقته حافظَ الشرق، وأبو عمر يوسفُ ابنُ عبد البَرِّ حافظ الغرب، وماتا في سنة واحدة، ودفن إلى جانب قبر بِشْرٍ الحافي.

* * *

٢٥ ـ أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسيُّ الغزاليُّ الشافعيُّ: كان واعظاً صاحبَ كرامات وإشارات، واختصر كتاب أخيه «الإحياء» في مجلد واحد، وسماه: «لباب الإحياء». توفي سنة عشرين وخمس مئة.

* * *

٢٦ ـ أبو الفضل أحمد ابن الشيخ كمال الدين موسى بن رضيِّ الدين يونس، الإربليُّ الأصل، من بيت الرئاسة بإربل، الفقيهُ الشافعيُّ، كان إماماً فاضلاً، شرح «التنبيه»، واختصر «إحياء علوم الدين» مختصرين: كبيراً، وصغيراً.

ولد بالموصل سنة خمس وسبعين وخمس مئة، وتوفي يوم الاثنين، الرابع والعشرين من ربيع الآخر، **سنة اثنتين وعشرين وست مئة**.

* * *

٢٧ ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير ابن سالم القرطبيُّ: مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، وكان من العلماء، وله ديوان شعر، ومنه:

يَـا ذَا الَّـذِي خَـطَّ العِـذَارُ بِخَـدِّهِ
خَطَّـيْنِ هَاجَـا لَوْعَـةً وَبَـلا بَـلا

مـا صَـحَّ عِنْـدِي أَنَّ لَحْظَـكَ صَـارِمٌ[1]
حَتَّـى رَأَيْـتُ مِـنَ العِـذَارِ حَمَـائِلا

ولد في عاشر رمضان، سنة ست وأربعين ومئتين، وتوفي في ثامن عشر جمادى الأولى، **سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة**، ودفن بقُرطبة في مقبرة بني العباس، من فالجٍ أصابه قبل ذلك بأعوام.

* * *

٢٨ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، الرازيُّ اللغويُّ: كان إماماً في علوم كثيرة، خصوصاً اللغة، وله مصنّفات عديدة، ومنه اقتبس الحريريُّ صاحب «المقامات» ذلك الأسلوب، وله أشعار جيدة، منها:

إِذَا كُنْـتَ فِـي حَاجَـةٍ مُرْسِـلاً
وَأَنْـتَ بِهَـا كَلِـفٌ مُغْـرَمُ

---

(١) في الأصل: «صارماً»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ١١٠).

فَأَرْسِـــلْ حَكِيمـــاً وَلا تُوصِـــهِ
وَذَاكَ الحَكِـــيمُ هُـــوَ الـــدِّرْهَمُ

توفي سنة تسعين وثلاث مئة بالرَّيِّ.

* * *

٢٩ ـ أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبـد الصمـد، الجعفيُّ الكوفيُّ: المعروف بالمتنبي، الشاعرُ المشهور، قدم الشام في صباه، وجال في أقطاره، ومن شعره:

أَبِـــعَيْنِ مُفْتَقِـــرٍ إِلَيْـــكَ نَظَرْتَنِـــي
فَـــأَهَنْتَنِي وَقَـــذَفْتَنِي مِـــنْ حَـــالِقِ
لَـــسْتَ المَلُـــومَ أَنَـــا المَلُـــومُ لأَنَّنِـــي
أَنْزَلْـــتُ آمَـــالِي بِغَيْـــرِ الخَـــالِقِ

وإنما قيل له: المتنبي؛ لأنه ادَّعى النبوة في بادية السَّماوة، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أميرُ حمص، فأسره، وحبسه طويلاً، ثم استتابه، وأطلقه.

وكان قد قصد بلاد فارس، ومدح عضدَ الدولة، وأجزل جائزته، ولما رجع من عنده قاصداً بغداد، عرض له فاتكُ بنُ أبي الجهل الأسديُّ في عِدّة من أصحابه، وكان مع المتنبي جماعة من أصحابه، فقاتلوهم، فقُتل المتنبي، وابنه محسَّد، وغلامـه مفلِح، بالقرب من النعمانية، في

موضع يقال له: الصافية، من الجانب الغربي من سواد بغداد، عند دير العاقول، فلما فرّ حين رأى الغلبة، قال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار، وأنت القائل:

فَالخَيْـلُ وَاللَّيْـلُ وَالبَيْـدَاءُ تَعْرِفُنِـي
وَالحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالقِرْطَـاسُ وَالقَلَـمُ

فكرَّ راجعاً حتى قُتل، وكان سبب قتله هذا البيت، والله أعلم.

وذلك يوم الأربعاء، لستٍّ بقين، وقيل: لثلاث، وقيل: لليلتين[1] من رمضان، سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

ومولده سنة ثلاث وثلاث مئة بالكوفة.

* * *

٣٠ ـ أبو العباس أحمد بن محمد، الدارميُّ المصيصيُّ، المعروف بالنامي، الشاعر المشهور: له مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد، ومن شعره:

أَتَـانِي فِـي قَمِـيصِ الـلاَّذِ يَـسْعَى
عَـدُوٌّ لِـي يُلَقَّـبُ بِالحَبِـيبِ

وَقَـدْ عَبَـثَ الـشَّرَابُ بِمُقْلَتَيْـهِ
فَـصَيَّرَ خَـدَّهُ كَـسَنَا اللَّهِيـبِ

---

(١) في الأصل: «لثلاثين»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ١٢٣).

فَقُلْــتُ لَــهُ لَمَّــا اسْتَحْــسَنْتُ هَــذَا

لَقَــدْ أَقْبَلْــتَ فِــي زِيٍّ عَجِيــبِ

أَحُمْــرَةُ وَجْنَتَيْــكَ كَــسَتْكَ هَــذَا

أَمَ انْــتَ صَــبَغْتَهُ بِــدَمِ القُلُــوبِ

توفي سنة تسع وتسعين وثلاث مئة بحلب، وعمره تسعون سنة.

* * *

٣١ ـ أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزديُّ، الملقَّب: نفطويه، النحويُّ الواسطيُّ: له التصانيف الحِسان في الآلات، وكان عالماً بارعاً، ولد سنة أربع وأربعين ومئتين بواسط، وسكن بغداد، وتوفي في صفر، **سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة**، يوم الأربعاء، لستٍّ خلون منه، بعد طلوع الشمس بساعة، ودفن بباب الكوفة، وليس في العلماء من اسمه إبراهيم، وكنيته أبو عبدالله، سوى نفطويه، ومن شعره:

قَلْبِــي أَرَقُّ عَلَيْــكَ مِــنْ خَــدَّيْكَا

وَقُــوَايَ أَوْهَــى مِــنْ قُــوَى جَفْنَيْكَــا

لِــمَ لاَ تَــرِقُّ لِمَــنْ يُعَــذِّبُ نَفْــسَهُ

ظُلْمــاً وَيَعْطِفُــهُ هَــوَاهُ عَلَيْكَــا

وفيه يقول أبو عبدالله محمد الواسطي:

مَـــنْ سَـــرَّهُ أَنْ لاَ يَـــرَى فَاسِـــقاً
فَلْيَجْتَهِـــدْ أَنْ لاَ يَـــرَى نِفْطَوَيْـــهِ

أَحْرَقَـــهُ اللهُ بِنِـــصْفِ اسْـــمِهِ
وَصَـــيَّرَ البَـــاقِي صُـــرَاخاً عَلَيْـــهِ

ونفطويـه ـ بفتح الواو، وكسر النـون وفتحها، والكسر أفصح ـ، وهو لقب له.

* * *

٣٢ ـ أبـو القاسم أحمـد بن محمـد بن إسماعيـل بن إبـراهيم[1] طباطبـا بن إسماعيل بن إبـراهيم بن الحسن بن [الحسين بن] علي بن أبي طالب: الشريفُ الحسنيُّ الرسيُّ المصريُّ، نقيب الطالبيين بمصر.

وكان من أكابر رؤسائها، وله شعر مليح، ومن شعره:

خَلِيلَـــيَّ إِنِّـــي لِلثُّرَيَّـــا لَحَاسِـــدٌ
وَإِنِّـــي عَلَـــى رَيْـــبِ الزَّمَـــانِ لَوَاجِـــدُ

أَيَبْقَـــى جَمِيعـــاً شَـــمْلُهَا وَهْـــيَ سِـــتَّةٌ[2]
وَأَفْقِـــدُ مَـــنْ أَحْبَبْتُـــهُ وَهْـــوَ وَاحِـــدُ

---

(١) في الأصل زيادة: «بن».

(٢) في الأصل: «سبعة»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ١٢٩).

توفي سنة خمس وأربعين وثلاث مئة بمصر، وطَباطَبا ـ بفتح الطاءين ـ: لقب جدِّه إبراهيم؛ لأنه كان يلثغ، فيجعل القاف طاء، وطلب يوماً ثيابه، فقال غلامُه: أجيء بدرّاعة؟ قال: لا، طباطبا؛ يريد: قَبا، وكرر لفظه.

* * *

٣٣ ـ أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون، المخزوميُّ الأندلسيُّ القرطبيُّ الشاعرُ: كان في غاية في المنثور والمنظوم، وخاتمةَ شعراء بني مخزوم، ومن بديع قلائده: نظمُه القصيدةَ الطنانة، التي من جملتها:

بِنْتُمْ وَبِنَّا فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا
شَوْقاً إِلَيْكُمْ وَلاَ جَفَّتْ مَآقِينَا

تَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا
يَقْضِي عَلَيْنَا الأَسَى لَوْلاَ تَأَسِّينَا

حَالَتْ لِبُعْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ
سُوداً وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا

بِالأَمْسِ كُنَّا وَمَا يُخْشَا تَفَرُّقُنَا
وَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا[1] يُرْجَى تَلاَقِينَا

---

(١) في الأصل: «لا»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ١٤٠).

وهي طويلة، وكانت وفاته في صدر رجب، **سنة ثلاث وستين وأربع مئة**، بمدينة إشبيلية، وكان له ولد يقال له: أبو بكر، تولى وزارةَ المعتمد بنِ عبّاد، وقُتل يوم أخذ يوسفُ بنُ تاشفين قرطبةَ، يوم الأربعاء، ثاني صفر، سنة أربع وثمانين وأربع مئة، وأخذها الفرنج من المسلمين في شوال، سنة ثلاث وثلاثين وست مئة.

* * *

٣٤ ـ أبو جعفر أحمد بن محمد، الخولانيُّ الأندلسيُّ، المعروف بابن الأَبَّار، الشاعرُ: كان من شعراء المعتضد عباد بن محمد اللخمي صاحبِ إشبيلية، وكان عالماً، [فجمع] وصنَّف، وله الشعر الرائق، توفي **سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة**.

* * *

٣٥ ـ أبو العباس أحمد بن هارون الرشيدِ الهاشميُّ، المعروف بالسّبتيِّ: كان عبداً صالحاً، ترك الدنيا في حياة أبيه وهو خليفةُ الدنيا، وإنما قيل له: السبتي؛ لأنه كان يتكسب بيده يوم السبت شيئاً ينفقه في بقية الأسبوع، ويتفرغ للعبادة، فعُرف بهذه النسبة، ولم يزل كذلك إلى أن مات **سنة أربع وثمانين ومئة**، قبل موت أبيه.

* * *

٣٦ ـ أبو العباس أحمد بن أبي الحسن[1] **علي بن أبي العباس أحمد، المعروف بابن الرفاعي**: كان رجلاً صالحاً فقيهاً، شافعي المذهب، وأصله من العرب، وسكن بالبطائح بقرية يقال لها: أم عبيدة، وانضم إليه خَلْق من الفقراء، وأحسنوا الاعتقاد فيه، وتبعوه الطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية، وله شعر، منه:

إِذَا جَنَّ لَيْلِي هَامَ قَلْبِي بِذَكْرِكُمْ
أَنُوحُ كَمَا نَاحَ الحَمَامُ المُطَوَّقُ

[....]، وهو مشهور، توفي يوم الخميس، ثاني عشري من جمادى الأولى، **سنة ثمان وسبعين وخمس مئة**[2] بأم عبيدة، وهو في عشر التسعين.

والرفاعي ـ بكسر الراء ـ نسبة إلى رجل من العرب[3] يقال له: رفاعة، وأم عبيدة والبطائح: قرى مشهورة بين واسط والبصرة، ولها شهرة بالعراق.

* * *

(١) في الأصل زيادة: «بن»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ١٧١).

(٢) في الأصل: «ثمانين وخمس مئة»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ١٧٢).

(٣) في الأصل: «رجل بالمغرب»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ١٧٢).

٣٧ ـ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون: صاحب الديار المصرية والشامية والثغور، وكان المعتـز بالله ولاَّه مصر، ثم استولى على الشام أجمـع، وأنطاكية، والثغور، وكان شجاعاً، حسن السيرة، يحـب أهل العلم، ويتصدق كثيراً، وكان مع ذلك كله طائشَ السيف، وكان يحفظ القرآن، ورُزق حسنَ الصوت، وبنى الجامع المنسوب إليـه بين القاهرة ومصر، سنة تسع وخمسين ومئتين، وأنفق على عمارته مئة ألف دينار، وعشرين ألف دينار.

توفي طولون سنة أربعين ومئتين، وقيل: إن أباه طولون تبناه، ولم يكن ابنه.

وكان مولده ثالث عشري من رمضان، سنة عشرين ومئتين، وتوفي ليلة الأحد، لعشرٍ خلون من ذي القعدة، **سنة سبعين ومئتين**، وطُولون ـ بضم الطاء ـ: اسم تركي.

* * *

٣٨ ـ أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بُوَيْـه بن [فناخسرو بن تمام ابن كوهي بن] شيرزيل: لقبُه: مُعِزُّ الدولة، وهو عم عضد الدولة أحدِ ملوك الديلم، كان صاحبَ العراق والأهواز، وكان يقال لـه: الأقطع؛ لأن يده اليسرى مقطوعة، وبعض أصابع اليمنى من ضربـةٍ أصابتـه في الحرب، وملكَ العراق وبغداد.

مولـده سنـة ثـلاث وثـلاث مئـة، وتـوفي **سنـة سـت وخمسين**

وثلاث مئة ببغداد، ودفن بمقابر قريش.

* * *

٣٩ ـ أبو العباس أحمد بن عبد السيد بن شعبان بن محمد بن جابر بن قحطان، الإربليُّ، الملقَّب: صلاح الدين: وهو من بيت كبير بإربل، وكان حاجباً عند الملك المعظَّم مظفرِ الدين صاحب إربل، ثم انتقل إلى الديار المصرية، وخدم الملك الكامل، فعظمت منزلته عنده، وكان الصلاح ذا فضيلة، وله ديوان شعر.

ولد في ربيع الآخر، سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة بإربل، وتوفي وهو مع الملك الكامل عند قصده بلادَ الروم، قبل دخوله الرها، في الخامس والعشرين من ذي الحجة، **سنة إحدى وثلاثين وست مئة**، ودفن بظاهرها، ثم نقله ولده إلى الديار المصرية، فدفنه بتربته بالقرافة في أواخر شعبان سنة سبع وثلاثين وست مئة، وكان تقدير عمره يوم وفاته ستين سنة.

* * *

٤٠ ـ أبو بكر أزهر بن سعد السمَّان، الباهليُّ البصريُّ: روى الحديث عن حُمَيدٍ الطويل، وروى عنه أهل العراق، وكان يصحب أبا جعفر المنصور قبل الخلافة، ثم جاء إليه بعد الخلافة، ووقع له معه وقائع، وأحسن إليه.

ولد سنة إحدى عشر ومئة، وتوفي في **سنة ثلاث ومئتين**.

والبصري: نسبة إلى البصرة، وهي إسلامية، بناها عمر بن الخطاب في سنة أربع عشرة من الهجرة على يد عتبة بن غزوان، وهي أشهر مدن العراق، والبصرة: الحجارة الرخوة.

* * *

٤١ ـ أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر، الكنانيُّ الكلبيُّ الشَّيْزَرِيُّ[١]، الملقب: مؤيد الدولة، مجد الدين: من أكابر بني مُنْقِذ أصحابِ قلعة شَيْزَرَ، وعلمائِهم وشجعانهم، له تصانيف عديدة في فنون الأدب.

سافر إلى الديار المصرية والشامية، ثم أقام بحصن كَيْفا إلى أن ملكَ صلاح الدين دمشق، فاستدعاه، فجاءه وهو شيخ قد جاوز الثمانين، ومن شعره:

لاَ تَسْتَعِرْ جَلَداً عَلَى هِجْرَانِهِمْ
فَقُوَاكَ تَضْعُفُ عَنْ صُدُودٍ دَائِمِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمُ
طَوْعاً، وَإِلاَّ عُدْتَ عَوْدَةَ رَاغِمِ

ولد يوم الأحد، السابع والعشرين من جمادى الآخرة، سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، وتوفي في الثالث والعشرين من رمضان، سنة أربع

---

(١) في الأصل: «الشيرازي»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ١٩٦).

وثمانين وخمس مئة بدمشق، ودفن من الغد في شرقي جبل قاسيون، وتوفي والده سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة.

* * *

٤٢ ـ أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبدالله بن مرة، الحنظليُّ المروزيُّ، المعروف بابن راهويه: أحد أئمة الإسلام، جمع بين الحديث والفقه والورع، روى عن الشافعي، وناظره.

وقال الإمام أحمد عنه: عندنا إمام من أئمة المسلمين، وما عبر الجسرَ أفقهُ منه.

ولد سنة إحدى، وقيل: ثلاث، وقيل: ست وستين ومئة، وسكن آخر عمره بنيسابور، ومات بها ليلة النصف من شعبان، سنة ثمان، وقيل: **سبع وثلاثين ومئتين.**

وراَهوَيه: لقب أبيه؛ لأنه وُلد بطريق مكة، والطريق بالفارسية: راه، وويه معناها: وجد، فكأنه وجد في الطريق.

* * *

٤٣ ـ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان، التميميُّ بالولاء، الأرجانيُّ الأصل، المعروف بابن النديم[1]: وقد سبق ذكر أبيه، وكان

---

(١) في الأصل: «بالنديم» بدل «بابن النديم».

وكان من ندماء الخلفاء[1]، وله الظرف المشهور، والغناء، وكان عالماً باللغة والأشعار، وله يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام، ومن شعره: ما كتبه إلى هارون الرشيد ـ رحمه الله تعالى ـ:

أَرَى النَّـاسَ خُـلاَّنَ الجَـوَادِ وَلاَ أَرَى
بَخِـيلاً لَـهُ فِـي العَـالَمِينَ خَلِيـلُ

وَإِنـيِّ رَأَيْـتُ البُخْـلَ يُـزْرِي بِأَهْلِـهِ[2]
فَأَكْرَمْـتُ نَفْـسِي أَنْ يُقَـالَ بَخِيـلُ

وَمِـنْ خَيْـرِ حَـالاَتِ الفَتَـى لَـوْ عَلِمْتَـهُ
إِذَا نَـالَ شَـيْئاً أَنْ يَكُـونَ يُنِيـلُ

وَكَيْـفَ أَخَـافُ الفَقْـرَ أَوْ أُحْـرَمُ الغِنَـى
وَرَأْيُ أَمِيـرِ المُـؤْمِنِينَ جَمِيـلُ

وكان قد عمي في آخر عمره.

مولده سنة خمسين ومئة، وهي التي ولد فيها الشافعي ﷺ، وتوفي في رمضان، سنة خمس وثلاثين ومئتين.

* * *

(١) في الأصل: «الخليفة»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٢٠٢).
(٢) في الأصل: «بنفسه»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٢٠٤).

٤٤ ـ **القاضي الأسعد أبو المكارم مماتي بن الخطير أبي سعيد مهذب، المصريُّ الكاتبُ الشاعرُ**: كان ناظرَ الدواوين بالديار المصرية، وفيه فضائل، وله ديوان شعر، ومن شعره:

وأهيفٌ أَحْدَثَ لِي نَحْوُهُ
تَعَجُّباً يُخْبِرُ عَنْ ظُرْفِهِ

عَلاَمَةُ التَّأْنِيثِ فِي لَحْظِهِ
وَأَحْرُفُ العِلَّةِ فِي لَفْظِهِ

وكان هو وجماعة من النصارى أسلموا في ابتداء الملك الصالحي.

توفي بحلب في سلخ جمادى الأولى سنة ست وست مئة، وعمره اثنان وستون سنة.

ولقب بمماتي، لأنه وقع بمصر غلاء، وكان كثير الصدقة والإطعام، خصوصاً لصغار المسلمين، وكانوا إذا رأوه، ناداه كل واحد منهم: مماتي.

* * *

٤٥ ـ **أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز، السلميُّ السنجاريُّ الفقيهُ الشاعرُ المنعوتُ بالبهاء**: أجاد في الشعر، وخدم به الملوك، وأخذ جوائزهم، وكان له صاحب، فانقطع عنه، فسير إليه يطلبه، فكتب إليه صاحبه:

لاَ تَـزُرْ مَـنْ تُحِـبُّ فِـي كُـلِّ شَـهْرٍ
غَيْـرَ يَـوْمٍ وَلاَ تَـزِدْهُ عَلَيْـهِ
فَـاجْتِلاَءُ الهِـلاَلِ فِـي الـشَّهْرِ يَـوْمٌ
ثُـمَّ لاَ تَنْظُـرُ العُيُـونُ إِلَيْـهِ

فكتب إليه البهاءُ من نظمه:

إِذَا حَقَّقْـتَ مِـنْ خِـلٍّ وِدَاداً
فَـزُرْهُ وَلاَ تَخَـفْ مِنْـهُ مَـلاَلاَ
وَكُـنْ كَالـشَّمْسِ تَطْلُـعُ كُـلَّ يَـوْمٍ
وَلاَ تَكُـنْ فِـي زِيَارَتِـهِ هِـلاَلاَ

وله أشياء حسنة.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة بإربل، وتوفي في سنة اثنتين وعشرين وست مئة بسنجار.

* * *

٤٦ ـ أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم، المزنيُّ، صاحبُ الشافعيِّ ﷺ: وهو من أهل مصر، وكان عالماً مجتهداً، وهو إمام الشافعيين[١].

(١) في الأصل: «التابعين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٢١٧).

قال الشافعي: المزني ناصرُ مذهبي.

وكان إذا فرغ من مسألة، وأودعَها «مختصره»، قام إلى المحراب، وصلى ركعتين شكراً لله.

وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وعلى مثاله رتَّبوا، وهو الذي تولى غسلَ الشافعي.

ومناقبُه كثيرة، توفي لستٍّ بقين من رمضان، **سنة أربع وستين ومئتين**، ودفن بالقرب من تربة الشافعي، وعاش تسعاً وثمانين سنة، وصلى عليه الربيع.

ونسبته بالمزني ـ بضم الميم ـ: هذه مُزَينة بنتُ كلب، وهي قبيلة مشهورة.

* * *

٤٧ ـ أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، العنزيُّ بالولاء، معروف بأبي العتاهية، الشاعر المشهور.

ولد بعين التمر: بُليدة بالحجاز قرب المدينة، ونشأ بالكوفة، وسكن بغداد، وكان يبيع الجِرار، فقيل له: الجرَّار، واشتُهر بمحبة عُتبة جاريةِ الإمام المهديِّ، وأكثرَ تشبيبه فيها.

وبعث مرة إلى المهدي، وعرَّض بطلبها، يقول:

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ

اللهُ وَالقَائِمُ المَهْدِيُّ يَكْفِيهَا

إِنِّـــي لأَيْـــأَسُ مِنْهَـــا ثُـــمَّ يُطْمِعُنِـــي

فِيهَـــا احْتِقَـــارُكَ لِلـــدُّنْيَا وَمَـــا فِيهَـــا

وَهمَّ أمير المؤمنين أن يدفع عُتبة إليه، فجزعت، وقالت: يا أمير المؤمنين! حرمتي وخدمتي، أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر يبيع الجِرار؟ فأعفاها، وأمر له بمال.

وأنشد في حضرة الخليفة:

أَتَتْـــهُ الخِلاَفَـــةُ مُنْقَـــادَةً

إِلَيْـــهِ تَجُـــرُّ بِأَذْيَالِهَـــا

فَلَـــمْ تَـــكُ تَـــصْلُحُ إِلاَّ لَـــهُ

وَلَـــمْ يَـــكُ يَـــصْلُحُ إِلاَّ لَهَـــا

فَلَـــوْ رَامَهَـــا أَحَـــدٌ غَيْـــرُهُ

لَزُلْزِلَـــتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَـــا

فلم ينصرف أحد من ذلك المجلس بجائزة غير أبي العتاهية.

ولد سنة ثلاثين ومئة، وتوفي في يوم الاثنين، ثامن جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وقيل: **ثلاث عشرة ومئتين** ببغداد، وقبره على نهر عيسى.

ولما حضرته الوفاة، قال: أشتهي أن يجيء مخارق المغني يغني عند رأسي هذين البيتين:

إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي
فَإِنَّ عَزَاءَ البَاكِيَاتِ قَلِيلُ

سَيُعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي
ويَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ

* * *

٤٨ ـ الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانيُّ: كان نادرة الدهر، وأعجوبةَ الزمان في فضائله ومكارمه، وهو أولُ من لقِّب بالصاحب من الوزراء؛ لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له: صاحبُ ابن العميد، ثم أُطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارةَ بعده، وبقي عَلَماً عليه، ثم تسمَّى به كلٌّ من وَلي الوزارة بعده.

قال أبو سعيد الرستمي في حقه:

وَرِثَ الوِزَارَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ
مَوْصُولَةَ الإِسْنَادِ بِالإِسْنَادِ

يَرْوِي عَنِ العَبَّاسِ عَبَّادٍ وِزَا
رَتَهُ وَإِسْمَاعِيلُ عَنْ عَبَّادِ

وكتب بعضهم إليه ورقة، أغار فيها على رسائله، وسرق فيها جملة من ألفاظه، فوقَّع فيها: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾[يوسف: ٦٥].

وحبس بعضَ غلمانـه في مكان ضيق بجـواره، ثم صعِـد السّطح يومـاً، فاطلـع فـرآهُ، فناداه المحبـوس بأعلى صـوتـه: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٥٥]، فقال الصاحب: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

ولد لأربـعَ عشرةَ ليلة بقيت من ذي القعـدة، سنة سـتٍّ وعشرين وثلاث مئة بإصطخر، وتوفي ليلة الجمعة، العشرين أو الرابع والعشرين من صفر، سنة خمس وثمانين وثلاث مئة بالري، ثم نقل إلى أصفهان، وله نوادر كثيرة، ورسائل بديعة ونظم جيد، فمنه قوله:

وَشَـــــادِنٍ جَمَالُـــــــهُ
تَقْـــصُرُ عَنْـــــهُ صِـــــفَتِي

هَـــــوَى لِتَقْبِـــــيلِ يَـــــدِي
فَقُلْـــــتُ قَبِّـــــلْ شَـــــفَتِي

ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٤٩ ـ أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم، المالكيُّ المصريُّ: تفقه على الإمام مالك.

قال الإمام الشافعي: ما رأيت أفقهَ من أشهب لولا طيشٌ فيه.

ولـد بمصـر سنـة خمسـين ومئـة، وتـوفي سنـة أربـع ومئتيـن، بعـد الشـافعي بشهـر، ودفـن بالقـرافـة الصغـرى، ويقـال: إن اسمـه

مسكين، وأشهب لقبه.

ودعا على الشافعي بالموت، فبلغه ذلك، فقال مُتَمَثِّلاً:

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ
فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِوَاحِدِ

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلاَفَ الَّذِي مَضَى
تَزَوَّدْ لأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ

وكان أشهب يخضب عَنْفَقَته ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٥٠ ـ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، الأندلسيُّ الدانيُّ: كان فاضلاً في علوم الأدب، عارفاً بفن الحكمة، انتقل من الأندلس، وسكن ثغر الإسكندرية، ومن شعره:

إِذَا كَانَ أَصْلِي مِنْ تُرَابٍ فَكُلُّهَا
بِلاَدِي وَكُلُّ العَالَمِينَ أَقَارِبِي

وَلاَ بُدَّ لِي أَنْ أَسْأَلَ العَيْشَ جَاهِداً
لِنَفْسِي عَلَى شُمِّ الذُّرَا وَالغَوَارِبِ[1]

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٢٤٤):

«ولابد لي أن أسأل العِيسَ حاجةً ... تشُقُّ على شُمِّ الذرى والغوارب»

وشعره كثير، وانتقل إلى المهدية، وتوفي بها يوم الاثنين، مستهل سنة تسع وعشرين وخمس مئة.

ومولده في دانية من بلاد الأندلس، سنة ستين وأربع مئة، ولما اشتد مرضه، قال لولده عبد العزيز:

عَبْـــدُ العَزِيـــزِ خَلِيفَتِـــي
رَبُّ الـــسَّمَاءِ عَلَيْـــكَ بَعْـــدِي
أَنَـــا قَـــدْ عَهِـــدْتُ إِلَيْـــكَ مَـــا
تَدْرِيـــهِ فَـــاحْفَظْ فِيـــهِ عَهْـــدِي
فَلَـــئِنْ عَمِلْـــتَ بِـــهِ فَإِنَّـــ
ـــكَ لاَ تَـــزَالُ حَلِيـــفَ رُشْـــدِ
وَلَـــئِنْ نَكَثْـــتَ لَقَـــدْ ضَـــلَلْتَ
وَقَـــدْ نَـــصَحْتُكَ حَـــسْبَ جُهْـــدِي

* * *

٥١ ـ أبو واثلة إياس بن معاوية بن قُرَّة بن إياس بن هلال المزنيُّ:
وهو اللَّسِنُ البليغ، والألمعيُّ المصيب، كان مشهوراً بفرط الذكاء، وإيّاه عنَى الحريريُّ في المقامة السابعة بقوله:

فإذا ألمعيتي ألمعيةُ ابن عباس، وفراستي فراسة إياس.

وكان عمر بن عبد العزيز ولاه قضاء البصرة.

وقيل لأبيه معاوية: كيف ابنُك لك؟ فقال: نِعْم الابنُ! كفاني أمر دنياي، ففرَّغني لآخرتي.

ويحكى من فطنته: أنه كان في موضع، فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك ثلاث نسوة، لم يعرفهن، فقال: هذه ينبغي أن تكون حاملاً، وهذه مرضعاً، وهذه عذراء، فكُشف عن ذلك، فكان كما تفرّس، فقيل له: من أين لك ذلك؟ فقال: عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلا على أعزِّ ما له، وما يخاف عليه، ورأيت الحاملَ قد وضعت يدَها على جوفها، فاستدللت بذلك على حملها، والمرضع وضعت يدها على ثديها، فعلمت أنها مرضع، والبكر وضعت يدها على فرجها، فعلمت أنها بكر.

وروي عنه: أنه قال: ما غلبني أحد قطُّ سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليَّ رجل، فشهد عندي أن البستان الفلاني ـ وذكر حدوده ـ هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكتَ، ثم قال: منذ كم سيدُنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا، فقال: كم عددت خشب سقفه؟ فقلت: الحقُّ معك، وأجزتُ شهادته.

توفي سنة اثنتين وعشرين ومئة، وعمره ستٌّ وسبعون سنة، أدرك أَنساً وغيرَه.

* * *

٥٢ ـ أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال، المقدسيُّ الخواصيُّ المحدِّثُ: ولد سنة أربعَ عشرةَ وسبعِ مئة، ضَبَطَ، وأفاد، ورحل، ودرَّس بالمدرسة التنكزية[1] بالقدس الشريف بعد العلائي.

صنف: «المصباح والسلاح»، و«فضائل القدس»، وصار رحلة.
توفي بمصر في ربيع الآخر **سنة خمس وستين وسبع مئة**.

* * *

٥٣ ـ شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ، الشافعيُّ المصريُّ، المعروفُ بابن النقيب: وكان إماماً عالماً، طارحاً للتكلف، له مصنفات حسنة، ولم يكتب قط على فتوى تورُّعاً، ولم يلِ تدريساً، ولد سنة اثنتين وسبع مئة، وتوفي في رمضان، **سنة تسع وستين وسبع مئة**.

* * *

٥٤ ـ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي، الأنصاريُّ الخزرجيُّ السبكيُّ: مولده سنة سبعَ[2] عشرةَ وسبعِ مئة، درَّس وأفتى، وساد صغيراً، وأسرع به الشيب، درَّس في تربة الشافعي، وغيرِها، ووليَ إفتاء دار العدل، وولي قضاء الشام عن أخيه، ثم ولي قضاء العسكر، وحدَّث وصنّف مصنفات مفيدة، وكان كثيرَ الإحسان للنّاس.

---

(١) في الأصل: «النكرية».

(٢) في «طبقات الشافعية» (٣/ ٧٨): «تسع».

ومن قول أبيه: درس أحمد خيرٌ من درس علي.

وقال فيه والده وقد حضر درسه:

دُرُوسُ أَحْمَدَ خَيْرٌ مِنْ دُرُوسِ عَلَيّ
وَذَاكَ عِنْدَ عَلِيٍّ غَايَةُ الأَمَلِ

وقال أبوه في دروسه:

دُرُوسُ أَحْمَدَ خَيْرٌ مِنْ دُرُوسِ أَبِهْ
وَذَاكَ عِنْدَ أَبِيهِ مُنْتَهَى أَرَبِهْ

وكان كثير الحج والمجاورة، توفي بمكة مجاوراً في رجب، سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة عن ست وخمسين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٥٥ ـ الأمير ألجاي اليوسفيُّ الناصريُّ مملوكُ الناصر محمدِ بن قلاوون: تقدم حتى صار مقدم ألفٍ بمصر، وحاجباً كبيراً، ثم عزل، ثم استقرّ أميرَ سلاح، ثم تزوج أم السلطان، وصار يتكلم في جميع الأمور، ثم استقر أتابكَ العساكر، فلما ماتت زوجتُهُ، انحطت منزلتُه عند السلطان، ووقع بينهما على التركة، حتى همَّ السلطان بقبضه، فانهزم، فتبعوه، فألقى نفسه في نيل مصر، فغرق، وأُخرج، وحمل يوم تاسوعاء، ودفن بتربته تحت القلعة.

وكان شكلاً حسناً، فارس الخيل، يسلِّم على من يمر عليه، لكنه

كان قليل العقل، يأكل البرطيل، توفي في اليـوم المذكور، **سنة خمس وسبعين وسبع مئة**.

* * *

٥٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم بدر الدين بن أحمد بن محمد بن عيسى المخزوميُّ المصريُّ الشافعيُّ، المعروف بابن الخشاب: أفتى وأفاد، وحدَّث ودرَّس، وولي نيابة الحكم بالقاهرة، ثم ولي قضاء حلب، وولي قضاء المدينـة النبويـة وخطابتها، وكان ورعـاً عفيفاً، بصيـراً بالأحكام الشرعيّة.

توفي في ربيع الآخر، **سنة خمس وسبعين وسبع مئة**.

* * *

٥٧ ـ أبو العباس أحمـد بن يحيى بن أبي بكـر التلمسانيُّ، نزيلُ القاهـرة، الشهير بابن أبي حجلة: كان إمامـاً فاضلاً، عارفـاً بالأدب، ماهراً في كلام العرب، له مصنفات، منها: «دفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة»، ومنها: «السُّكردان» صنفه للملك الناصر حسن، ومنها: مقامات ضاهى فيها مقامات الحريري، ومن نظمه:

يَـــا عَـــاذِلي لاَ تَلُمْنِـــي
فِـــي حُـــبِّ هَـــذَا القِبْطِـــي

وَاقْطَـــعْ بِوَصْـــلٍ بَيْنَنَـــا
بِـــاللهِ رَأْسِ القِـــطِّ

ومن نوادره: أنه لقَّب ولدَه: جناح الدين.

توفي بالقاهرة في ذي الحجة، **سنة ست وسبعين وسبع مئة** عن إحدى وخمسين سنة.

* * *

٥٨ ـ تقي الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن الحسن، القرقشنديُّ المصريُّ الشافعيُّ: فقيه القدس.

مولده سنة اثنتين وسبع مئة، وتوفي بالقدس في جمادى الآخرة، **سنة ثمان وسبعين وسبع مئة**.

* * *

٥٩ ـ عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن جماعة، الكنانيُّ الشافعيُّ: خطيب القدس.

مولده في ثالث شوال، سنة عشر وسبع مئة، ناب في القضاء بمصر عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة، مضافاً لنظر الأوقاف، ثم توجه إلى بلده، وولي خطابة القدس لما ولي ابن عمه برهانُ الدين قضاء القاهرة، وكان يدرِّس عن ابن عمه في الصلاحية نيابة.

توفي في ربيع الأول، **سنة ست وسبعين وسبع مئة** ـ رحمه الله ـ.

* * *

٦٠ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين علي بن محيي الدين يحيى بن فضل الله، العدويُّ العمريُّ: ولي كاتب السر بدمشق،

توفي في المحرم، سنة سبع وسبعين وسبع مئة بدمشق عن نيف وثلاثين سنة.

* * *

٦١ ـ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عسكر، الطائيُّ المصريُّ الشافعيُّ، المشهور بالقيراطي: سمع «الصحيح» من جماعة، وكان شعره غاية في الحسن، ومنه قوله:

لَمَّا رَأَيْتُ سُلُوِّي عَزَّ مَطْلَبُهُ
نَعَمْ وَعَقْدُ اصْطِبَارِي عَادَ مَحْلُولاَ
دَخَلْتُ بِالرَّغْمِ مِنِّي تَحْتَ طَاعَتِكُمْ
لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاَ

ولد في صفر، سنة ستٍّ وعشرين وسبع مئة، وتوفي بمكة في ربيع الآخر، سنة إحدى وثمانين وسبع مئة، ودفن بالمَعْلى.

* * *

٦٢ ـ تقي الدين بن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام الحرَّانيُّ الدمشقيُّ شيخ الإسلام، أستاذ الحفاظ، ولد بحرَّان يوم الاثنين، عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستٍّ مئة، ثم برع في التفسير، والفقه وأصوله، والعربية، وترجمه بعضهم بالاجتهاد، وبلوغِ درجته.

ووقع له وقائع مشهورة، وامتُحن غيرَ مرة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

توفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئـة. وله كتاب «الفرقان»، كَتَب عليه شيخُ الإسلام حسنةُ الأيام الحافـظُ قاضي القضاة شهابُ الدين بنُ حجر الشافعي:

لِلّــــهِ دَرُّكَ مِـــنْ إِمَـــامٍ مُفْـــرَدٍ
لَــمْ يَثْنِــهِ عَــنْ قَــوْلِ حَــقٍّ ثَــانِ
نَظَـرَ الهُـدَى وَالزَّيْـغَ مُـشْتَبِهَيْنِ فـي
نَظَــرِ الجَهُــولِ فَجَــاءَ بِالفُرْقَــانِ

* * *

٦٣ ـ شهاب الدين أحمـد بن حمـدان بن أحمد بن عبد الواحـد الأذرعيُّ: صاحب التصانيف المشهورة، شيخ البلاد الشماليـة، ولد سنة تسع وسبع مئة بأذرعات، وتوفي في جمادى الآخرة، **سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة**، وله نظم حسن، منه:

كَــــمْ ذَا بِرَأْيِــــكَ تَــــسْتَمِدُّ
مَــا هَكَــــذَا الـــرَّأْيُ الأَسَـــدُّ
أَأَمِنْـــــتَ جَبَّـــــارَ الـــــسَّمَا
ءِ وَمَـــنْ لَـــهُ الـــبَطْشُ الأَشَـــدُّ
فَــــاغْنَمْ ذَمَــــاءً فِــــي الحَيَــــا
ةِ فَمَــــا مَــــضَى لاَ يُــــسْتَرَدُّ

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّهُ
مَا مِنْ مَقَامِ العَرْضِ بُدُّ

عَرْضٌ بِهِ يَقْوَى الضَّعِيـ
ـفُ وَيَضْعُفُ الخَصْمُ الأَلَدُّ

وَاخَجْلَتَا مِنْ مَوْقِفٍ
فِيهِ خَطَايَانَا تُعَدُّ

مَا لِي هُنَاكَ وَسِيلَةٌ
أَرْجُو بِهَا أَزْرِي يُشَدُّ

إِلاَّ شَهَادَةُ أَنَّهُ
سُبْحَانَهُ فِي الكَوْنِ فَرْدُ

وَشَفَاعَةُ الهَادِي البَشِيرِ
وَمَنْ لَهُ الجَاهُ الأَمَدُّ

صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا
مَا سَبَّحَ الرَّحْمَنَ عَبْدُ

وكان محباً للغرباء، مُحسناً إليهم، وكان كثير التحرِّي في أموره ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٦٤ ـ أحمد بن نجم الدين أحمد بن شهاب الدين أحمد بن فضل الله، العمريُّ: اشتغل في العلم، وعني بالأدب، ونظم الشعر، وولي كتابة سر طرابلس، ثم دمشق، وباشرها دون الشهر، ثم عزل.

وبقي خاملاً إلى أن توفي في ربيع الآخر، **سنة أربع وثمانين وسبع مئة**، وكان عنده شهامة وإقدام.

* * *

٦٥ ـ نجم الدين أبو العباس أحمد بن عثمان بن عيسى بن حسن، الياسوفيُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ، المعروف بابن الجابي: ولد سنة ست وثلاثين وسبع مئة، سمع الحديث وبرع، وكان ينسب إلى جَدِّهِ في بحثه[1]، وكان كثير الإحسان إلى الطلبة، ودرَّس في آخره عمره.

توفي في جمادى الأولى، **سنة سبع وثمانين وسبع مئة**، ودفن بمقبرة الصوفية بالقاهرة.

* * *

٦٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم قاضي القضاة، وخطيب الخطباء برهانُ الدين بن الخطيب عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، الكِنانيُّ الحَمَوِيُّ الأصل، المصريُّ المولد، المقدسيُّ المنشأ:

---

(١) في الأصل: «حِدَّةٍ في بحثه»، والتصويب من «شذرات الذهب» (٦/ ٢٩٦).

ولد في ربيع الآخر، سنة خمس وعشرين وسبع مئـة، وتوفي والده سنة تسـع وثلاثين، تولى عوضَـهُ خطابـة القـدس، وطلبَ الحديـثَ، واستمر في التحصيل، وهو في ازدياد من الفضائل، ودرَّس بالصلاحية بعد موت العلائي، وولي قضاء الديار المصرية في جمادى الآخـرة، سنة ثلاث وسبعين وسبع مئـة، ودرَّس بقبة الشافعي، ثم انفصل في شعبان سنة تسع وسبعين، وعاد إلى القدس، ثم أعيـد في صفـر، سنة إحدى وثمانين، وعـزل في صفـر سنة أربـع وثمانين، وعاد إلى القـدس على خطابته، وتدريس الصلاحية، ثم ولي قضاء دمشق والخطابة، وغير ذلك في أواخر سنة خمس وثمانين، وكان رئيساً عالي القدر، وله هيبة عظيمة، توفي شبه الفجأة في شعبان، **سنة تسعين وسبع مئـة**، ودفن بتربة جده لأمه بالمِزَّة.

* * *

٦٧ ـ أبـو العباس شهاب الدين أحمـد بن محمـد بن نجم الدين عمر ابن قاضي شُهبة، الأسديُّ، الشافعيُّ:

مولده في رجـب، سنة سبع وثلاثين وسبع مئـة، اشتغل بالعلم، وأذن له والده بالإفتاء، ودرَّس وأعاد، وكان بارعاً في الفرائض، وكان كريم النفس، يتعانى الحشمة، وينصف الناس، توفي في ذي القعـدة، **سنة تسعين وسبع مئة**، ودفن عند والده بمقبرة باب الصغير.

* * *

٦٨ ـ **أبو إسحاق إبراهيم بن تقي الدين إسماعيل، القرقشنديُّ الشافعيُّ**: كان من العلماء، ومن ترجمته: أنه كان يحفظ فَرَدَةَ الكتب، توفي سنة تسعين وسبع مئة.

* * *

٦٩ ـ **شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عيسى بن الرصاص، النحويُّ شارحُ الألفية**: كان إماماً كبيراً في فقه أبي حنيفة، وغيرِ ذلك، وعليه انتفع الشيخ شمس الدين الديري، توفي بدمشق، سنة تسعين وسبع مئة.

* * *

٧٠ ـ **أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الدنَيسري[1]، المصريُّ، المعروف بابن العطار**: ولد سنة ست وأربعين وسبع مئة، واشتغل بمذهب الشافعي، وبالأدب، وله:

هَيَّأَ البلاَّنُ مُوسَى ... خَلْوَةً تُحْيِي النُّفُوسَا
قُلْتُ مَا أَصْنَعُ فِيهَا ... قَالَ: تُسْتَعْمَلُ مُوسَى

قيل: اجتمع به عز الدين القدسي، وروى عنه.

توفي في ربيع الآخر، سنة أربع وتسعين وسبع مئة.

* * *

---

(١) في الأصل: «الدانيسري».

٧١ ـ الأمير أينال عبدالله اليوسفي اليلبغاوي سيفُ الدين أتابكُ العساكر بالديار المصرية الجركسيُّ: ولي عدة وظائف، منها: أمير طبلخانة، ثم أعطي تقدمه، ثم بعد شهر استقر أميرَ سلاح، ثم في شعبان سنة إحدى وثمانين وسبع مئة ركب، وأخذ القلعة، وكان في جماعة يسيرة، وقاتل، وأظهر شجاعة عظيمة، ثم قُبض عليه، وسُجن، ثم أُطلق، وولي نيابةَ طرابلس، ثم نيابةَ حلب، ثم استقر أتابكاً بدمشق، ثم استقر أتابكَ العساكر بمصر.

وكان شكلاً حسناً، تامَّ القامة، مليحَ الوجه، وشَابَ وأنقى سريعاً، وكان كثير الأدب، مع جبروت وظلم.

توفي في جمادى الآخرة، **سنة أربع وتسعين وسبع مئة**.

وبُني له بعد موته تربة خارج باب زويلة، ونقل إليها.

* * *

٧٢ ـ الشيخ الإمام القدوة الزاهد العابد الخاشع الناسك أبو بكر ابن علي بن عبدالله بن محمد، الشيبانيُّ الموصليُّ الشافعيُّ: الزاهدُ العالم المفيد، فقيه مشايخ الصوفية، جُنيد العصر، قدم من الموصل وهو شابّ، وعلا ذكره، وصار يتردد إليه نواب الشام ويمتثلون أوامره، وحجَّ غيرَ مرة، وكان من كبار الأولياء، جمع علمَي الشريعة والحقيقة، ورُزق العلم والعمل، وقد زاره السلطان برقوق بمنزله بالأمينية بالقدس الشريف.

توفي بالقدس الشريف في شوال، **سنة سبع وتسعين وسبع مئة**.

* * *

٧٣ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائيّ: ولد في ثلاث وعشرين وسبع مئة. وبَكَّر به والدُه إلى السماع، وهو آخرُ من حدَّث [عن] أبي حيان بالبلاد الشامية.

توفي بالقدس الشريف في ربيع الآخر، **سنة ثلاث وثمان مئة**.

* * *

٧٤ ـ الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن الناصح، المصريُّ الصالح المحدِّث: كان من المشهورين بالصلاح.

وحكى خليفة المالكي: أنه شاهده وقد خرج من التربة إلى الأقصى، ورأى الأرض تُطوى تحته.

ولد سنة ثلاثين وسبع مئة، وتوفي في رمضان، **سنة أربع وثمان مئة**.

* * *

٧٥ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن المهندس أبوه المقدسيُّ الحنبليُّ، رحل وكتب، وسمع على الحافظ.

مولده في سنة أربع وأربعين وسبع مئة، توفي بالقدس الشريف في

رمضان، سنة أربع، وقيل: **ثلاث وثمان مئـة**، وقد شاخ، ودفن بتربته بباب القطانين، عن يمين الخارج من الخوخـة، ولم تُبَع تركتـهُ إلا في سنة تسع، باعها شمس الدين بن حسان وَصِيُّه.

* * *

٧٦ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر، الصفديُّ الباعونيُّ الشافعيُّ: ولد سنة إحدى[1] وخمسين وسبع مئة.

اشتغل وفَضُل وسافـر إلى مصر، وولاَّه الظاهـر خطابـة الجامـع الأمـوي سنة اثنتين وتسعين، وقدم دمشق في ذي القعـدة منها، ثم في ذي الحجـة سنة ثلاث وتسعين ولاه القضاء مع الخطابـة، وباشر بعفَّـة وشهامة، وانضبطت الأوقاف، غير أنـه لم يكن فيـه بشاشة، فعُزل في جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وسبع مئـة، وكُشف عليه، وأُهين، وحصل في حقـه تعصب، ثم ولي خطابـة القدس، ثم أعيـد إلى قضاء دمشق في صفر، سنة اثنتي عشرة وثمان مئة، وكان تولى قضاء مصر في أيام الحصار، فلما انقضى، عزل.

توفي في المحرم **سنة ست عشرة وثمان مئة**، ودفن بالسفح بزاوية الشيخ داود.

* * *

---

(١) في «شذرات الذهب» (٧/ ١١٨): «اثنتين».

٧٧ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن حِجِّي ابن موسى بن أحمد بن سعد الحسبانيُّ الأصل، الدمشقيُّ:

ولد في المحرم، سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، وكان إماماً عالماً، فقيه الشام، وشيخ الشافعية، باشر الخطابة ومشيخة الشيوخ، ونظر الحرمين، مستقلاً تارة، ومشاركاً أخرى، وسئل على قضاء الشام، فأبى، وكان حسن الشكل، لطيف الذات، وله حظ من صيام وصلاة، وكان يحبه الخاص والعام.

توفي في المحرم، **سنة ست عشرة وثمان مئة**، ودفن بالقرب من والده وابن الصلاح بدمشق.

* * *

٧٨ ـ أحمد بن علي بن النقيب، المقدسيُّ الحنفيُّ، الشيخ العالم.

ولد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، وكان أحد علماء القدس، مشهوراً بالعلم والصلاح، توفي في المحرم، أو صفر، **سنة ستَّ عشرةَ وثمان مئة**.

* * *

٧٩ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علم الدين أبي الربيع سليمان، العمريُّ المالكيُّ، المشهورُ بابن عِوجان: كان من أهل العلم والدين، ولي قضاء المالكية بالقدس الشريف، وطالت مدته، وكان حسن السيرة في ولايته، والناسُ راضون منه، وكانت توليته في سنة

خمس وثمان مئة، وتوفي في سنة ثمان وثلاثين وثمان مئة، ودفن بماملا ظاهر القدس من جهة الغرب ـ رحمه الله ـ.

* * *

٨٠ ـ [. . . .] **الخاصكي**: مولده أيام ولاية والده دمشق حوالي سنة خمس وثمان مئة.

وأمه أم ولد، قدم مع والده إلى بلاد الشام، وحمل الغاشيةَ على رأس والده يومَ دخوله إلى دمشق، فعاجلته المنية في شهر رجب، سنة ثلاث وعشرين وثمان مئة، ودفن بالتربة التي أنشأها أبوه بمدرسته المؤيدية، ويشاع أنه مات مسموماً برأي والده، وكان حسن الشكل، كريماً شجاعاً.

* * *

٨١ ـ الحافظ شهاب الدين قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود الشهير بابن حجر، العسقلانيُّ الأصل، الكنانيُّ النسب:

ولد في ثاني عشري شعبان، سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة، وكان أبوه رئيساً من أعيان تجار الكارم، اشتغل بالعلم، وتولَّع بالنظم، وما زال حتى برع فيه، ثم اشتغل بالحديث، فاتسعت فيه معارفه، فخرَّج التاريخ، وعَيَّن الأحاديث، ومَيَّز الصحيحَ من الضعيف، وصنَّف التصانيف

الفائقة، ورحل إلى الأقاليم الشامية، وسمع الحديث بالقدس، وغزة، والرملة، ونابلس، وسافر [إلى] اليمن، وحلب، وهو يُملي ويحدِّث، وصنَّف «فتح الباري بشرح البخـاري» عشرين مجلداً، وهـو من أعظم مصنفاته، وصنف غيره في علوم شتى، ونشر العلوم من الحديث والفقه وغيرهما، بالقاهرة وغيرها.

وتولى قضاء الديار المصرية في أوائل دولـة الأشرف برسباي في المحرم، سنة سبع وعشرين وثمان مئة، وباشر مباشرة حسنة، واستمر إلى أيام الظاهر جقمق.

وتوفي إلى رحمة الله في ثامن عشري الحجة، **سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة** ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

ومن شعره:

يَـــا رَبِّ أَعْـــضَاءُ الـــسُّجُودِ عَتَقْتَهَـــا
مِـــنْ فَـــضْلِكَ الـــوَافِي وَأَنْـــتَ الـــوَاقِي

وَالعِتْـــقُ يَـــسْرِي بِـــالغِنَى يَـــاذَا الغِنَـــى
فَـــامْنُنْ عَلَـــى الفَـــانِي بِعِتْـــقِ البَـــاقِي

وسئل شيخ الإسلام ابنُ حجر عن الكَرْد ما هو نظماً، فقال:

يَا شَيْخَ الاسْـلاَمِ يَـا نِعْـمَ الإِمَـامُ الفَـرْدُ
سَرَدْتُ كُـلَّ عُلُـومِ النَّـاسِ أَوْفَـى سَـرْدِ

الكَرْدُ مَا هُوْ وَمَا شَيْءٌ يُسَمَّى الكَرْدُ
بِـاللهِ بـالله خَبِّـرْنَا وريـح الطَّـرد

فأجابه:

الكَـرْدُ بِـالْفَتحِ وَالإِسْـكَانِ شِـبْهُ الطَّـرْد
وَشِـبْهَ مَعْنَاهَـا قَـالُوا: رَاحَ يَكْـرُدُ كَـرْد
وَالعِتْقُ عِنْدَ العُـرْبِ أَيْـضاً يُسَمَّى الكَـرْد
خُذْ مسألَةَ من صِحَاح الجَـوْهَرِي يَـا فَـرْد

* * *

٨٢ ـ شهاب الدين أبـو العباس أحمد ابن الفقيه أمين الدين حسين ابن حسـن بن علي بن يوسـف بن علي بن أرسلان الرمليُّ الشـافعيُّ: القطبُ العارف بالله، ذو الكرامات الظاهرة، رحل من الرملـة إلى القدس الشريف، وأقام بالزاوية الختنية، قبلة المسجد الأقصى، وانتفع به خلق كثير، وما اشتغل عليه أحد ولازمه إلا وآثر نفعه، فكان يكني جماعتـه بكنىً ينتخبها لهم، وصـارت عَلَماً عليهم؛ كأبي طاهـر، وأبي مدين، وأبي العزم، وأبي طلحة، وغير ذلك.

وألف مؤلفات في الفقه والنحو، وغير ذلك، منها: «صفوة الزبَد»، ومختصر «الأذكـار»، و«شرح سنن أبي داود»، وغيـر ذلك من الكتـب المفيدة.

وكان متواضعاً زاهداً، له قدم عالٍ في التهجـد والعبادة، والأمـر

بالمعروف والنهي عن المنكر.

واتفق من أمره: أن كاشِفَ الرملة ضرب شخصاً من جماعته، فاستغاث بالشيخ، فقال له: إن كان لشيخك برهانٌ، يظهره في هذه النخلة، وكانت نخلة قائمة على ساقها أمامه، ففي الحال وقعت إلى الأرض، فترجَّل، وأتى إليه، ووقع على قدميه.

وكان يخاطب الشيخَ نجمَ الدين بن جماعة بـ: يا شيخ الصلاحية! وهو صغير، فوليها.

وتوفي بالقدس الشريف، بالزاوية المذكورة في رابع عشر، وقيل ثاني عشري شعبان، **سنة أربع وأربعين وثمان مئة**، عن أربع وسبعين سنة، ودفن إلى جانب أبي عبدالله القرشي، بتربة ماملا، ظاهر القدس الشريف، من جهة الغرب، وقبره بها معروف يُقصد ويُزار.

ويقال: إن من دعا الله تعالى بين قبره وقبر القرشي بأمر يريده، استجاب الله له.

ولما مَنَّ الله عليه بالسكن بالزاوية الختنية، والإقامة بالقدس الشريف أنشد:

حَبَانِي إِلَهِي بِالتَصَاقِي لِقِبْلَةٍ
بِمَسْجِدِهِ الأَقْصَى المُبَارَكِ حَوْلَهُ
فَحَمْداً وَشُكْراً دَائِمَيْنِ وَإِنَّنِي
أَوَدُّ لإِخْوَانِي المُحِبِينَ مِثْلَهُ

فقدر أن شخصاً من جماعته يقال له: الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن عبد الرحمن الأنصاري الخليلي الشافعي، رحل من بلد الخليل ـ عليه السلام ـ، واستوطن ببيت المقدس فمّن الله عليه بالسّكن بالزاوية المذكورة، وقرر فيها، [وسكن بها في سنة سبع وستين وثمان مئة فأنشده]:

كَذَاكَ إِلَهِي قَدْ حَبَانِي بِمَا حَبَا
بِهِ الشَّيْخَ أُسْتَاذِي لَقَدْ نَالَ سُؤْلَهُ

فَحَمْداً وَشُكْراً يَا إِلَهِي وَأَنَّهُ
دَلِيلٌ عَلَى أَنِّي مُحِبٌّ أَخٌ لَهُ

وتوفي الشيخ برهان الدين المذكورُ ببلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ في شهور سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة، ولعله في ربيع الآخر.

* * *

٨٣ ـ الحافظ العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين المكنى بأبي العباس أحمد بن عبدالله، الكنانيُّ الشافعيُّ: الواعظ الحافظ، نزيلُ القدس الشريف، أحد جماعة الشيخ شهاب الدين بن أرسلان، وهو الذي كناه بأبي العباس، وكان يعظ الناس بباب الناظر بالمسجد الأقصى الشريف، واشتهر أمره حتى قيل عنه: ابن الجوزي في زمانه، توفي بالقاهرة المحروسة، في شهور سنة سبعين وثمان مئة.

* * *

٨٤ ـ قاضي القضاة العلامة الورع الزاهد شهاب الدين أبو الأسباط أحمد الرمليُّ الشافعيُّ: العالم، أحدُ جماعة الشيخ شهاب الدين بن أرسلان، وهو الذي كناه بأبي الأسباط، وتولى قضاء الرملة، فأدركته المنية بها.

توفي إلى رحمة الله تعالى في شهور **سنة سبع وسبعين وثمان مئة**.

* * *

٨٥ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر العُمَيريُّ الشافعيُّ الواعظُ: كان فقيهاً حافظاً، واشتهر أمره في المملكة، وعظُم أمره عند الناس، وكان قُرر في مشيخة المدرسة المنسوبة لمولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي، التي هدمت، وأنشئ مكانها المدرسة المشهورة بالمسجد الأقصى الشريف، بجوار باب السلسلة، ولما عمرت المدرسة المذكورة على ما هي عليه الآن، وانتهت عمارتها، أدركته المنية، فتوفي إلى رحمة الله تعالى في شهر ربيع الأول، **سنة تسعين وثمان مئة**، ودفن بماملا، ظاهر القدس الشريف، واستقر في مشيخة المدرسة المذكورة شيخُ الإسلام كمالُ الدين بن أبي شريف ـ فسح الله في مدته ـ.

* * *

٨٦ ـ [. . . .] ابن الشيخ شمس الدين محمد، القرقشنديُّ الشافعيُّ المقدسيُّ: شيخ الإسلام، عالم القدس الشريف، كان من أهل العلم والدين، متواضعاً سخياً، وانتهت إليه الرئاسة في بيت المقدس،

وعظم أمره عند أكابر المملكة، توفي إلى رحمة الله تعالى في شهر جمادى الآخرة، **سنة سبع وستين وثمان مئة**، ودفن بالإيوان الكائن بداخل الزاوية القلندرية بتربة ماملا، ظاهر القدس الشريف ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٨٧ ـ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن شيخ الإسلام جمال الدين عبدالله بن جماعة، الكنانيُّ الشافعيُّ: خطيب المسجد الأقصى الشريف، هو ووالده، وشيخ المدرسة الصلاحية والده، وولي القاضي برهان الدين المشار [إليه] قضاءَ الشافعية بالقدس الشريف بعد وفاة القاضي علاء الدين بن السائح الرملي في سنة سبع وخمسين وثمان مئة، وعلت كلمتُه، ونفذ أمره ببيت المقدس، وكان موصوفاً بالسخاء والشهامة.

توفي والده الشيخ جمال الدين بن جماعة في سنة خمس وستين وثمان مئة، فاستقر ولد القاضي برهان الدين، وهو شيخ الإسلام نجمُ الدين أبو البقاء محمد بن جماعة في مشيخة الصلاحية عوضاً عن جده في حياة والده المشار إليه.

وتوفي القاضي برهان الدين بن جماعة في ثالث عشرين صفر[1]، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، ودفن بتربته المعروفة عند ضريح الشيخ

---

(١) في «الأنس الجليل» (٢/ ٣٣٤): «ثاني عشر صفر».

شهاب الدين بن أرسلان بماملا، ظاهر القدس الشريف، واستقر ولده الشيخ نجم الدين المشار إليه في وظيفة القضاء بعد وفاته مضافاً إلى مشيخة الصلاحية، وباشرها في شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة.

* * *

٨٨ ـ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن أقضى القضاة أكمل الدين بن مفلح، الحنبليُّ: كان من أهل العلم والدين والعفة، ولي قضاء قضاة الحنابلة بالشام المحروس نيفاً وثلاثين سنة، بعد مباشرته نيابة القضاء بها مدة طويلة، وباشر في ولايته بعفة، وعظُم أمره، وعلت كلمته عند السلطان فمَنْ دونه، وعُين لقضاء الديار المصرية بعد وفاة قاضي القضاة عز الدين الكناني الحنبلي، في شهور سنة ست وسبعين وثمان مئة، فلم يقدر له بالتوجه؛ لمرض حصل له، وصنف «شرح المقنع» في الفقه، و«طبقات الأصحاب».

ومحاسنه كثيرة ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

توفي إلى رحمة الله تعالى بدمشق، في شهر شعبان، **سنة أربع وثمانين وثمان مئة**.

واستقر ولده قاضي القضاة نجم الدين عمر في وظيفة القضاء بعده في شهر شوال، سنة أربع وثمانين وثمان مئة.

* * *

٨٩ ـ قاضي قضـاة دمشق شهاب الدين أحمـد المِرِينيُّ المغربيُّ المالكيُّ: ولي قضاء دمشق استقلالاً أكثر من عشرين سنة، بعد مباشرته نيابة الحكم مدة، وكان عفيفاً في مباشرتـه، وسيرته حسنة، وكان السلطان يصفـه بالعفة، ويعظِّمه، وهـو من رفقـة قاضي القضاة برهان الدين بن مفلح الحنبلي.

توفي في شهر ذي الحجـة قبل عيد الأضحى، سنة ست وتسعين وثمان مئة.

* * *

٩٠ ـ تقي الدين أبو بكر بن زيد الجرَّاعي، الحنبليُّ الفقيهُ: باشر نيابة القضاء بدمشق، وكان من أهل الفضل والدين، وهـو رفيق الشيخ علاء الدين المـرداوي الحنبلي في الاشتغـال على الشيخ تقي الدين بن قُندس، وانتقل إلى رحمة الله تعالى بدمشق، في شهور سنة ثلاث وثمانين وثمان مئة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٩١ ـ قاضي القضاة عز الدين أبو البركات أحمد ابن قاضي القضاة برهـان الدين إبراهيم ابن قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله، الكِنانيُّ العسقلانيُّ الحنبليُّ، شيخُ الإسلام:

باشر نيابة القضاء بالديار المصريـة في أيام قاضي القضـاة محبّ الدين سالم المقـدسي الحنبلي وفي أيام قاضي القضـاة عـلاء الدين بن

معلى الحنبلي وفي أيام قاضي القضاة محب الدين بن نصر الله البغدادي، ثم استقر في وظيفة قضاء القضاة بالديار المصرية، عوضاً عن قاضي القضاة بدر الدين البغدادي الحنبلي بعد وفاته في أوائل دولة الأشرف أينال، في جمادى الأولى، **سنة سبع وخمسين وثمان مئة**.

وكان ورعاً زاهداً، وباشر بعفَّة، وعلت كلمته، وعظُم أمره عند السلطان وأركان الدولة والرعية، وكانت له هيبة ووقار.

توفي إلى رحمة الله تعالى في مستهل جمادى الآخرة، **سنة ست وسبعين وثمان مئة**، وعين السلطان [على] القضاء [في] الديار المصرية قاضيَ القضاة برهانَ الدين بنَ مفلح الحنبليَّ بدمشق، فلم يقدر له بالحضور، واستمر منصبُ الحنابلة شاغراً نحو خمسة أشهر، ثم استقر فيه قاضي القضاة بدر الدين محمد السعدي الحنبلي، يوم خَتْم البخاري بالقلعة المنصورة، في يوم الأحد، ثامن عشري رمضان المعظَّم سنة ست وسبعين وثمان مئة، وسلك في مباشرته طريقة شيخه قاضي القضاة عز الدين؛ من العفة، والتوقف في الأمور، وعدم التجاوز في ثبوت الإجارات الطوال، وعدم بيع الأوقاف، مقتدياً بشيخه المشار إليه ـ كما يأتي في ترجمته ـ.

* * *

٩٢ ـ شهاب الدين أحمد بن حسين، الحسنيُّ المالكيُّ الأرميونيُّ، خليفةُ الحكم العزيز بالديار المصرية. كان من أهل العلم والتواضع،

وعليه مدار الفتوى بالديار المصرية، باشر نيابة الحكم بها نحو ثلاث وعشرين سنة، وكان له هيبة في الحكم، مع تواضعه، ولين جانبه.

توفي رحمه الله في يوم الجمعة، رابع عشري شهر جمادى الأولى، سنة تسع وثمانين وثمان مئة، وصُلي عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع الأزهر ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٩٣ ـ زين الدين أبو بكر بن مُزْهر الأنصاريُّ الشافعيُّ، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية: كان من أهل العلم، والذين باشروا الوظائفَ السَّنية؛ كنظر الإسطبلات، ونظر الجوالي، ووكالة بيت المال، ونظر الجيوش بالمنصورة بالديار المصرية.

ثم استقر في وظيفة كتابة السر في دولة الظاهر خشقدم، في أوائل سنة سبع وستين وثمان مئة، واستمر إلى حين وفاة الظاهر خشقدم، وباشرها في دولة الظاهر إيلباي، والظاهر تمربغا، إلى أن استقر الملك الأشرف قايتباي في السلطنة، واستمر به، وعلت كلمته في المملكة، وعظُمت هيبته، وانتهت إليه رئاسة المملكة، وصار عزيزَ مصر.

وكان ـ رحمه الله ـ عنده التواضع لأهل العلم، والتّأدّب في حقّ الفقراء، وكان طلبة العلم يحضرون مجلسه، ويتذاكرون بين يديه، وكان فيه احتمال، وعدم مفاجأة بالكلام السّيئ، وكان له صدقات وإحسان، وعمَّر مدرسة بالمدينة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسّلام ـ

ومدرسة بالقدس الشريف، وجامعاً تجاه منزله بالقاهرة.

وكان حصل في شهور سنة ست وثمانين وثمان مئة واقعة بالقاهرة، أوجبت أن السلطان عزله هو وقاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وقاضي القضاة برهان الدين اللقَّاني المالكي في مجلس واحد، بحضورهم، في يوم الأحد، مستهل شهر رجب من السنة المذكورة.

ثم أعيد القاضي زين الدين بن مزهر إلى وظيفته في يوم الاثنين، تاسع الشهر المذكور، وتولى في ذلك اليوم قاضي القضاة محيي الدين عبد القادر بن تقي المالكي قضاء الديار المصرية عوضاً عن اللقاني، ونزلا من القلعة معاً، وكان يوماً مشهوداً، ثم استمر إلى سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة، فتوجه من القاهرة صحبة الأمير أقبردي الدوادار الكبير لجهة نابلس؛ لتجهيز الرجال للتجريدة لقتال السلطان أبي يزيد ابن عثمان، فحضر إلى الرملة صحبة الأمير دوادار في يوم السبت، حادي عشري جمادى الأولى من السنة المذكورة، وتوجه لنابلس، فحصل له توعك، فلما قضى الأمر الذي هو بصدده، توجه إلى القاهرة، ودخلها في أواخر رجب، وهو في التوعُّك، واستمر إلى أن توفي في صبيحة يوم الخميس، سادس شهر رمضان، **سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة**، وصلَّى عليه السلطان، ودفن من يومه، وكان يوماً مشهوداً، تأسف الناس عليه، وانزعج أهل المملكة لموته، خصوصاً طائفة الفقهاء وأرباب المناصب؛ لشفقته عليهم، وتبصره وتأنيه في الأمور ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

ثم استقر ولده المقر الأشرف البدري محمد بن مُزهر في كتابة السر

الشريف عوضاً عنـه، وأُلبس التشريف الشريف من الحضرة الشريفـة، وركب معـه أركان الدولـة والأكابـر في يوم الخميس، ثالث عشر شهر رمضان، سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة.

* * *

٩٤ ـ القاضي ولي الدين أبو الفضل أحمد بن أحمد بن عبد الخالق، الشافعيُّ، شيخُ الإسلام: باشر نيابة الحكم بالديار المصرية، ومشيخة الخانقاه الجماليـة، وكان من أخصَّاء القاضي جمال الدين يوسف ناظرِ الخاصِّ الشريف.

ثم حج إلى بيت الله الحرام في سنة سبعين وثمان مئة في أيام الظاهر خشقدم، فأُشيعت وفاته بدرب الحجـاز الشريف، وأُخرجـت وظائفـه بحكم وفاته، واستقر القاضي بدر الدين محمدُ ابن القاضي زين الدين بن مزهر الذي صار كاتب السر الشريف في مشيخة الجمالية، وأُلبس التشريف الشريف من حضرة السلطان، ونزل الناس في خدمته، وهو يومئذ صغير دون البلوغ، ثم لمـا حضـر القاضي ولي الدين الأسيوطي من الحجـاز الشريف، في سنة إحدى وسبعين وثمان مئـة، أعيدت إليه وظائفه، ثم اقتضى الحال استقراره في وظيفة قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، فوليها في شهر جمادى الآخرة، سنة إحدى وسبعين وثمان مئة، واستمر بها إلى أيام الملك الأشرف قايتباي، فوقعت حادثة أوجبت أن السلطان عزله هو وقاضي القضاة بدر الدين السّعدي الحنبلي، في يوم الخميس، سابع عشري ربيع الآخر، سنة خمس وثمانين وثمان مئة، ثم أعادهما في

يوم الأحد، مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم عزل قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي في مستهل رجب سنة ست وثمانين وثمان مئة ـ كما تقدم في ترجمة القاضي زين الدين بن مزهر ـ، واستمر إلى أن توفي في أوائل **سنة إحدى وتسعين وثمان مئة**.

وكان له معرفة بصناعة القضاء والشهادة، ويعرف خطوط الشهود، وإذا وقف على مستند عرف إن كان حقاً أو مفتعلاً، وكان عنده توقف في الأمور، وعدم تجاسر في الأحكام، وأمر نوابه أن لا يحكم أحد منهم بحكم مطلقاً إلا بعد عرضه عليه، وكتابة خطه على المستند المحكوم به ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

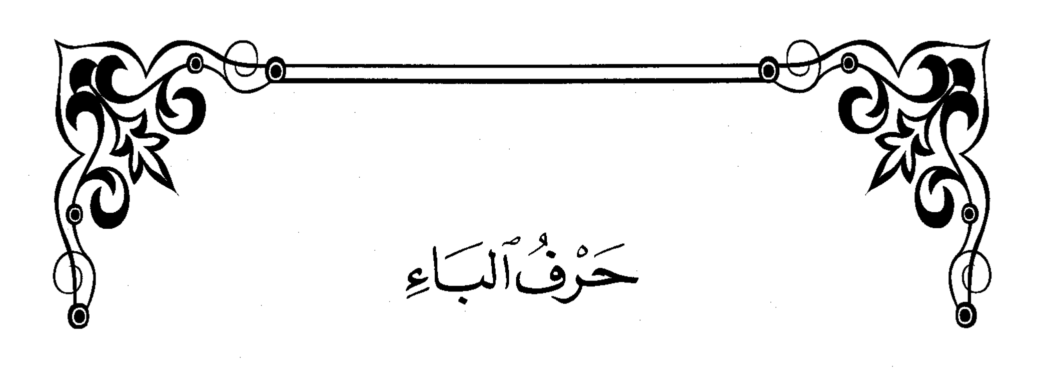
* * *

٩٥ ـ قاضي القضاة برهان الدين اللقاني إبراهيم بن محمد، اللقانيُّ المالكيُّ شيخُ الإسلام: باشر نيابة الحكم بالديار المصرية، وتصدى للكتابة على الفتوى، وإشغال الطلبة بالجامع الأزهر، ثم ولي قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية، عوضاً عن قاضي القضاة سراج الدين عمر بن حُرَيز المالكي في شهر صفر، سنة سبع وسبعين وثمان مئة، وباشر الحكم بشهامة، وكان قامع المبتدعين، ثم عزل في مستهل رجب، سنة ست وثمانين وثمان مئة ـ كما تقدم في ترجمة القاضي زين الدين بن مزهر ـ، واستمر إلى أن توفي في أوائل **سنة ست وتسعين وثمان مئة** ـ رحمه الله، وعفا عنه بمنه وكرمه ـ.

* * *

٩٦ ـ القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان، البرمكيُّ: كان عالماً فاضلاً، تولَّى القضاء بمصر والشام، وله مصنفات جليلة، منها: «وفيات الأعيان في التاريخ»، وغيره، ولد يوم الخميس، بعد صلاة العصر، حادي عشر ربيع الآخر، سنة ثمان وست مئة بمدينة إربل، وتوفي في **سنة إحدى وثمانين وست مئة** ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

* * *



حَرْفُ ٱلبَاءِ

٩٧ ـ بشر الحافي بن الحارث بن عبـد الرحمن بن عطاء بن هلال ابن ماهان بن عبدالله بعبور: أسلم جدُّه على يد علي بن أبي طالب ﵁، أحدُ رجال الطريقة، كان من كبار الصالحين، وأعيان الأتقيـاء المتورِّعين، أصله من مرو، من قرية من قراها يقال لها: مابرسام، وسكن بغداد.

وإنما لقب بالحافي؛ لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منـه شِسْعاً لأحد نعليه، وكان قد انقطع، فقال له الإسكاف: ما أكثرَ كُلفتكم على الناس، فألقى النعلَ من يده، والآخرَ من رجله، وحلف لا يلبس نعلاً بعدها.

ولد سنة خمسين ومئة، وتوفي في شهر ربيـع الآخر، سنة ست، وقيل: سبع وعشرين ومئتين ببغداد، وقيل: بمرو.

* * *

٩٨ ـ المُريسي بشر بن غياث بن أبي كريمة، الفقيهُ الحنفيُّ: من موالي زيد بن الخطاب، أخذ الفقـه عن أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القـول بخلق القرآن، وله في ذلك أقوال شنيعة، وكان مُرْجِئاً، وإليه تُنسب الطائفة المرجئيَّـة المُرَيْسِيَّة، وكان يقول: السجود

للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر، وكان يناظر الشافعي، ولا يعرف النحو، ويلحن لحناً فاحشاً، ويقال: إن أباه كان يهودياً صبَّاغاً بالكوفة.

توفي في ذي الحجة، سنة ثمان عشرة ومئتين ببغداد، والمريسي ـ بسين مهملة ـ: جنس من السودان من بلاد النوبة.

* * *

٩٩ ـ القاضي أبو بكرة بكار بن قتيبة بن أبي برذعة بن عبدالله بن بشير[١] بن عبيدالله بن أبي بكرةَ بن نُفَيع بن الحارث بن كَلَدَةَ الثقفيِّ صاحبِ رسول الله ﷺ: كان حنفي المذهب، وتولى القضاء بمصر سنة ثمان، أو تسع وأربعين ومئتين، وقال: وليتها من قِبل المتوكل يوم الجمعة، لثمانٍ خلون من جمادى الآخرة، سنة ست وأربعين ومئتين، وظهر من حسن سيرته وجميل طريقته ما هو مشهور.

وله مع أحمدَ بن طولون صاحبِ مصر وقائع، وكان اعتقله، وأمره بتسليم القضاء إلى محمد بن شادي[٢]، ففعل، وجعله كالخليفة له، وبقي مسجوناً مدة سنين، وكان يُحدِّث في السجن من طاق فيه، وكان أحد البَكَّائين التالين لكلام الله تعالى، وكان يُكثر الوعظ للخصوم

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٢٧٩): «عبيدالله بن بشر».

(٢) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٢٧٩): «شاذان».

إذا أراد اليمين، ويتلو عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ٧٧] الآية.

ولد بالبصرة سنة اثنتين ومئتين، وتوفي وهو باق على القضاء مسجوناً يوم الخميس، لستٍّ بقين من ذي الحجة، **سنة سبعين ومئتين**، وقبره مشهور عند مصلى بني مسكين، وهو معروف باستجابة الدعاء.

* * *

١٠٠ ـ أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان، المازنيُّ البصريُّ النَّحْويُّ: كان إمام عصره في النحو والأدب، توفي **سنة تسع وأربعين ومئتين** بالبصرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

١٠١ ـ بوران بنت الحسن بن سهل: وكان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه، واحتفل أبوها بأمرها، وعمل من الولائم والأفراح ما لم يُعهد مثلُه في عصر من الأعصار، وذلك بفمِّ الصِّلْح.

وقالت الشعراء والخطباء بذلك، وأطنبوا، ومما يستظرف فيه قولُ محمد بن حازم الباهلي:

بَارَكَ اللهُ لِلْحَسَنْ ... وَلِبُورَانَ فِي الخَتَنْ

يَابْنَ هَارُونَ قَدْ ظَفِرْ ... تَ وَلَكِنْ بِبِنْتِ مَنْ؟

ولما نُمي هذا الشعر إلى المأمون، قال: والله! ما ندري، أخيراً أراد أم شراً؟

ودخـل المأمـون على بوران في الليلة الثالثـة من وصولـه إلى فم الصِّلْح، فلما جلس معها، نثرت عليه جدتها ألفَ دُرَّة كانت في صينية ذهب، فأمر المأمون أن تُجمع، وسألها عن عدد الدر كم هو؟ فقالت: ألف حبة، فوضعها في حِجْرها، وقال: هذا تحليتك[1]، وسلي حوائجك، فقالت لها جدتها: كلِّمي سيدك؛ فقد أمرك، فسألته الرضا عن إبراهيم ابن المهدي ـ وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ـ، فقال: قد فعلت.

ولما طلب المأمون الدخـول على بوران، دافعـوه لعذر بها، فلم يندفع، فلما زُفـت إليـه، وجدها حائضاً، فتركها، فلما قعد الناس من الغد، دخل عليـه أحمد بن يوسف الكاتب، وقال: يا أميـر المؤمنين! هنأك الله بما أخـذت من الأمر، باليُمن والبركـة وشدة الحركـة والظفر بالمعركة، فأنشده المأمون:

فَـــارِسٌ مَـــاضٍ بِحَرْبَتِـــهِ ... صَـادِقٌ بِـالطَّعْنِ فِـي الظُّلَـمِ

رَامَ أَنْ يُـــدْمِي فَرِيـــسَتَهُ ... فَاسْـتَجَارَتْ مِـنْ دَمٍ بِـدَمِ

فعرّض بحيضها، وهو من أحسن الكنايات، وكان ذلك في شهر رمضان، سنة عشر ومئتين، وعقد عليها في سنة اثنتين ومئتين، وتوفي المأمون وهي في صحبته، وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومئتين وبقيت بعده إلى أن توفيت يوم الثلاثاء، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الآخر، سنة إحدى وسبعين ومئتين،

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٢٨٩) وغيره: «نِحلتك».

وماتت وعمرها ثمانون سنة، وكانت وفاتها ببغداد.

وفمٍّ الصِّلْح: بلدة على دجلة قريبة من واسط.

* * *

١٠٢ ـ تاج الملوك أبو سعيد بوري بن أيوب بن شادي، الملقب: مجد الدين: وهو أخو السلطان صلاح الدين، وكان أصغر أولاد أبيه، وكانت فيه فضيلة، وينظم الشعر، فمما قاله في أحد مماليكه، وقد أقبل من جهة المغرب راكباً فرساً أشهب:

أَقْبَلَ مَنْ أَعْشَقُهُ رَاكِباً ... مِنْ جَانِبِ الغَرْبِ عَلَى أَشْهَبِ

فَقُلْتُ سُبْحَانَكَ يَا ذَا العُلاَ ... أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ

مولده في ذي الحجة، سنة ست وخمسين وخمس مئة، وتوفي يوم الخميس، الثالث والعشرين من صفر، **سنة تسع وسبعين وخمس مئة**، على حلب، من جراح أصابته لما حاصرها أخوه السلطان صلاح الدين.

وبوري: لفظ تركي معناه بالعربية: ذئب.

* * *

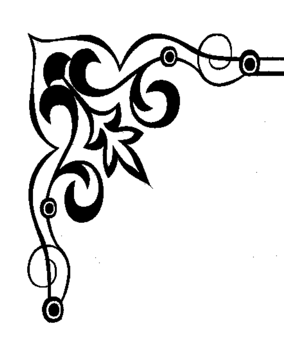
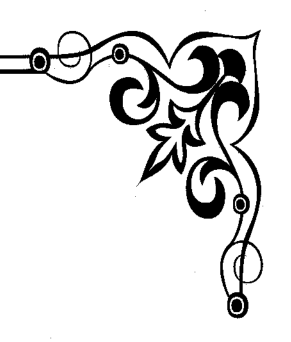
١٠٣ ـ شهاب الدين أبو الخير بادار بن عبدالله القونوي نزيلُ القدس: كان يتكلم على الناس بقبة السلسلة بالصخرة.

قال الشيخ بدر الدين محمود العجلوني: ما عرفنا الله تعالى إلا بملازمة مجالسه.

وقبرُه ظاهر القدس الشريف، على طريق خان الظاهر، ظاهرٌ للناس معروف ـ رحمه الله تعالى ـ.

توفي في شعبان، سنة ثمانين وسبع مئة.

* * *

حَرْفُ ٱلتَّاءِ

١٠٤ ـ تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي: كان أبوه صاحب ديار مصر، وهو الذي بنى القاهرة المعزِّيَّـة، وكان تميم المذكور فاضلاً شاعراً، ولم يلِ المملكة؛ لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز، فوليها، ومن شعر تميم:

مَا بَانَ عُذْرِي فِيهِ حَتَّـى عَـذَرا ... وَمَشَى الدُّجَى فِي خَدِّهِ فَتَحَيَّرَا

هَمَّتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ تَقْبِـيلَهُ ... فَاسْتَلَّ نَاظِرُهُ عَلَيْهَـا خِنْجَـرَا[1]

توفي في ذي القعدة، **سنة أربع وسبعين وثلاث مئة** بمصر، وصُلي عليه بالقرافة، وحمل إلى القصر، ودفن بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعز.

* * *

١٠٥ ـ أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور، الحميريُّ الصنهاجيُّ: ملك إفريقية وما والاها بعد أبيه المعز، وكان حسن السيرة،

---

(١) في: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٠١):

«همـت تقبلـه عقـارب صـدغه ... فاسـتل نـاظره عليهـا خنجـرا»

محمودَ الآثار، محبّاً للعلماء، وله أشعار حسنة، فمن ذلك قوله:

إِنْ نَظَرَتْ مُقْلَتِي لِمُقْلَتِهَا ... تَعْلَمُ مِمَّا أُرِيدُ نَجْوَاهُ

كَأَنَّهَا فِي الفُؤَادِ نَاظِرَةٌ ... تَكْشِفُ أَسْرَارَهُ وَفَحْوَاهُ

وفضائله كثيرة، ولد بالمنصورية التي تسمى: صبرة من بلاد إفريقية، يوم الاثنين، ثالث عشر رجب، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، وفوض إليه أبوه ولاية المهدية في صفر، سنة خمس وأربعين، فاستبد بالملك، ولم يزل إلى أن توفي ليلة السبت، منتصف رجب، سنة إحدى وخمس مئة، ودفن في قصره، ثم نقل إلى قصر السيدة بالمنستير، وخلف من البنين أكثر من مئة، ومن البنات ستين.

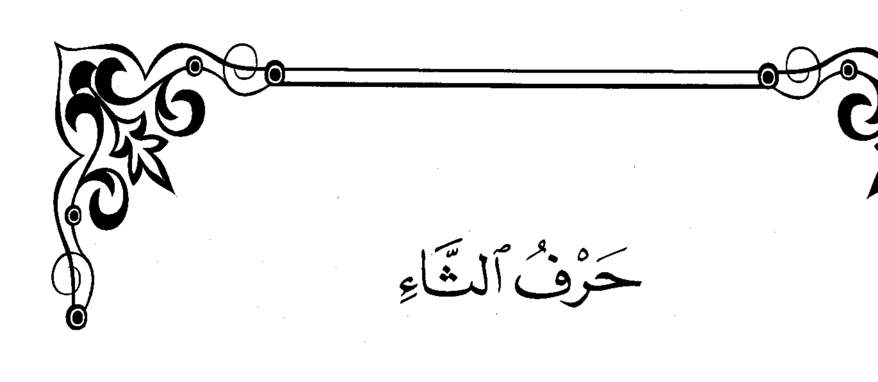
* * *

١٠٦ ـ الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادي بن مروان، الملقب: فخر الدين: وهو أخو السلطان صلاح الدين، وكان أكبر منه، وكان السلطان يُكثر الثناء عليه، ويُرجحه على نفسه، ووجَّهه إلى اليمن، فملكها، وفتح الله على يديه، وكان كريماً، ثم إنه عاد من اليمن، والسلطانُ على حصار حلب، فوصل إلى دمشق في ذي الحجة، سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، ولما رجع السلطان عن الحصار، وتوجه إلى الديار المصرية، استخلفه بدمشق، فأقام بها، ثم انتقل إلى مصر، وتوفي في يوم الخميس، مستهل صفر، سنة ست وسبعين وخمس مئة، ومات وعليه من الديون مئتا ألف دينار، فقضاها

عنه أخوه صلاح الدين.

وتوران شاه: لفظ أعجمي، معناه: ملك الشرق؛ لأن شاه: ملك، وتوران: الشرق، وإنما قيل للشرق: توران؛ لأن بلاد الترك والعجم يسمون الشرق تركان، ثم حرّفوه فقالوا: توران.

* * *



حَرْفُ الثَّاءِ

١٠٧ ـ أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، وقيل: الفيض بن إبراهيم، المصريُّ، المعروف بذي النون، الصالحُ المشهور: أحد رجال الطريقة، كان أوحد وقته علماً وورعاً، وهو معدود في جملة من روى «الموطأ» عن مالك، وكان رجلاً نحيفاً، يعلوه حمرة، ليس بأبيض اللحية.

وشيخه في الطريقة شقران العابد.

وللشيخ ذي النون فضائل ومحاسن كثيرة، توفي في ذي القعدة، سنة خمس، وقيل: **ست وأربعين ومئتين** بمصر، ودفن بالقرافة الصغرى، وعلى قبره مشهد مبني، وفي المشهد ـ أيضاً ـ قبور جماعة من الصالحين.

وثوبان: بفتح الثاء المثلثة، وسكون الواو، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف نون.

* * *

١٠٨ ـ أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون، الحاسبُ الحكيمُ الحرَّانيُ: كان في بداية أمره صيرفياً بحرَّان، ثم انتقل إلى بغداد، واشتغل بعلوم الأوائل، فمهر فيها، وبرع في الطب، وكان الغالب عليه الفلسفة.

ولد سنة إحدى وعشرين، ومئتين وتوفي في يوم الخميس السادس والعشرين من صفر، **سنة ثمان وثمانين ومئتين**، وله ولد يسمى: إبراهيم بلغ رتبة أبيه في الفضل، وكان من حذَّاق الأطباء ومقدَّمي أهلِ زمانه في صناعته، وعالج مرة السَّريَّ الرفَّاء الشاعر، فأصاب العافية، فعمل فيه، وهي أحسن ما قيل في الطب، ومنه:

هَـلْ لِلْعَلِيـلِ سِـوَى ابْـنِ قُـرَّةَ شَـافِي
بَعْـدَ الإِلَـهِ وَهَـلْ لَـهُ مِـنْ كَـافِي
فَكَأَنَّـهُ عِيـسَى بْـنُ مَـرْيَمَ نَاطِقـاً
يَهَـبُ الحَيَـاةَ بِأَيْـسَرِ الأَوْصَـافِ
لَمَّـا رَأَى قَـارُورَتِي وَرَأَى بِهَـا
مَـا اكْـتَنَّ بَـيْنَ جَـوَانِحِي وَشَـغَافِ

وحرَّان: مدينة مشهورة بالجزيرة، قيل: إن هارون عم إبراهيم الخليل عمرها، فسميت باسمه، ثم إنها عُرِّبت، فقيل: حران.

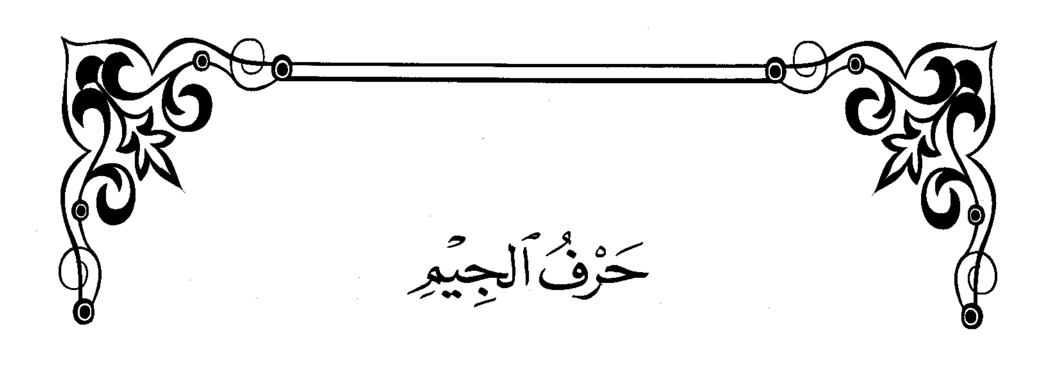
وهارون[1]: أبو[2] سارة زوجة إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ.

وكان لإبراهيم أخ يسمى بـ: هاران، وهو أبو لوط ـ عليه السلام ـ.

* * *

(١) في: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣١٥): «هاران» في الموضعين.

(٢) في الأصل: «بن».



حَرْفُ الجِيمِ

١٠٩ - جرير بن عطية بن الخَطَفَى واسمه حذيفة، والخطفى لقبه، ابن بدر، التميميُّ الشاعرُ المشهورُ: كان من فحول شعراء المسلمين والإسلام، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثلُ ثلاثة: جرير، والفرزدق، والأخطل.

ويقال: إن بيوت الشعراء أربعة: فخر، ومدح، وهجاء، وتشبيب، وفي الأربعة فاق جريرٌ غيره.

ففي الفخر يقول:

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ
حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

وفي المديح يقول:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا
وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وفي الهجاء يقول:

فَغُــضَّ الطَّــرْفَ إِنَّــكَ مِــنْ نُمَيْــرٍ[1]

فَــــلاَ كَعْبَـــاً بَلَغْـــتَ وَلاَ كِلاَبَـــا

وفي التشبيب يقول:

إِنَّ العُيُــونَ الَّتِــي فِــي طَرْفِهَــا حَــوَرٌ

قَتَلْنَنَـــا ثُــمَّ لَــمْ يُحْيِـــينَ قَتْلاَنَـــا

يَــصْرَعْنَ ذَا اللُّــبِّ حَتَّــى لاَ حَــرَاكَ بِــهِ

وَهُـــنَّ أَضْـــعَفُ خَلْــقِ اللهِ إِنْـــسَانَا[2]

توفي جرير باليمامة، سنة إحدى عشرة ومئة، وعمره نيف وثمانون سنة.

* * *

١١٠ ـ أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمـد الباقر بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب: أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإماميـة، كان من سادات أهـل البيت، ولقـب بالصادق؛ لصدقـه في مقالته، وفضلُه أشهر من أن يُذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والفأل.

ولد سنة ثمانين للهجرة، وهي سنة سيل الحجاز[3]، وقيل: سنة

---

(١) في الأصل: «تميم».

(٢) في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٢٢) وغيره: «أركانا».

(٣) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٢٧): «سيل الجَحَّاف».

ست وثمانين، وتوفي في شوال، **سنة ثمـان وأربعين ومئـة** بالمدينـة، ودفن بالبقيع في قبر أبيه[1] محمد الباقر، وجدِّه علي[2] زين العابدين، وعمِّ جدِّه الحسنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهم، فلله درُّه من قبرٍ ما أكرمه! وأمُّه أُمُّ فروةَ بنتُ القاسمِ بنِ محمد بنِ أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

* * *

١١١ ـ أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي: وزيرُ هارون الرشيد، كان من علو القـدر ونفاذ الأمر، وقوة الهمة، وعظم المحل، وجلالة المنزلة عند هارون الرشيد بحالةٍ انفرد بها، ولـم يشارَك فيها.

وكان سمح الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البشر.

وأما جوده، وسخاؤه، وبذله، وعطاؤه، فكان أشهر من أن يُذكر.

وكان من ذوي الفصاحة، والمشهورين باللَّسَن والبلاغـة، وتفقه على القاضي أبي يوسف الحنفي، ووقَّع إلى بعض عمالـه ـ وقد شكي به إليه ـ: كثر شاكوك، وقلَّ شاكروك، فإما اعتدلْ، وإما اعتزلْ.

وكان جعفر متمكِّناً من الرشيد، وبلغ من علوِّ المرتبـة عنده ما لم يبلْغه سواه، حتى إن الرشيد اتخذ ثوباً له زيقان، فكان يلبسه هو وجعفر جملة، ولـم يكن للرشيد صبرٌ عنه.

---

(١) في الأصل: «أبي محمد»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٣٢٧).

(٢) في الأصل: زيادة «بن».

وكان الرشيد ـ أيضاً ـ شديد المحبة لأخته العباسة ابنة المهـدي، وهي من أعز النساء عليه، ولا يقدر يفارقها، فزوَّجها لجعفر ليحِلَّ لهما أن يجتمعا فقط من غير أن يَقْرَبها، فتزوجها على هذا الشرط.

ثم تغير الرشيد عليه وعلى البرامكة كلِّهم آخرَ الأمر، ونكبهم، وقتل جعفراً، واعتقل أخاه الفضل، وأباه يحيى إلى أن ماتا.

واختُلف في سبب تغير الرشيد، فقيل: إن سببه: أن جعفراً دخل بعباسة خفية، وكانت هي السبب في ذلك، وحملت منه، وأتت بولد، ولما خافت ظهور الأمر، بعثت به إلى مكة، فلما بلغ الرشيدَ ذلك، قصد الحج، وتوجه إلى مكة، وبحث عن هذا الأمر، فوجده صحيحاً، فأضمر الشرَّ للبرامكة.

وقيل: إن الرشيـد سلَّم إلى جعفـرٍ يحيى بنَ عبـدالله بنِ الحسين الخارجَ[1] عليه، وحبسه عنـده، فخدعـه يحيى، فأطلقه جعفر، وبعث معه مَنْ أدلَّه إلى مأمنه، فكان ذلك سبباً لتغير الرشيد.

وقيل غير ذلك.

وقتل الرشيد جعفراً بموضع يقال لـه: الغمز[2] من الأنبار، في يوم السبت سلخ المحرم.

وقيل: مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومئة.

---

(١) في الأصل: «الخارجي»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٣٣٤).

(٢) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٣٧): «العُمْرُ».

ومن أعجبِ ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها: ما حكاه محمد بن غسان: أن عبد الرحمن القاسمي قال: دخلت على والدتي في يوم نحر، فوجدت عندها امرأة في ثياب رثَّـة، فقالت لي والدتي: أتعرف هـذه؟ فقلت: لا، قالت: هذه عتابة أمُّ جعفرٍ البرمكي، فأقبلتُ عليها بوجهي، وأكرمتُها، وتحادثنا زماناً، ثم قلت: يا أم جعفر! ما أعجبُ ما رأيتِ؟ قالت: يا بني! لقد أتى عليَّ عيدٌ مثلُ هذا، وعلى رأسي أربع مئة وصيفة، وإني لأَعُدُّ ابني عاقّاً لي؛ لعدم إنصافه لي، ولقد أتى علي هذا العيدُ، وما أملك إلا جلدَ شاتين، أفترش أحدَهما، وألتحف بالآخر.

قال: فدفعت لها خمس مئة درهم، فكادت تموت فرحاً بها، ولم تزل تختلف إلينا حتى فرَّق الموت بيننا.

* * *

١١٢ ـ أبو الفضل جعفر بن الأفضل[1] بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، المعروف بابن حِنْزابة: كان وزير بني الإخشيد بمصر مدَة إمارة كافور بملك مصر، ولما تولى كافور الملكَ، استقلَّ به، ثم انقلب عليه الأمر، واستتر مرّتين، ونُهبت دوره في أيام كافور.

وكان عالماً، ومحباً للعلماء، ويملي الحديث بمصر وهو وزير.

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٤٦): «الفضل».

ولد لثلاثٍ خلون من ذي الحجـة، سنة ثمان وثلاث مئة، وتوفي يوم الأحد، ثالث عشر صفر، سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة بمصر.

وكان كثيـر الإحسان إلى أهـل الحـرمين، واشترى بالمدينـة داراً بالقرب من المسجد، ولم يكن بينها وبين الضريح النبـوي سوى جدار واحـد، وأوصى أن يُدفن فيها، ولما مات، حُمل تابوتـه من مصر إلى الحرمين، وخرجت الأشراف إلى لقائـه وفاءً بما أحسن إليهم، فحجُّوا به، وطافوا، ووقفوا بعرفة، ثم ردوه إلى المدينة، ودفنوه بالدّار المذكورة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

١١٣ ـ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السرّاج، المعروف بالقاري البغدادي: كان حافظ عصره، وعلامة زمانه، وله التصانيف العجيبة، منها كتاب «مصارع العشاق»، وغيره، وله شعر حسن، منه:

وَعَــدْتِ بِــأَنْ تَــزُورِي كُــلَّ شَــهْرٍ
فَــزُورِي قَــدْ تَقَــضَّى الــشَّهْرُ زُورِي

وَشُــقَّةُ بَيْنِنَــا تَهْــوي[1] المُعَلَّــى
إِلَــى البَلَــدِ المُــسَمَّى شَــهْرَزورِ

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٥٨): «نهر».

وَأَشْــهُرُ هَجْـرِكِ المَحْتُـومِ صِــدْقٌ

وَلَكِــنْ شَــهْرُ وَصْــلِكِ شَــهْرُ زُورِ

ولد في أواخر سنة سبعَ عشرةَ وأربـع مئـة ببغداد، وتوفي بها ليلة الأحد، الحادي والعشرين من صفر، سنة خمس مئة.

* * *

١١٤ ـ أبو معشر جعفـر بن محمـد بن عمـر، البلخيُّ، المنجِّمُ المشهور: كان إمام وقته في فنه، وله التصانيف المفيدة في علم النجوم، وله إصابات عجيبة.

ومن جملة وقائعه: أن بعض الملوك طلب رجلاً من أتباعه ليعاقبه بسبب جريمـة صـدرت منـه، فاستخفى، وعلم أن أبا معشر يدل عليـه بالطرائق التي تستخرج بها الخفايا، فأراد أن يعمل شيئاً يبعد عنه حدسه، فأخذ طستاً من نحاس، وجعل فيه دماً، وجُعل في الدم هاوِنٌ من ذهب، وقعد على الهاون أياماً، وطلب الملك ذلك الرجل، فعجز عنه، فطلب أبا معشر، وقال له: عرِّفني موضعه بما جرت عادتك به، فعمل مسألته التي يستخرج بها الخفايا، وسكت زماناً حائراً، فقال له الملك: ما سبب سكوتك وحيرتك؟ قال: سبباً عجيباً، إني أرى المطلوب على جبل من ذهب، والجبل في بحر من دم، وحوله صور من نحاس، ولا أعلم في العالم موضعاً على هذه الصفـة، فأمره بإعادة نظـره، ففعل مراراً، فلم ير إلا كما ذكر، فلما أيس الملك، نادى في البلد بالأمان للرجل ولمن

أخفاه، فخرج الرجل، وحضر بين يدي الملك، فسأله عن أمره، فأخبره بما اعتمده، فأعجبه حسنُ احتيالـه في إخفاء نفسه، ولطافـة أبي معشر في استخراجه.

وله غير ذلك من الإصابات، توفي سنة اثنين وتسعين ومئتين.

* * *

١١٥ ـ أبو عمرو جميل بن عبدالله بن مَعْمَر، الشاعر المشهور: هو صاحـب بُثَينة، أحدُ عشاق العرب، عشقها وهـو غلام، فلما كبر، خطبها، فَرُدَّ عنها، فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سراً، ومنزلهما وادي القُرى، وديوان شعره مشهور، وجميل وبثينة كلاهما من بني عُذْرَة.

ومن شعره من جملة قصيدة:

إِذَا قُلْـتُ: مَـا بِـي يَـا بُثَيْنَـةُ قَـاتِلِي
مِـنَ الوَجْـدِ قَالَـتْ: ثَابِـتٌ وَيَزِيـدُ

وَإِنْ قُلْتُ: رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِـشْ بِـهِ
بُثَيْنَـةُ قَالَـتْ: ذَاكَ منـك بَعِيـدُ

ومن شعره ـ أيضاً ـ:

وَإِنِّـي لأَرْضَـى مِـنْ بُثَيْنَـةَ بِالَّـذِي
لَـوِ اسْـتَيْقَنَ الرَّائِـي لَقَـرَّتْ بَلاَبِـلُهْ

بِـلاَ، وَبِـــأنْ لاَ أَسْـتَطِيعُ وبِـــالمُنَى
وَبِـــالأَمَلِ المَرْجُـوِّ قَـدْ خَـابَ آمِلُـهْ

وَبِـالنَّظْرَةِ العَجْلَـى وَبِـالحَوْلِ يَنْقَـضِـي
أَوَاخِـــــرُهُ لاَ نَلْتَقِـــــي وَأَوَائِلُـــــهْ

وذكر الزبير بن بَكَّار عن عباس بن سهل الساعدي، قال: بينا أنا بالشام، إذ لقيني رجل من أصحابي، فقال: هل لك في جميل؛ فإنه مريض نعوده؟ فدخلنا عليه وهو يجودُ بنفسه، فنظر إليَّ، ثم قال: يا بن سهل! ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قَطُّ، ولم يزنِ، ولم يقتل النفس، ولم يسرق، يشهد أن لا إله إلا الله؟ قلت: أَظن قد نجا، وأرجو له الجنة، فمن هذا الرجل؟ قال: أنا، قلت: والله! ما أحسبك سَلِمْتَ، وأنت تُشَبِّبُ ببثينةَ منذ عشرين سنة، فقال: لا نالتني شفاعة محمد ﷺ، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، إن كنتُ وضعتُ يدي عليها لرِيبة، فما برحنا حتى مات[1].

وأوصى رجلاً أنه إذا مات، يركب ناقته، ويلبس حلته، ويُشققها، ثم يعلو على شَرَف عند رهط بثينة، ويصيح بهذه الأبيات:

قُـــومِي بُثَيْنَـــةُ فَانْدُبِـــي بِعَوِيـــلِ
وَابْكِـــي خَلِيلَـــكِ دُونَ كُـــلِّ خَلِيـــلِ

(١) قال في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٠): «مات سنة اثنتين وثمانين».

وَلَقَـدْ أَجُـرُّ البُـرْدَ[1] فِـي وَادِي القُـرَى

نَـــشْوَانَ بَـــيْنَ مَـــزَارِعٍ وَنَخِيـــلِ

ففعل الرجل ما أمره به جميل، فما فرغت البيتان، حتى خرجت بثينة كأنها بدر قد بدا في دُجُنَّة، فاستخبرتـه، فأخبرها بالحال، وأخرج حلَّته، فلما رأتها، صاحت، وصكَّت وجهها، واجتمع نساء الحي يبكين معها، ثم قالت:

وَإِنَّ سُـــلُوِّي عَـــنْ جَمِيـــلٍ لَـــسَاعَةٌ

مِنَ الدَّهْرِ مَـا حَانَـتْ وَلاَ حَـانَ حِينُهَـا

سَـــوَاءٌ عَلَيْنَـا يَـا جَمِيـلُ بْـنَ مَعْمَـرٍ

إِذَا مِـــتَّ بِأْسَـــاءُ الحَيَـــاةِ وَلِينُهَـــا

قال الرجل: فما زلت باكياً أكثر من يومين.

* * *

١١٦ ـ أبو القاسم الجُنيد بن محمد بن الجنيد، الخزَّازُ القواريريُّ، الزاهدُ المشهور: أصله من نهاوند، ومولـده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته، وفريد عصره، وكلامُه في الحقيقة مشهور مدوَّن، وتفقه على أبي ثور صاحبِ الشافعي، وقيل: بل كان فقيهاً على مذهب سُفيان الثوريِّ.

---

(١) في الأصل: «الهود»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧١).

وصحب خاله السَّرِي السَّقطي.

وصحبه أبو العباس بن سُريج، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلامٍ أعجبَ الحاضرين، فيقول: تدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة أبي القاسم الجُنيد.

وتوفي الجنيد آخر ساعة من نهار الجمعة، **سنة سبع وتسعين ومئتين**[1]، وكان عند موته قد ختم القرآن الكريم، ثم ابتدأ بالبقرة، فقرأ سبعين آية، ثم مات.

وإنما قيل له: الخزاز؛ لأنه كان يصنع الخزّ، والقواريري؛ لأن أباه كان قواريرياً.

* * *

١١٧ ـ القائد أبو الحسن جوهر بن عبدالله، المعروف بالكاتب الرومي: كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحبِ إفريقية، وجهزه إلى الديار المصرية؛ ليأخذها بعد موت كافور الأخشيدي، وسَيَّر معه العساكر، وهو المقدَّم، وكان رحيله من إفريقية يوم السبت، رابع عشر ربيع الأول، سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وتسلم مصر يوم الثلاثاء، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة،

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٤): «وتوفي يوم السبت سنة سبع وتسعين ومئتين، وقيل سنة ثمان وتسعين آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد».

وصعد المنبر خطيباً بها يوم الجمعة، لعشرٍ بقين من شعبان، ودعا لمولاه المعز، ووصلت البشارة إلى المعز بأخذ البلاد وهـو بإفريقية في نصف شهر رمضان من السنة المذكـورة، وأقام بها حتى وصل مولاه المعـز، وهو نافذ الأمر.

واستمر على علو منزلته، وارتفاع درجتـه، وكان محسناً للناس، ولما جهـز إلى مصر، كان عدة عسكره المجهز معـه مئـة ألف فارس، وما يزيد عن ألـف ومئتي صندوق من المال، ونزل في ساحـة موضـع القاهرة اليوم، واختطَّ موضع القاهرة، ولما أصبح المصريون، حضروا إلى القائد للبناء[1]، فوجدوه قد حفر أساسَ القصر في الليل، وكان فيه زورات جاءت غيـر معتدلـة، فلم تعجبـه، ثم قال: حُفرت في ساعـة سعيدة، فلا[2] أغيرها.

وقطع خطبـة بني العباس عن منابر الديار المصريـة، واسْمَهم من السكَّة، وعوض عن ذلك باسم مولاه المعـزِّ، وأزال الشعار الأسـود، وألبس الخطباء الثياب البيض.

وفي يوم الجمعة، ثامن ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقب الخطبة: اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ المصطفى، وعلى عليٍّ المرتضى، وعلى فاطمةَ البَتُول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهبَ الله عنهم

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٧٩): «للهناء».

(٢) في الأصل: «فلم»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٩).

الرجس، وطهّرهم تطهيراً، اللهمَّ وصلِّ على الأئمـة الطاهرين آباءِ أمير المؤمنين.

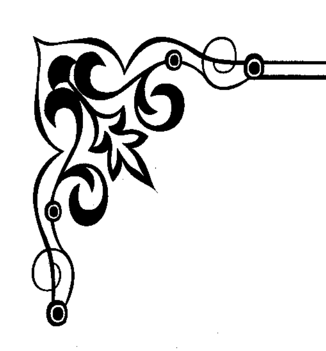
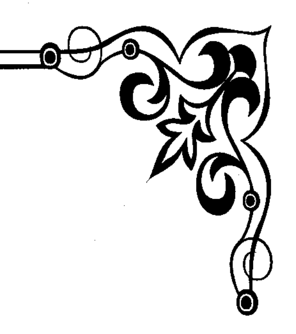
وفي يوم الجمعـة، ثامن عشر ربيـع الآخر، سنة تسع وخمسين، صلى القائد في جامع طولون، ودعـا الخطيب لـه، وأذَّن بـ: حيَّ على خير العمل، وهو أول ما أُذِّن بمصر، ثم أُذِّن به في سائر المساجـد، وسُرَّ جوهر بذلك، وكتب إلى المعز يُعلمه.

وشرع في عمارة الجامـع بالقاهرة، وفرغ من بنائـه في سابع شهر رمضان، سنة إحدى وستين وثلاث مئـة، وجمـع فيـه الجمعـة، وهـو معروف الآن بالأزهر، بالقرب من باب البرقية، بينه وبين باب النصر.

وأقام جوهر بمصر مستقلاً بالملك قبل وصول المعز إلى القاهرة أربعَ سنين وعشرين يوماً.

وتوفي جوهر يوم الخميس، لعشرٍ بقين من ذي القعدة، **سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة** بمصر، ولم يبق شاعر إلا ورثاه.

* * *

حَرْفُ الحَاءِ

١١٨ ـ أبو تمَّام حبيب بن أوس بن الحارث: ونسبوه أن أباه كان نصرانياً، وليس بصحيح.

وكان أوحد عصره في صناعة الشعر، وله أذعن فحولُ الشعراء.

وقيل: إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب، غير المقاطيع والقصار[1]، وكان يسقي الناس بالجرة ماءً بالجامع، وكان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، توفي بالموصل، **سنة إحدى وثلاثين ومئتين**[2]، وبنى عليه أبو نهشل الطوسيُّ قبةً خارج باب الميدان، ورثاه الحسن بن وهب بقصيدة، ومنها:

فُجِعَ القَصِيدُ بِخَاتَمِ الشُّعَرَاءِ
وَغَدِيرِ رَوْضَتِهَا حَبِيبِ الطَّائِي

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات وزيرُ المعتصم، وهو

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ١٢) وغيره: «غير القصائد والمقاطيع».

(٢) في الأصل: «ومئة»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ١٧).

يومئذٍ وزير، بقوله:

نَبَــأٌ أَتَــى مِــنْ أَعْظَــمِ الأَنْبَــاءِ
لَمَّــا أَلَــمَّ مُقَلْقِــلُ[1] الأَحْــشَاءِ
قَــالُوا حَبِــيبٌ قَــدْ ثَــوَى فَــأَجَبْتُهُمْ
نَاشَــدْتُكُمْ لاَ تَجْعَلُــوهُ الطَّــائِي

* * *

١١٩ ـ أبو محمد الحجـاج بن يوسف بن الحكم بن [أبي] عقيل ابن مسعود بن عامر بن مغيث[2] بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي[3] ـ وهو ثقيف ـ، الثقفيُّ: عامل عبـد الملك بن مروان على العراق وخراسان، ولدته أمه مشوَّهاً لا دُبُر له، فنقب عن دبره[4]، وأبى أن يقبل ثدي أمـه أو غيرهـا، فأعياهم أمـرُه، فيقال: إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث، وأمرهم أن يذبحوا له جَدْياً أسود، وأن يُولغوه دمـه، وإذا كان اليوم الثالث، أولغوه دم تيس أسود، ثم أولغوه دم أسود سالخاً، واطلوا بـه وجهـه، فإنـه يقبل الثدي في اليوم الرابع،

---

(١) في الأصل: «تقلقل»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ١٨).

(٢) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٩) وغيره: «معتِّب».

(٣) في الأصل: «ولي»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٩).

(٤) في الأصل: «فثقب على»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٠) وغيره.

ففعلـوا بـه ذلك.

فكان لا يصبـر على سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقـدم عليها غيـرُه، وكان لـه في الفتك وسفك الدماء والعقوبات غرائـبُ لم يُسمع مثلُها.

ولاه عبـد الملك الحجـاز ثلاث سنين، ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فوليها عشرين سنة، فذلل أهلَها.

وحكى أبو أحمد العسكري في كتاب «التصحيف»: أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان ﷺ نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك، ثم كثـر التصحيف، وانتشر في العراق، ففزع الحجـاج بن يوسف إلى كُتَّابه[1]، وسألهم أن يضعـوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك، فوضع النقط أفراداً وأزواجاً، وخالف بين أماكنها، فصـار الناس زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً، وكان مـع استعمال النقط يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يُتبعون النقطَ الإعجامَ.

والحجاج هو الذي بنى مدينة واسط، وكان شروعه في بنائها سنة أربع وثمانين للهجرة، وفرغ منها سنة ست وثمانين، وسماها: واسط؛ لأنها بين الكوفة والبصرة.

ولما حضرته الوفاة، أحضر منجِّماً، فقال له: هل ترى في علمك ملكاً يموت في هذه السنة؟ قال: نعم، ولستَ هـو، فقال: كيف؟ قال

---

(١) في الأصل: «كتابته»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٢).

المنجم: لأن الذي يموت اسمُه كليب، فقال الحجاج: أنا هـو والله! بذلك كانت تسميني أمي كليباً، وأوصى عند ذلك.

وكان ينشد في مرض موتـه، والبيتان لعبيـد بن شعبان بن عطل، وهما:

يَـا رَبِّ قَـدْ حَلَـفَ الأَعْـدَاءُ وَاجْتَهَـدُوا
أَيْمَـانَهُمْ أَنَّنِـي مِـنْ سَـاكِنِي النَّـارِ
أَيَحْلِفُـونَ عَلَـى عَمْيَـاءَ وَيْحَهُـمُ[1]
مَـا ظَـنُّهُمْ بِـقَدِيمِ العَفْـوِ غَفَّـارِ؟

وكان مرضه بالآكلة، وقعت في بطنه، ودعا بالطبيب لينظر إليها، فأخذ لحماً وعلقه في خيط، وسرحه في حلقه، وتركه ساعة، ثم أخرجه، وقد لصق به دود كثير.

وسلّط الله عليه الزمهرير، فكانت الكوانين[2] تُجعل حوله مملوءة ناراً، وتُدْنى منه حتى تحرق جلده، ولا يُحس بها، وأقام بهـذه الحالـة خمسة عشـر يومـاً، وتوفي في شهر رمضـان، وقيل: في شـوال، سنة خمس وتسعين للهجـرة، وعمره ثلاث وخمسون سنة، وكان بواسط، ودفن بها، وعُفِّي قبره، وأُجري عليه الماء.

---

(١) في الأصل: «وظنهم»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣).

(٢) في الأصل: «البواشق»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣).

وتقدم ذكر بعض أخباره مع عبدالله بن الزبير، وهدمه الكعبة، وغير ذلك من فعاله القبيحة في ترجمة عبد الملك بن مروان، وما اعتمده في حق الأخيار الصالحين.

* * *

١٢٠ ـ أبو عبدالله الحارث بن أسد المُحاسبي، البصريُّ، الزاهدُ المشهور: أحدُ رجال الحقيقة، له كتب في الزهد والأصول، وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئاً، قيل: لأن أباه كان يقول بالقدر، فرأى من الورع أنه لا يأخذ ميراثه، وقال: صحّت الرواية عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لاَ يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى»[1]، ومات وهو محتاج إلى الدرهم.

توفي **سنة ثلاث وأربعين ومئتين**، ونسبته بالمحاسبي: لأنه كان يحاسب نفسَه.

* * *

١٢١ ـ أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون: ابنُ عمٍّ ناصرِ الدولة، وسيفِ الدولة، كان فريدَ دهره، وشمسَ عصره أدباً وفضلاً، وكرماً وفروسية وشجاعة، وشعرُه مشهور، وكانت

---

(١) رواه أبو داود (٢٩١١)، وابن ماجه (٢٧٣١)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، والترمذي (٢١٠٨)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

الروم قد أسرته في غزواته مرة بعد أخرى، وله في ذلك أشعار، منها:

قَـدْ كُنْـتَ عُـدَّتِي الَّتِـي أَسْـطُو بِهَـا
وَيَـدِي إِذَا اشْـتَدَّ الزَّمَـانُ وَسَـاعِدِي

فَرُمِيـتُ مِنْـكَ بِـضِـدِّ مَـا أَمَّلْتُـهُ
وَالمَـرْءُ يَـشْرَقُ بِـالزُّلاَلِ البَـارِدِ

وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في **سنة سبع وخمسين وثلاث مئة**، ولطمت أمه وجهها إلى أن قلعت عينها لما بلغها وفاته.

* * *

١٢٢ ـ أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول، المعروف بأبي نُوَاس الحَكَمِيُّ، الشاعرُ المشهور: ولـد بالبصرة، ونشأ بها، ثم خرج إلى الكوفـة، ثم صار إلى بغـداد، وكان أبوه من جند مروان آخرِ ملوك بني أمية.

سأله بعضهم عن نسبه، فقال: أغناني أدبي عن نسبي، فأمسك عنه.

وكان واسع العلم، حافظاً، مع قلة كتبه، وكان المأمون يقول: لو وَصَفت الدنيا نفسَها، لما وصفت بمثل قول أبي نواس:

أَلاَ كُـلُّ شَـيْءٍ هَالِـكٌ وَابْـنُ هَالِـكٍ
وَذُو نَـسَبٍ فِـي الهَـالِكِينَ عَرِيـقِ

إِذَا امْـتَحَنَ الـدُّنْيَا لَبِـيبٌ تَكَـشَّفَتْ
لَـهُ عَـنْ عَـدُوٍّ فِـي ثِيَـابِ صَـدِيقِ

وما أحسن ظنه بربـه حيثُ يقول:

تَكَثَّـرْ مَـا اسْـتَطَعْتَ مِـنَ الخَطَايَـا
فَإِنَّـكَ بَـالِغٌ رَبّـاً غَفُـورَا
سَتُبْـصِرُ إِنْ وَرَدْتَ عَلَيْـهِ عَفْـواً
وَتَلْقَـى سَـيِّداً مَلِكـاً كَبِـيرَا
تَعَـضُّ نَدَامَـةً كَفَّيْـكَ مِمَّـا
فَظَعْـتَ مَخَافَـةَ النَّـارِ الـسُّرُورَا

وهذا من أحسن المعاني.

وكان محمدُ الأمينُ بنُ هارونَ الرشيدِ سخط على أبي نُواس؛ لقضية جرت له معه، فتهدَّده بالقتل، وحبسَه، فكتب إليه من السجن:

بِـكَ أَسْـتَجِيرُ مِـنَ الـرَّدَى
مُتَعَـوِّذاً مِـنْ سَـطْوِ بَاسِـكْ
وَحَيَـاةِ رَأْسِـكَ لاَ أَعُـودُ
لِمِثْلِهَـا، وَحَيَـاةِ رَاسِـكْ
مَـنْ ذَا يَكُـونُ أَبَـا نُوَاسِـكَ
إِنْ قَتَلْـتَ أَبَـا نُوَاسِـكْ

وله معه وقائع كثيرة.

ولد في سنة خمس، أو ست، وقيل: ثمان وثلاثين ومئة ببغداد، وإنما قيل له: أبو نواس؛ لذؤابتين كانتا تنوس على عاتقيه.

وأمره مشهور في الخلاعة، ومنادمة الخلفاء، واللهو ـ عفا الله عنه ـ.

توفي في جمادى الأولى، سنة خمس وتسعين ومئة، وكان عمره تسعاً وخمسين سنة.

* * *

١٢٣ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف الضَّبِّيُّ، المعروف بابن وكيع، الشاعرُ المشهور: أصله من بغداد، ومولده بِبُسْت[١]، كان بارعاً، وكان في لسانه عُجمة، ويقال له: الفاطن[٢]، ومن شعره:

إِنْ كَانَ قَدْ بَعُدَ اللِّقَاءُ فَوُدُّنَا
بَاقٍ وَنَحْنُ عَلَى النَّوَى أَحْبَابُ

كَمْ قَاطِعٍ لِلوَصْلِ يُؤْمَنُ وُدُّهُ
وَمُوَاصِلٍ بِوِدَادِهِ يُرْتَابُ

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٠٦): «بتنيس».

(٢) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٠٦): «العاطس».

وله كل معنى حسن.

توفي يوم السبت، لسبعٍ بقين من جمادى الأولى، **سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة** بمدينة بُست.

ووكيعٌ لقب جده أبي بكر محمد بن خلف، كان نائباً في الحكم بالأهواز للجواليقي، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً، له مصنفات كثيرة، وشعر، توفي في سادس ربيع الأول، سنة ست وثلاث مئة ببغداد.

* * *

١٢٤ ـ أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد، المعروف بابن العلاَّف، الضريرُ، الشاعرُ، المشهور: وكان من الشعراء المجيدين، وكان ينادم المعتضد بالله.

وكان له هِرٌّ يأنس به، فكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه، ويأكل أفراخها، وتكرر ذلك منه، فمسكه أربابها، وذبحوه، فرثاه بقصيدة طويلة، عددها خمسة وستون بيتاً، فمنها:

يَا هِرُّ فَارَقْتَنَا وَلَمْ تَعُدِ
وَكُنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ الوَلَدِ

ومنها:

فَلَمْ تَزَلْ لِلحَمَامِ مُرْتَصِداً
حَتَّى سُقِيتَ الحِمَامَ بِالرَّصَدِ

توفي سنة ثمان عشرة وثلاث مئة، وعمره مئة سنة.

* * *

١٢٥ ـ أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون، المهلبيُّ[1] الوزيرُ:

كان وزير معز الدولة بن بُويه الديلمي، تولى الوزارة يوم الاثنين، لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى، سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، وكان من ارتفاع القدر، واتساع الصدر، وعلو الهمة، وقبض الكف على ما هو مشهور به، وكان غاية في الأدب، والمحبة لأهله، وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة، وكان قد سافر مرة، ولقي في سفره مشقة صعبة، واشتهى اللحم، فلم يقدر عليه، فقال ارتجالاً:

أَلاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ ... فَهَذَا العَيْشُ مَا لاَ خَيْرَ فِيهِ

أَلاَ رَحِمَ المُهَيْمِنُ نَفْسَ حُرٍّ ... تَصَدَّقَ بِالوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

إِذَا أَبْصَرْتُ قَبْراً مِنْ بَعِيدٍ ... وَدِدْتُ بِأَنَّنِي مِمَّا يَلِيهِ

وكان معه رفيق له يسمى: أبا عبدالله الصوفي، فلما سمع الأبيات،

(١) في الأصل: «الحلبي»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ١٢٤).

اشترى له بدرهم لحماً، وطبخه، وأطعمه له، وتفارقا. وتقلبت بالمهلبي الأحوال، وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة، وضاقت الأحوال برفيقه الذي اشترى له اللحم، وبلغه وزارة المهلبي، فقصده، وكتب إليه:

أَلاَ قُلْ لِلوَزِيرِ - فَدَتْهُ نَفْسِي -
مَقَالَةَ مُذْكِرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ
أَتَذْكُر إِذْ تَقُولُ لِضَنْكِ عَيْشٍ
أَلاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ

فلما وقف عليها هزته أريحية الكرم، وأمر له بسبع مئة درهم، ووقَّع في رقعته: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٦١]، ثم دعا به، وخلع عليه، وقلده عملاً يرتفق به.

ولما تولى المهلبي الوزارة بعد تلك الضائقة، أنشد:

رَقَّ الزَّمَانُ لِفَاقَتِي
وَرَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي
فَأَنَالَنِي مَا أَرْتَجِيه
وَحَادَ عَمَّا أَتَّقِي
فَلأَصْفَحَنْ عَمَّا جَنَاهُ
مِنَ الذُّنُوبِ السُّبَّقِ

حَتَّـــــى جِنَايَتَـــــهُ بِمَـــــا

فَعَـــلَ المَـــشِيبُ بِمَفْرِقِـــي

توفي يوم السبت، لثلاثٍ بقين من شعبان، **سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة** في طريق واسط، وحُمل إلى بغداد، فوصل إليها في خمس خلون من رمضان من السنة [المذكورة].

* * *

١٢٦ ـ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروفُ بالفَرَّاء، البغويُّ، الفقيهُ الشافعيُّ: المحدث المفسِّر، كان بحراً في العلوم، وصنف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قول النبي ﷺ، وشهرتُه تغني عن المزيد في ذكر علومه، توفي في شوال **سنة عشر وخمس مئة**.

والفراء: نسبة لعمل الفِراء، والبغوي: نسبة إلى بلدة يقال لها: بَغْ، بين مَرْوٍ وهِراة بخراسان.

* * *

١٢٧ ـ أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، الزاهدُ المشهورُ: نشأ بواسط والعراق، وصحب الجنيدَ وغيرَه.

والناس مختلفون في أمره، فمنهم من يبالغ في تعظيمه، ومنهم من يكفِّره، والله متولي السرائر.

وكان يتكلم بكلام أوجبَ الإنكارَ عليه، منه: أنا الحق، وقوله: ما في الجبة إلا الله، والإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها، واعتذر عنه أبو حامد الغزالي في «مشكاة الأنوار»، وحمل هذه الألفاظ على محامل حسنة، وأَوَّلها، وقال: هذا كله من فرط المحبة، وشدة الوَجْد.

وكان جده مجوسياً، وصحب أبا القاسم الجنيد ومَنْ في طبقته، وأفتى كثير من علماء عصره بإباحة دمه، وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير الإمام المقتدر، ثم إن الوزير رأى له كتاباً: أن الإنسان إذا أراد الحج، ولم يمكنه، أفرد من داره بيتاً نظيفاً من النجاسات، ولا يدخله أحد، وإذا حضرت أيام الحج، طاف حوله، وفعلَ ما يفعله الحجاج بمكة، ثم يجمع ثلاثين يتيماً، ويعمل أجودَ طعام يمكنه، ويطعمهم في ذلك البيت، ويكسوهم، ويعطي كل واحد سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك، كان كمن حج، فأمر الوزير بقراءة ذلك قدام القاضي أبي عمرو، فقال القاضي للحلاج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب «الإخلاص» للحسن البصري، فقال القاضي: كذبتَ يا حلال الدم، قد سمعناه بمكة، وليس فيه هذا، وطالب الوزير القاضيَ أبا عمرو أن يكتب خطه بما قاله: أنه حلال الدم، فدافعه القاضي، فألزمه الوزير، فكتب بإباحة دم الحلاج، وكتب بعده من حضر المجلس، فلما سمع الحلاج ذلك، قال: أيحلُّ لكم دمي، وديني الإسلام، ومذهبي السنة، ولي فيها كتب موجودة؟ فاللهَ اللهَ في دمي.

وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه في قتله، وأرسل الفتاوى بذلك، فأذن المقتدر في ذلك، فضُرب ألف سوط، ثم قُطعت يده، ثم رجله، ثم قُتل، وأحرق بالنار، ونُصب رأسه ببغداد، وكان قتله في شهر ذي القعدة، سنة تسع وثلاث مئة.

* * *

١٢٨ ـ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا: الحكيمُ المشهور: كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى، ثم تولى العمل بقرية يقال لها: خرمين[1] من قرى بخارى، فولد بها أبو علي المذكور.

وانتقل الرئيس بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم وحصَّل الفنون، ثم رغب في علم الطب، وتأمل كتبه، ففاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح فيه عديمَ القرين، وسنُّه ـ إذ ذاك ـ ستَّ عشرة سنة، وانتقلت به الأحوال حتى تولى الوزارة لشمس الدولة، وصنف كتباً في فنون شتى، وله رسائل بديعة، وهو أحد فلاسفة المسلمين، وله شعر، منه:

اجْعَلْ غِذَاءَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً
وَاحْذَرْ طَعَاماً قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ

وَاحْفَظْ مَنِيَّكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
مَاءُ الحَيَاةِ يُصَبُّ فِي الأَرْحَامِ

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٥٧): «خرميثنا».

ولـد في صفر، سنة سبعين وثلاث مئـة، وتوفي في همدان، يوم الجمعة من رمضان، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة، ودفن بها.

* * *

١٢٩ ـ أبـو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر، الشاعرُ البصريُّ المعروفُ بالخليـع: مولى لولـد سليمان بن ربيعـة الباهلي الصحابي، وأصله من خراسان، وهو شاعر ماجن مطبوع، حسن الصناعة في ضروب الشعر وأنواعـه، واتصل في مجالس الخلفـاء إلى ما لم يتصل إليـه إلا إسحاق النديم الموصلي؛ فإنه قارنه، وساواه، ومن شعره:

صِـلْ بِخَـدِّي خَـدَّيْكَ تَلْقَـى عَجِيبـاً
مِـنْ مَعَـانٍ يَحَـارُ فِيهَـا الـضَّمِيرُ

فَبِـخَدَّيْكَ لِلرَّبِـيعِ رِيَـاضٌ
وَبِـخَدَّيَّ لِلـدُّمُوعِ غَـدِيرُ

توفي سنة خمسين ومئتين.

* * *

١٣٠ ـ أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد ابن الحجاج: الكاتب المشهور، ذو المجـون والخلاعـة والسخف في شعره، والغالب عليه الهزل.

تولى حِسبة بغداد، ثم عُزل بأبي سعيد الإصطخري الفقيه الشافعي، وتوفي يوم الثلاثاء، السابع والعشرين من جمادى الآخرة، **سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة** بالنيل ـ بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، خرج منها جماعةٌ من العلماء ـ وحُمل إلى بغداد، ودفن عند مشهد موسى ابن جعفر، وكان أوصى أن يدفن عند رجليه، وأن يكتب على قبره: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[الكهف: ١٨].

وكان من كبار [الشعراء] الشيعة، ورآه بعد موته بعض أصحابه في المنام، فسأله عن حاله، فأنشد:

أَفْسَدَ سُوءُ مَذْهَبِي ... فِي الشِّعْرِ حُسْنَ مَذْهَبِي

لَمْ يَرْضَ مَوْلاَيَ عَلَى ... سَبِّي لِأَصْحَابِ النَّبِي

* * *

١٣١ ـ العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، الملقب: مؤيد الدين، الأصبهانيُّ المنشئ المعروف بالطُّغَرائي: كان غزير الفضل، لطيف الطبع، ومن محاسنه: قصيدته المعروفة بلامية العجم، عملها ببغداد سنة خمس وخمس مئة، يصف حاله، ويشكو زمانه، وهي مشهورة.

ذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة وخمس مئة[1]، وقد جاوز ستين سنة.

وولي الوزارة بمدينة إربل، وكان وزير للسلطان مسعود في الدولة السلجوقية بالموصل، وكان السببَ في قتله الكمالُ السميري نظامُ الدين أبو طالب وزير محمود أخي السلطان مسعود، قال عن الطغرائي: هذا ملحِد اقتلوه؛ لخوفه من فضله، اعتمد قتله، وقُتل الكمال يوم الثلاثاء سلخ صفر، سنة ست عشرة وخمس مئة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية.

قيل: قتله عبدٌ أسودُ كان للطغرائي؛ لأنه قتل أستاذه.

* * *

١٣٢ ـ أبو عمرو، وقيل: أبو يحيى حماد بن عمرو بن كليب، الكوفيُّ، وقيل: الواسطيُّ، المعروف بِعَجْرَد، الشاعرُ المشهور: وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وهو من الشعراء المجيدين، وكان ماجناً ظريفاً خليعاً، متَّهماً في دينه بالزندقة، ومن شعره:

فَأَقْسَمْتُ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي قَبْضَةِ الهَوَى
لأَقْصَرْتَ عَنْ لَوْمِي وَأَطْنَبْتَ فِي عُذْرِي

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ١٩٠): «وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث عشرة وخمس مئة، وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة، وقيل ثماني عشرة».

وَلَكِـــنْ بَلاَئِـــي مِنْـــكَ أَنَّـــكَ نَاصِـــحٌ
وَأَنَّـــكَ لاَ تَـــدْرِي بِأَنَّـــكَ لاَ تَـــدْرِي

توفي سنة إحدى وستين ومئة، قتله محمد بن سليمان بن علي عاملُ البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة.

* * *

١٣٣ ـ أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي، المعروف بالزيات، مولى البكرية[١]، التميميُّ: وكان أحد القراء السبعة، وعنه أخذ الكسائي القراءة، وأخذ هو عن الأعمش.

وقيل له: الزَّيَّات؛ لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان.

توفي سنة ست وخمسين ومئة بحلوان، وله ست وسبعون سنة.

وحُلوان ـ بضم الحاء ـ مدينة في آخر سواد العراق مما يلي الجبل.

* * *

١٣٤ ـ حُنين بن إسحاق العبادي الطبيب المشهور: إمامُ وقتهِ

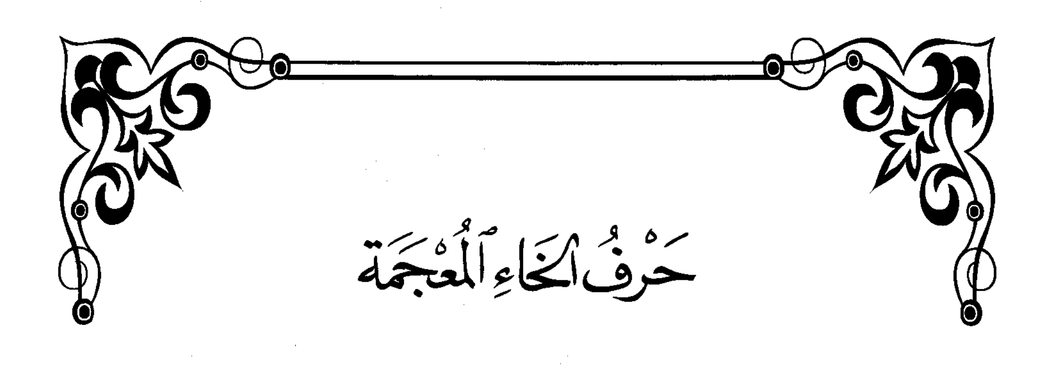
---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢١٦): «آل عكرمة».

في صناعة الطب، وكان يعرف لغـة اليونانيين، وهو الذي عَرَّب كتاب إقليدس وغيره، وله في الطب مصنفات مفيدة.

توفي يوم الثلاثاء، لستٍّ خلون من صفر، سنة ستين ومئتين.

* * *



حَرْفُ الخَاءِ المُعْجَمَة

١٣٥ ـ أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي: كان من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب، وكان متقناً لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته، وله أشعار جيدة، منها:

تَجُـــولُ خَلاَخِيـــلُ النِّـــسَاءِ فَـــلاَ أَرَى
لِرَمْلَـــةَ خَلْخَـــالاً يَجُـــولُ وَلاَ قُلْبَـــا

أُحِـبُّ بَنِـي العَـوَّامِ مِـنْ أَجْـلِ حُبِّـــهَا
وَمِــنْ أَجْلِهَــا أَحْبَبْــتُ أَخْوَالَهَــا كَلْبــا

وهي طويلة.

توفي خالد سنة خمس وثمانين للهجرة.

* * *

١٣٦ ـ الشيخ خليفـة بن مسعـود، المغربيُّ الجـابـريُّ ـ من بني

جابر ـ، الشيخُ العالم الصالح القدوة، صاحب الكرامات.

مولده سنة تسع وأربعين وسبع مئة، واشتغل ببلاده، وقدم إلى بيت المقدس على طريقة السياحة في سنة أربع وثمانين وسبع مئة، فحج ورجع، وظهرت له مكاشفات، ثم ولي مشيخة المغاربة، وإمام المالكية، واشتهر أمره.

توفي يوم السبت، مستهل ذي القعدة، **سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة**، ودفن بماملا، وكان أسود بصاصاً ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

١٣٧ ـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيديُّ: كان إماماً في علم النحو، وهو الذي استنبط علمَ العروض، وأخرجه إلى الوجود.

قيل: إنه دعا بمكة أن يُرزق علماً لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلا عنه، فلما رجع من حجه، فتح عليه بعلم العروض.

ومن كلامه: لا يعلم الإنسان أخطاء معلمه حتى يجالس غيره.

ويقال: إنه أنشد، ولم يذكره لنفسه ولا لغيره:

يَقُولُونَ لِي دَارُ الأَحِبَّةِ قَدْ دَنَتْ
وَأَنْتَ كَئِيبٌ إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ

فَقُلْتُ: وَمَا تُغْنِي الدِّيَارُ وَقُرْبُهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ القُلُوبِ قَرِيبُ

وعنه أخذ سيبويه علومَ الأدب. ويقال: إن أباه أحمد أولُ من سمي بأحمد بعد رسول الله ﷺ.

ولد في سنة مئة للهجرة، وتوفي سنة سبعين، أو **خمس وسبعين ومئة** بالبصرة، وكان سبب موته: أنه قال: أريد [أن] أقرب نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البياع، فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد، وهو يُعمل فكره في ذلك، فصدمته سارية وهو غافل عنها بفكره، فانقلب على ظهره، فكانت سبب موته.

* * *

١٣٨ ـ **أبو الجيش خُمارَوَيه بن أحمد بن طولون**: لما توفي أبوه، اجتمع الجند على توليته مكانه، فولي وهو ابن عشرين سنة، في أيام المعتمد على الله، فلما مات المعتمد، أقره المعتضد على عمله، وتزوج المعتضد ابنته قطرَ الندى سنة إحدى وثمانين ومئتين[1]، وكان صَداقُها ألفَ ألفِ درهم، وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل، جهَّزها والدها بجهاز لم يُعمل مثلُه، قيل: كان له ألف هاون ذهباً.

وتوفي خمارويه قتلاً، قتله غلمانه بدمشق على فراشه ليلة الأحد، لثلاثٍ بقين من ذي القعدة، **سنة اثنتين وثمانين ومئتين**، وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وحمل إلى مصر، ودفن بسفح المقطَّم.

---

(١) في الأصل: «ومئة»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٤٩).

ولما حُملت قطر الندى إلى المعتضد، خرجت معها عمتها عباسةُ بنة أحمد بن طولون مُشَيِّعَةً لها من مصر إلى جهة الشام، نزلت بالطريق، وضربت فساطيطها، وَبنَتْ هناك قرية سمتها باسمها يقال لها: العبّاسة، وهي إلى الآن عامرة، ولها جامع حسن، وسوق قائم.

* * *

١٣٩ ـ القاضي غرس الدين خليل بن أحمد بن محمد بن عبدالله السخاوي: جليسُ الحضرة الشريفة الظاهرية ومشيرُها.

مولده في سنة ثمان وسبعين وسبع مئة، وكان صحب الظاهر جقمق قبل السلطنة، فلما تسلطن، قدَّمه، وولاه نظر الحرمين، فقدم القدس في مستهل ربيع الأول، سنة أربع وأربعين وثمان مئة، ثم توجه إلى مصر، فتوفي بها في إحدى الجمادَيْن سنة سبع وأربعين وثمان مئة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

١٤٠ ـ صلاح الدين العلائي خليل بن كيكلدي العلائي: الحافظ الكبير.

ولد سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة، وهو آخر من حدَّث عن أبي حيان بالبلاد الشامية، وكان نزيلَ القدس الشريف، وكان إماماً علامة، أفتى ودرَّس وناظر، وله مآثرُ حميدة، ومصنفات مفيدة، وكان مدرِّس الصلاحية ببيت المقدس المعظم، توفي في ربيع الآخر، وقيل: في

رمضان سنة اثنتين وثمان مئة، وقيل: بل كانت وفاته في ثالث المحرم، سنة إحدى وسبعين[1] وسبع مئة.

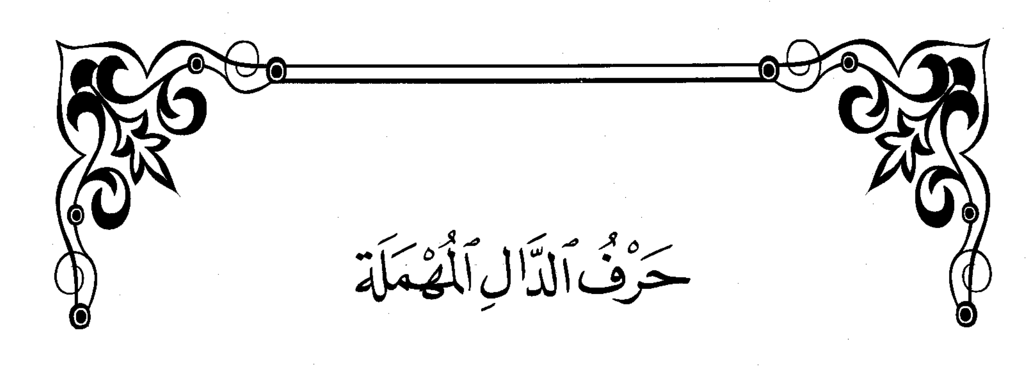
* * *

١٤١ ـ قاضي القضاة خير الدين أبو المواهب الحسني، خليل ابن عيسى بن عبدالله العجمي: ولي قضاء القدس من برقوق سنة أربع وثمانين وسبع مئة، وهو أول من ولي قضاء الحنفية بالقدس الشريف، وكانت سيرته حسنة، ثم تولى تدريس المعظَّمية، وتوفي بالقدس الشريف في صفر، **سنة إحدى وثمان مئة**.

وولي عوضه موفق الدين قاضي العسكر بمصر، سُقي السمّ مع بكلمش بالمدرسة البلدية، فمات معه، وسُقي شمس الدين الديري، لكنه لم يُكثر، فمرض طويلاً، وعوفي، وكان شهاب الدين بن النقيب حاضراً، فاعتذر بالصوم.

* * *

(١) في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٦٠)، و«النجوم الزاهرة» (١/ ٣٣٧): «وستين».



حَرْفُ ٱلدَّالِ ٱلْمُهْمَلَة

١٤٢ ـ أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني، الإمامُ المشهور، المعروفُ بالظاهري: كان زاهداً كثير الورع، وكان من أكثر الناس تعصباً للإمام الشافعي، وكان صاحبَ مذهب مستقل، وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، وكان من عقلاء الناس.

ولد بالكوفة سنة اثنتين ومئتين، ونشأ ببغداد، وتوفي بها سنة سبعين ومئتين في ذي القعدة، وأصله من أصفهان.

* * *

١٤٣ ـ أبو علي دِعْبِل بن علي بن رَزين بن سليمان بن إبراهيم ابن نَهْشَل: أصلُه من الكوفة، وأقام ببغداد، وقيل: دعبل لقبه، واسمه الحسن، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: محمد، وكنيته أبو جعفر، وكان شاعراً مجيداً إلا أنه كان مولَعاً بالهجاء والحطِّ على أعيان الناس، وهجا الخلفاء ومَنْ دونهم، وهجا المأمون، فقال فيه:

أَيَسُومُنِي المَأْمُونُ خُطَّةَ جَاهِلٍ
أَوَ مَا رَأَى بِالأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدِ
إِنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ
قَتَلَتْ أَخَاكَ وَشَرَّفَتْكَ بِمَقْعَدِ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طُولِ خُمُودِهِ
وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الحَضِيضِ الأَوْهَدِ

وسامحه المأمون، ولم يؤاخذه بذلك.

توفي سنة ست وأربعين ومئتين بالطبيب، وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز.

* * *

١٤٤ ـ أبو بكر دُلَف بن حجر[١]، وقيل: **جعفر بن يونس** ـ وهذا مكتوب على قبره ـ **المعروف بالشِّبلي، الصالحُ المشهور، الخراساني الأصل، البغدادي المولد والمنشأ**: كان جليلَ القدر، مالكيَّ المذهب، صحب الجنيدَ ومَنْ في عصره، وكان في مبدأ أمره والياً في دُنْباوَند، فلما مات خَيْرٌ النسّاجُ قال[٢] لأهلها: كنت والي بلدكم، فاجعلوني في حِلٍّ،

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٧٣) وغيره: «جحدر».

(٢) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٧٣): «فلما تاب في مجلس خير النساج مضى إليها وقال» بدل «فلما مات خير النساج قال».

ومجاهداته في أول أمره فوق الحد.

دخل يوماً على شيخه الجنيد، فوقف بين يديه، وصفق بيديه، وأنشد:

عَــوَّدُونِي الوِصَــالَ وَالوَصْــلُ عَــذْبُ
وَرَمَــوْنِي بِـالــصَّدِّ وَالــصَّدُّ صَــعْبُ
زَعَمُــوا حِــينَ أَزْمَعُــوا أَنَّ ذَنْبِــي
فَــرْطُ حُبِّــي لَهُــمْ وَمَــا ذَاكَ ذَنْــبُ
لاَ وَحَــقِّ الخُــضُوعِ عِنْــدَ التَّلاَقِــي
مَــا جَــزَا مَــن يُحِــبُّ إِلا يُحَــبُّ

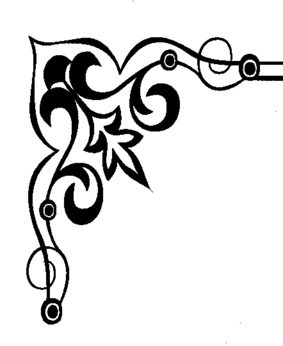
توفي يوم الجمعة، لليلتين بقيتا من سنة **أربع وثلاثين وثلاث مئة** ببغداد، ودفن بمقبرة الخيزران، وعمره سبع وثمانون سنة.

والشبلي: نسبة إلى شبلة، وهي قرية وراء النهر في نواحي رستاق الري في الجبال[1].

* * *

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٧٦): «وهذه النسبة إلى شبلة، وهي قرية من قرى أسروشنة... وهي بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر، ودنباوند: هي ناحية من رستاق الري في الجبال».




حَرْفُ ٱلذَّالِ ٱلْمُعْجَمَة

١٤٥ ـ أبو المطاع ذو القرنين بن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي[1] محمد الحسن الثعلبي، الملقب: وجيه الدولة: كان شاعراً ظريفاً، حسنَ السّبك، جميل المقاصد، ومن شعره قوله:

إِنِّي لأَحْسُدُ لاَ فِي أَسْطُرِ الصُّحُفِ
إِذَا رَأَيْتُ اعْتِنَاقَ اللاَّمِ لِلأَلِفِ

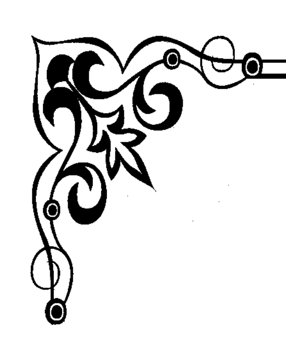
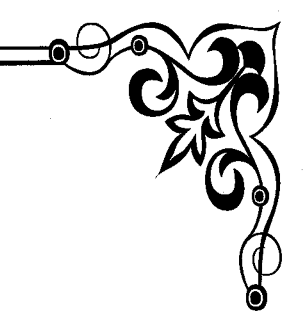
وَمَا أَظُنُّهُمَا طَالَ اعْتِنَاقُهُمَا
إِلاَّ لِمَا لَقِيَا مِنْ شِدَّةِ الشَّغَفِ

وكان قد وصل إلى مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العُبيدي صاحبِها، فقلده ولاية الإسكندرية وأعمالها في رجب، سنة أربع عشرة وأربع مئة، وأقام بها سنة، ثم رجع إلى دمشق، وتوفي في صفر، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة.

* * *

---

(١) في الأصل: «أبو»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٧٩).

حَرْفُ ٱلـرَّاءِ

١٤٦ ـ أم الخير رابعـة بنـة إسماعيل العَدَوِيَّةُ البصرية: مولاةُ آل عقيل[1]، الصالحـةُ المشهورة، كانت من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة، وكانت تقول في مناجاتها:

إلهي تحرق بالنّار قلباً يحبك؟ فهتف بها مرة هاتفٌ: ما كنا نفعل هذا، فلا تظني بنا ظن السوء.

ومن وصاياها: اكتموا حسناتكم كما تكتموا سيئاتكم.

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب «عوارف المعارف»:

إِنِّـي جَعَلْتُـكَ فِـي الفُـؤَادِ مُحَـدِّثِي
وَأَبَحْـتُ جِـسْمِي مَـنْ أَرَادَ جُلُوسِـي

فَالجِـسْمُ مِنِّـي لِلْجَلِـيسِ مُـؤَانِسٌ
وَحَبِـيبُ قَلْبِـي فِـي الفُـؤَادِ أَنِيـسِي

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٨٥): «عتيك».

توفيت في سنة خمس وثمانين ومئة، وقبرها يُزار، وهو ظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل الطور ـ رحمها الله تعالى ـ.

* * *

١٤٧ ـ أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل، المراديُّ بالولاء، المؤذِّنُ، المصريُّ، صاحبُ الإمام الشافعي.

وقال الشافعي في حقه: الربيعُ راويتي.

وهو آخر من روى عنه بمصر.

ومن كلام الربيع:

صَبْراً جَمِيلاً مَا أَسْرَعَ الفَرَجَا
مَنْ صَدَّقَ اللهَ فِي الأُمُورِ نَجَا

مَنْ خَشِيَ اللهَ لَمْ يَنَلْهُ أَذَى
وَمَنْ رَجَا اللهَ كَانَ حَيْثُ رَجَا

توفي يوم الاثنين، لعشرٍ بقين من شوال، سنة سبعين ومئتين بمصر، ودفن بالقرافة.

والمرادي: نسبة إلى قبيلة باليمن.

* * *

١٤٨ ـ أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن أبي فروة، واسمه كيسان، مولى الحارث مولى عثمان ﷺ: كان حاجبَ

أبي جعفر المنصور، ثم وَزَرَ له بعد أبي أيوب المرزباني، وكان كثير الميل إليه، حسن الاعتماد عليه.

قال له يوماً: يا ربيع! سل حاجتك، قال: حاجتي أن تحب الفضلَ ابني، فقال له: ويحك! إن المحبة تقع بأسباب، فقال له: قد أمكنك الله من إيقاع سببها، قال: وما ذاك؟ قال: تُفْضِل عليه، فإنك إذا فعلت ذلك، أحبك، وإذا أحبك، أحببته.

وقال له المنصور يوماً: ويحك يا ربيع! ما أطيبَ الدنيا لولا الموت، فقال له: ما طابت إلا بالموت، قال: وكيف ذاك؟ قال: لولا الموت، لم تقعد هذا المقعد، قال: صدقت.

وكانت وفاة الربيع في أول سنة سبعين ومئة، وقيل: إن الهادي سَمَّه، وكان مرضه ثمانية أيام، وإنما قيل لجده: أبو فروة؛ لأنه دخل المدينة وعليه فروة، فاشتراه عثمان ﷺ، وأعتقه وجعل يحفر القبور، وكان من سبي جبل الخليل ـ عليه السلام ـ، وقطيعة الربيع التي ببغداد منسوبة إليه، وهي محلة كبيرة مشهورة، أقطعَها له المنصور.

* * *

١٤٩ ـ أبو المقدام رجاء بن حَيْوَة بن جَرْوَل الكِنْدي: من العلماء، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز ﷺ.

وذكر عنه: أنه بات ليلة عنده، وهمَّ السراج أن يخمل، ولعله في أيام خلافته، فقام إليه رجاءُ ليصلحه، فأقسم عليه عمر لَتقعدنَّ، وقام هو

فأصلحه، قال: فقلت له: تقوم أنت يا أمير المؤمنين؟! فقال: قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر.

وكان عبد الملك بن مروان حين حضر إلى بيت المقدس، وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة، أرصد للعمارة مالاً كبيراً، يقال: إنه خَراجُ مصر سبع سنين، ووضعه بالقبة الكائنة في قبلة الأرض المكشوفة أمام القبة من جهة المشرق، وجعلها حاصلاً، وهي من ناحية الزيتون، ووكَّلَ على صرف المال في عمارة المسجد والقبة وما يحتاج إليه رجاءَ ابنَ حيوةَ المذكور، وضم إليه رجلاً يدعى: يزيد بن سلام.

ويقال: إن عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع، فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها: قبة السلسلة، فأعجبه تكوينها، وأمر ببنائها كهيئتها.

ثم إن رجاءً صرف المال في ذلك، فلما كمل وتم، أرسل إلى عبد الملك يخبره أنه فضل من المال مئتا ألف درهم، فأعاد الجواب عليه وعلى يزيد: هي لكما جائزة نظير ما حصل لكما من المشقة، فكتبا إليه: نحن أولى أن نبيع حلي نسائنا، فضلاً عن أموالنا، ونصرفه في عمارة هذا المسجد الشريف، وما قبلا ذلك، فأمرهما أن تسبك وتفرغ على ظاهر القبة.

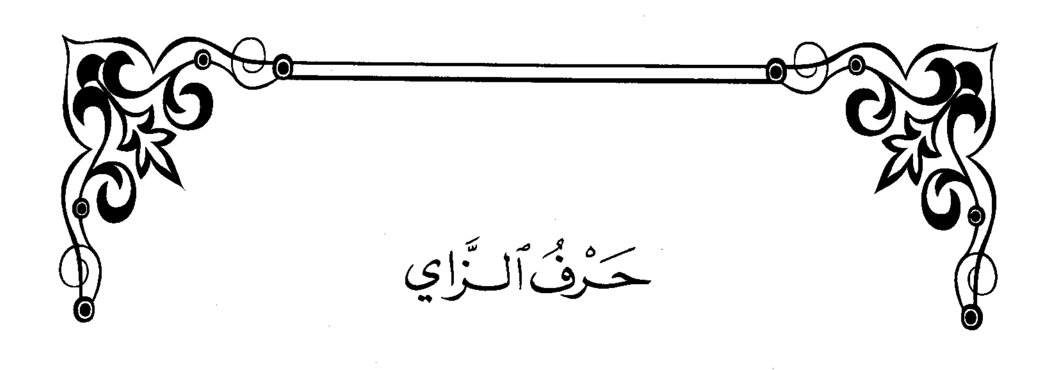
ثم بعد انتقال الخلافة إلى الوليد انهدم شرقي المسجد، ولم يكن في بيت المال حاصل، فأمر بضرب ذلك، وإنفاقه على ما انهدم منه.

وكان ابتداء عمارة قبة الصخرة في سنة ست وستين، فكملت سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

وكان منعَ عبدُ الملك الناسَ من الحج؛ لئلاَّ يميلوا إلى ابن الزبير، فضجُّوا، فبعث رجاءً ويزيدَ المذَكورين لبناء ذلك، وفُرشت القبة بالرخام الملون، وغيرِه من البُسُط الملونـة، وعمل فيـه صورة الصراط، وباب الجنة، وقدم الرسول، ووادي جهنم؛ ليشغل الناس بذلك عن الحج، فكان ابن الزبير يشنِّع على عبد الملك بذلك.

وتوفي رجاءٌ سنة اثنتي عشرة ومئة، وكان رأسه أحمـر، ولحيتـه بيضاء ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *



حَرْفُ الزَّاي

١٥٠ ـ أبو عبدالله الزبير بن بكار[1] ـ وكنيته أبـو بكر ـ بن عبدالله ابن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوَّام، القرشيُّ الأسديُّ الزبيريُّ: كان من أعيان العلماء، وتولى القضاء بمكة، وصنف الكتب النافعة.

توفي بمكة وهو قاضٍ عليها ليلة الأحـد، لسبعٍ ليال بقين من ذي القعدة، سنة ست وخمسين ومئتين، وعمره أربع وثمانون سنة.

* * *

١٥١ ـ أم جعفر زُبيـدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور عبدالله ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم: وهي أم الأمين محمد، كان لها معروف كبير، وفعلُ خير في الحج، وسَقَتْ أهلَ مكة الماءَ بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأسالت الماء عشرة أميال، وعملت عقبة البستان، وكان لها مئة جارية يحفظن القرآن.

وكان اسمها: أَمَة العزيز، ولقَّبها جدُّها أبو جعفر المنصور: زبيدة،

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣١١): «الزبير بن بكر بن بكار».

وعَرَّس بها هارون الرشيد سنة خمس وستين ومئـة، وتوفيت سنة ست عشرة ومئتين في جمادى الأولى ببغداد ـ رحمها الله تعالى ـ وتوفي أبوها جعفر بن المنصور سنة ست وثمانين ومئة.

* * *

١٥٢ ـ أبو الهُذيل زُفَر بن الهـذيل بن قيس بن سليم بن قيس بن مكمل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمـة بن عمرو بن حرب[١] بن العنبر ابن تميم بن مر بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الفقيـهُ الحنفيُّ: كان قـد جمـع بين العلم والعبـادة، وكان من أصحـاب الحديـث، ثم غلب عليـه الرأي، وهـو قياس أصحـاب أبي حنيفة رضي الله عنه، ومولده سنة عشر ومئة[٢].

* * *

١٥٣ ـ أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن: كان صاحب نوادرَ وحكايات، وأدب ونظم، وكان أسود عبداً حبشياً.

ومن نوادره: أنـه توفي لأبي جعفـر المنصـور ابنـةُ عم، فحضـر جنازتها، وجلس لدفنها وهـو متألم لفقدهـا، كئيبٌ عليها، فأقبل أبـو دلامة، وجلس قريباً منه، فقال له المنصور: ويحك! ما أعددت لهـذا

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣١٧): «ضجور بن جندب» بدل «حرب».

(٢) قال في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣١٩): «وتوفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومئة، رحمه الله تعالى».

المكان، وأشار إلى القبر؟ فقال: ابنة عم أمير المؤمنين، فضحك المنصور حتى استلقى على قفاه، ثم قال له: ويحك! فضحتنا بين الناس.

ولما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد، دخل عليه أبو دلامة للسلام والتهنئة بقدومه، فأقبل عليه المهدي، وقال له: كيف أنت يا أبا دلامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين!

إِنِّي حَلَفْتُ لَئِنْ رَأَيْتُكَ سَالِماً ... بِقُرَى العِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفْرِ[1]

لَتُصَلِّيَنَّ[2] عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وَلَتَمْلأَنَّ دَرَاهِماً حِجْرِي

فقال له المهدي: أما الأول فنعم، وأما الثاني فلا، فقال: جعلني الله فداك! إنهما كلمتان لا يُفَرَّق بينهما، فقال: تُملأ حِجْرُ أبي دلامة دراهم، فقعد، وبسط حجره، فملئ دراهم، فقال: قم الآن يا أبا دلامة، فقال: يتخرق قميصي يا أمير المؤمنين، حتى أشيل الدراهم وأقوم، فردها في الأكياس، ثم قام.

وله أشعار كثيرة.

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومئة، ويقال: إنه عاش إلى أيام الرشيد، وكانت ولاية الرشيد سنة سبعين ومئة.

* * *

---

(١) في الأصل: «وقر»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٢٥).

(٢) في الأصل: «لأصلين»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٢٥).

١٥٤ ـ أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن ابن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي، الملقَّب بهاء الدين الكاتب: من فضلاء عصره، وأحسنهم نظماً ونثراً وخَطّاً، ومن أكبرهم مروءة.

وكان قد اتصل بخدمة الصالح نجم الدين بن أبي الفتح أيوب ابن الكامل بالديار المصرية، وكان متمكناً منه، كبيرَ القدر عنده، وكان لا يتوسط عنده إلا بخير، ونفع خلقاً كثيراً بحسن سفارته، ومن شعره:

يَا رَوْضَةَ الحُسْنِ صِلِي فَمَا عَلَيْكِ ضَيْرُ
فَهَلْ رَأَيْتِ رَوْضَةً لَيْسَ لَهَا زُهَيْرُ

وشعره كله لطيف، وديوانه كثير بأيدي الناس.

ولد في خامس ذي الحجة، سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة بمكة، وتوفي قبيل المغرب من يوم الأحد، رابع ذي القعدة، سنة **خمس وستين وست مئة**[1]، ودفن من الغد بعد الظهر بالقرب من تربة الشافعي رضي الله عنه من جهة القبلة.

* * *

١٥٥ ـ قاضي القضاة زكريا زين الدين أبو محمد بن شمس الدين محمد الأنصاري الشافعي: شيخ الإسلام، العالم الصالح، مفتي الديار

---

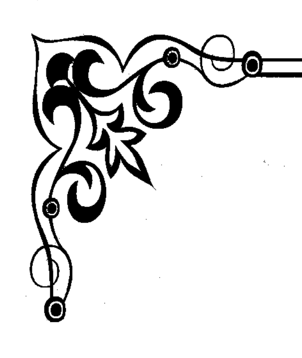
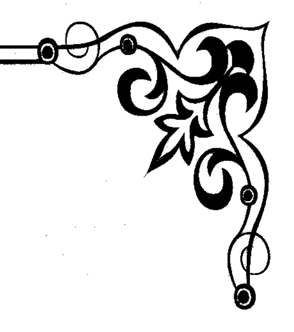
(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣٣٨): «سنة ست وخمسين وست مئة».

المصرية، درَّس وأفتى، وصنَّف شرح «البهجة»، ونفذت كلمته، وعظم أمره عند السلطان فمَنْ دونه، ولي القضاء بالديار المصرية عوضاً عن قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وكانت ولايته في يوم الثلاثاء، ثالث شهر رجب الفرد، سنة ست وثمانين وثمان مئة، على كُرْهٍ منه.

ثم في سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة طالبه السلطان بعمل حساب الأوقاف؛ بسبب شكوى شخص يقال له: تاج الدين بن شرف على معلوم له، ثم اعتقل السلطانُ عليٌّ عمالَ قاضي القضاة، ومباشري الأوقاف المشمولة بنظره، وألزمهم بحساب الأوقاف، فاستمروا في التراسيم مدة تزيد على ثلاث سنين، ثم أفرج عنهم ـ ولله الحمد ـ بعد مشقة حصلت لهم، وتكدَّر خاطر قاضي القضاة بسببهم، ومراجعته السلطان في أمرهم مرة بعد أخرى، وهو مستمر في الولاية إلى تاريخه[1].

* * *

(١) قال الشوكاني في «البدر الطالع» (١/ ٢٥٢): «مات في يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ٩٢٦».

حَرْفُ السِّين

١٥٦ ـ أبو نصر سابور بن أزدشير الملقب: بهاء الدولة، [وزير] أبي نصر بن عضد الدولة بن بُوَيْه الديلمي: كان من أكابر الوزراء، وأماثل الرؤساء، جمعت فيه الدراية والكفاية، وكان بابه محطَّ الشعراء، فمن جملة مَن مدحه: أبو الفرج الببغاء بقوله:

لُمْتُ الزَّمَانَ عَلَى تَأْخِيرِهِ طَلَبِي
فَقَالَ مَا وَجْهُ لَوْمِي وَهْوَ مَحْظُورُ
فَقُلْتُ: لَوْ شِئْتَ مَا فَاتَ الغِنَى أَمَلِي
فَقَالَ: أَخْطَأْتَ بَلْ لَوْ شَاءَ سَابُورُ
وَقَدْ تَقَبَّلْتُ هَذَا النُّصْحَ مِنْ زَمَنِي
وَالنُّصْحُ حَتَّى مِنَ الأَعْدَاءِ مَشْكُورُ
لُذْ بِالوَزِيرِ أَبِي نَصْرٍ وَسَلْ شَطَطاً
وَاسْرِفْ فَإِنَّكَ فِي الإِسْرَافِ مَعْذُورُ

ولد بشيراز في ذي القعدة، ليلة السبت، خامس عشرها، سنة ست

وثلاثين وثلاث مئة، وتوفي في سنة ست عشرة وأربع مئة ببغداد.

وسابور: أصله: شاه بور، فعرِّب، وأولُ من سُمي به: سابور بن أزدشير أحدُ ملوك الفرس، ومعنـاه بالفارسية: دقيق طيب، وقيل: أزد بالعجمي: دقيق، وشير: الحليب.

* * *

١٥٧ ـ أبو الحسن سَرِيُّ بن المغلس السَّقَطي: أحد رجال الطريقة وأربابِ الحقيقة، كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، وهو خال الجنيد، وأستاذه، وكان تلميذَ معروفٍ الكرخي، وكان كثيراً [ما] ينشد:

إِذَا مَا شَكَوْتُ الحُـبَّ قَالَـتْ: كَـذَبْتَنِي
فَمَـالِي أَرَى الأَعْـضَاءَ مِنْـكَ كَوَاسِـيَا

فَلاَ حُبَّ حَتَّـى يَلْـصقَ الجِلْـدُ بِالحَشَا
وَتَـذْهَلَ حَتَّـى لاَ تُجِيـبَ المُنَادِيَـا

تـوفي سنـة إحـدى وخمسين، وقيـل: في رمضـان سنـة ست وخمسين، وقيل: سبع وخمسين ومئتين ببغـداد، ودفن إلى جانب قبر الجنيد.

* * *

١٥٨ ـ أبو الحسن السَّرِيُّ بن أحمد بن السّري، الكنديُّ، الرَّفَّاءُ الموصليُّ، الشاعرُ المشهورُ:

كان في صباه يرفو ويطرز، وهو مولَع بالأدب، ونظم الشعر، ولم

يزل حتى جاد شعره، ومَهَر فيه، فمن شعره يذكر فيه صناعته:

وَكَانَـــتِ الإِبْـــرَةُ فِيمَـــا مَـــضَى
صَـــائِنَةً وَجْهِـــي وَأَشْـــعَارِي
فَأَصْـــبَحَ الـــرِّزْقُ بِهَـــا ضَـــيِّقاً
كَأَنَّـــهُ مِـــنْ ثَقْبِـــهَا جَـــارِي

ومن محاسن شعره:

يَلْقَـــى النَّـــدَا بِرَقِيـــقِ وَجْـــهٍ مُـــسفِرٍ
فَـــإِذَا الْتَقَـــى الجَمْعَـــانِ عَـــادَ صَـــفِيقَا
رَحْـــبَ المَنَـــازِلِ مَـــا أَقَـــامَ فَـــإِنْ سَـــرَى
فِـــي جَحْفَـــلٍ تَـــرَكَ الفَـــضَاءَ مَـــضِيقَا

توفي سنة نيف وستين وثلاث مئة ببغداد، وقيل في [سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وقيل: سنة أربع وأربعين و]ثلاث مئة.

* * *

١٥٩ ـ أبو الفوارس سعيد بن محمد بن سعيد[1] بن الصيفي، التميميُّ، الملقَّب: شهاب الدين، المعروف بحَيْصَ بَيْصَ، الشاعرُ المشهور: كان فقيهاً شافعي المذهب، تفقه بالريّ، وتكلم في الخلاف،

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣٦٢): «سعد بن محمد بن سعد».

وغلب عليه الأدبُ ونظمُ الشعر، وأخذ الناس عنه نظماً ونثراً، وأدباً وفضلاً، غير أنه كان فيه تِيهٌ وتعاظمٌ، وكان لا يخاطب أحداً إلا بالكلام العربي.

وقال الشيخ نصر الله بن مجلِّي ـ وكان من ثقات أهل السنة ـ: رأيت في المنام عليَّ بن أبي طالب ﷺ، فقلت له: يا أمير المؤمنين! تقتحمون[1] مكة، فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتمُّ على ولدك الحسينِ يومَ الطفِّ ما تم؟! فقال لي: أما سمعت أبيات ابنِ الصيفي في هذا؟ فقلت: لا، فقال: اسمعها منه.

ثم استيقظت، فبادرت إلى دار حيص بيصَ، فخرج إليَّ، فذكرت له الرؤيا، فشهق، وأعلن بالبكاء، وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد، وإن كنت قد نظمتها إلا في ليلتي هذه، ثم أنشدني:

مَلَكْنَا فَكَانَ العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً
فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالدَمِ أَبْطَحُ

وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الأَسَارَى وَطَالَمَا
غَدَوْنَا عَلَى الأُسَرَاءِ نَعْفُو وَنَصْفَحُ

وَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا
وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٦٤): «تفتحون».

وإنما قيل له: حيص بيص؛ لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة، وأمرٍ شديد، فقال: ما للناس في حيصَ وبيصَ؟ أي: شدّة واختلاط.

وكانت وفاته سادس شعبان، سنة أربع وسبعين وخمس مئة ببغداد، ولم يعقب ولداً.

* * *

١٦٠ ـ أبو المعالي سعيد[1] بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي، الورّاق الحظيريُّ، المعروف بدلاَّل الكتب: له نظم جيد، وألَّف مجاميعَ، من شعره:

وَمُعَــــــذَّرٍ فِــــــي خَــــــدِّهِ
وَرْدٌ وَفِــــــي فَمِــــــهِ مُــــــدَامْ

مَــــا لاَنَ لــــي حَتَّــــى تَغَــــشَّى
صُــــبْحَ سَــــالِفِهِ ظَــــلاَمْ

كَــــالمُهْرِ يَجْمَــــحُ تَحْــــتَ رَا
كِبِــــهِ وَيَعْطِفُــــهُ اللِّجَــــامْ

وله ـ أيضاً ـ:

أَحْــدَقَتْ ظُلْمَــةُ العِــذَارِ بِــخَدَّيْــ
ـــهِ فَــزَادَتْ فِــي حُبِــهِ حَــسَرَاتِي

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٦٦): «سعد».

قُلْـتُ: مَـاءُ الحَيَـاةِ فِـي فَمِـهِ العَـذْ
بِ دَعُـونِي أَخُـوضُ فِـي الظُّلُمَـاتِ

وله معانٍ نفيسة، توفي يوم الاثنين، الخامس والعشرين من صفر، **سنة ثمان وخمسين وخمس مئة**[1] ببغداد.

ونسبته بالحَظِيري ـ بالحاء المهملة والظاء المعجمة المكسورة ـ إلى موضع فوق بغداد يقال له: الحظير، وثَمَّ ثياب منسوبة إليه.

* * *

١٦١ ـ أبو عبدالله، وقيل: أبو محمد، سعيدُ بن جبير بن هشامٍ، الأسديُّ بالولاء: مولَى بني والبةَ بن الحارث، كوفي، أحد أعلام التابعين، وكان أسود.

أخذ العلم عن عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم، وقرأ القرآن في ركعة في البيت الحرام، وأُحضر إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، فقال له: يا شقيُّ بن كُسَير! وسأله عن أشياء، فأجابه، ثم قال: فما أخرجك عليَّ؟ فقال: بيعةٌ كانت فيَّ لابن الأشعث، فغضب الحجاج، ثم قال: فما كانت بيعة أمير المؤمنين عبدِ الملك في عنقك من قبل؟ والله! لأقتلنك، يا حربي! اضرب عنقه، فضرب عنقه، وذلك في شعبان،

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣٦٨) وغيره: «سنة ثمان وستين وخمس مئة».

سنة خمس، وقيل: أربع وتسعين بواسط، ودفن في ظاهرها، وله تسع وأربعون سنة.

وقال أحمد بن حنبل ﷺ: قتل الحجاجُ سعيدَ بن جبير، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

ثم مات الحجاج بعده في رمضان من السنة، وقيل: بستة أشهر، ولم يسلِّطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات.

ويقال: إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق، ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟!

ورُئي في النوم بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتيل قتلته قتلة، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

وحكي أن سعيد بن جبير كان يلعب بالشطرنج استدباراً.

* * *

١٦٢ ـ أبو محمد[١] سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، القرشيُّ المدنيُّ: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان سعيد المذكور سيدَ التابعين من الطراز الأول، جمع بين الحديث والفقه، والزهد والعبادة، سمع سعدَ بن أبي وقاص، والزهريَّ، وأبا هريرة، ودخل على أزواج النبي ﷺ، وأخذ منهن، وأكثر

---

(١) في الأصل: «أبو عبدالله».

روايـة المسند عن أبي هريـرة، وكان زوج ابنتـه، وحج أربعين حجة، وقيل: إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة.

ولد لسنتين بقيتا من خلافـة عمر بن الخطـاب، وكان في خلافـة عثمان رجلاً، وتوفي بالمدينة سنة إحدى، وقيل: اثنتين، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس وتسعين للهجرة.

* * *

١٦٣ ـ أبو محمد سعيد بن المبـارك بن علي بن عبدالله بن سعيد ابن محمد، المعروف بابن الدَّهَّـان، النحـويُّ الأنصاريُّ البغـداديُّ:
كان سيبويهِ عصره، وله في النحـو التصانيفُ المفيـدة، وكان انتقل إلى الموصل، وخلَّف كتبه ببغـداد، فاستولى الغرق تلك السنة على البلد، فغرقت الكتب، وكان أفنى عمره في تحصيلها، فلما حملت إليه، أشاروا عليه أن يُطيبها بالبخور، فبخَّرها باللاذن، ولازم ذلك، فطلع إلى رأسه وعينيه، فأحدث له العمى، وكف بصره.

ولد في رجب، سنة أربـع وتسعين وأربـع مئة ببغداد، وتوفي في شوال سنة تسع وستين وخمس مئة بالموصل.

وكان له ولد [وهو] أبـو زكريا يحيى بن سعيد [وكان] أديباً وشاعراً، من شعره:

وَعَهْـــدِي بِـالــصِّبَا زَمَنــاً وَقَـــدِّي
حَكَـى أَلِـفَ [ابْـنِ] مُقْلَـةَ فِـي الكِتَـابِ

فَــــصِرْتُ الآنَ مُنْحَنِيـــاً كَـــأَنِّي
أُفَـتِّشُ فِـي التُّـرَابِ عَلَـى الـشَّبَابِ

ولد في أوائل سنة تسع وستين وخمس مئة، وتوفي بالموصل سنة ست عشرة وست مئة.

* * *

١٦٤ ـ أبو عبدالله سُفيانُ بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، الثوريُّ الكوفيُّ: كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه، وهو أحد الأئمة المجتهدين.

ويقال: إن الجنيد رضي الله عنه كان على مذهبه.

وسمع الأعمش ومَنْ في طبقته، وسمع منه الأوزاعي، ومالك، وتلك الطبقة.

ودخل على المهدي، فسلم تسليم العامة، ولم يسلم بالخلافة، فأكرمه المهدي، وكتب عهده على قضاء الكوفة، على أن لا يُعْتَرض عليه، ودُفع إليه، فأخذه، وخرج، فرمى به في دجلة، وهرب، فطُلب في كل بلدة، فلم يوجد، ولما أن امتنع من قضاء الكوفة، وتولى شريك ابن عبدالله النخعي، قال الشاعر:

تَحَــرَّزَ سُــفْيَانٌ وَفَــرَّ بِدِينِــهِ
وَأَمْـسَى شـريكٌ مرصـداً لِلـدَّرَاهِمِ

ولد سنة خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع وتسعين للهجرة، وتوفي بالبصرة سنة **إحدى وستين ومئة**، متوارياً من السلطان، ودفن عشاء ـ رحمه الله تعالى ـ، ولم يعقب.

* * *

١٦٥ ـ أبو محمد سُفيان بن عُيينة بن أبي عمران الهلاليُّ، ورهط ميمونةَ زوجِ النبي ﷺ، وقيل: مولى بني هاشم، وقيل: مولى الضحاك ابن مزاحم، وأصله من الكوفة، وقيل: ولد بها، ونقله أبوه إلى مكة، وكان إماماً عالماً، وحج سبعين حجة، روى عنه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وخلقٌ كثير.

وقال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتمَّ لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظُ علمِ ابنِ دينار.

ولد بالكوفة في منتصف شعبان، سنة سبع ومئة، وتوفي يوم السبت، آخر جمادى الآخرة، **سنة ثمان وتسعين ومئة** بمكة، ودفن بالحَجُون: وهو جبل بأعلى مكة عنده مدافنُ أهلها.

* * *

١٦٦ ـ مجد الدين أبو البركات سالم بن سالم بن أحمد بن أحمد، المقدسيُّ الحنبليُّ: قاضي القضاة بالديار المصرية، كان يُعد من فقهاء الحنابلة وأخيارهم، باشر القضاء أكثر من ثلاثين سنة بتواضع وعفة، وتوفي في يوم الخميس، تاسع عشري ذي العقدة، **سنة ست وعشرين**

وثمان مئة، وكان قد عزل بقاضي القضاة علاء الدين بن مغلي، فقال بعضهم عند عزله له:

قَضَى المَجْدُ قَاضِي الحَنْبَلِيَّةِ نَحْبَهُ
بِعَزْلٍ وَمَا مَوْتُ الرِّجَالِ سِوَى العَزْلِ

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى قَبْلَ ذَلِكَ سَالِماً
فَخَالَطَهُ فَرْطُ انْسِهَالٍ مِنَ المَغْلِي

ومات بعد أن ابتلي بالزمانة والعطلة عدة سنين، وتوفي وقد نيف على الثمانين سنة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

١٦٧ ـ أبو الفتح سُلَيم بن أيوب بن سُلَيم، الرازيُّ الشافعيُّ الأديبُ: كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة، وصنَّف الكتب الكثيرة المعتبرة، وكان لا يخلو وقتاً عن قراءة القرآن، حتى إنه كان إذا برى القلم، قرأ القرآن، أو سبّح، ثم غرق في بحر القُلْزُم عند رجوعه من الحج، عند ساحل جدَّة، في سلخ صفر، **سنة سبع**[1] **وأربعين وأربع مئة**، وكان عمره نيفاً وثمانين سنة، ودفن بجزيرة عند المخاضة من طريق عبدان.

والرازي: نسبة إلى الرّي، وهي: مدينة عظيمة من الديلم بين قوس

---

(١) في الأصل: «تسع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٩٨) وغيره.

والجبال، وألحقوا الزاي فيها؛ كما ألحقوا في المروزي عند نسبته إلى مَرْو.

* * *

١٦٨ ـ أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد الأسد، المعروفُ بالأعمش، الكوفيُّ، الإمام المشهور: قدم أبوه الكوفة وامرأته حامل بالأعمش، فولدته بها، رأى أنسَ بنَ مالك، وكلَّمه، ولكنه لم يُرزِ[ق] السماع عليه، وما يرويه عن أنس، فهو إرسال، أخذه عن أصحاب أنس، ولقي كبار التابعين.

وكان لطيف الخلق مزَّاحاً، جاءه أصحاب الحديث ليسمعوا عليه، فخرج إليهم، وقال: لولا أن في منزلي من هو أبغضُ إليَّ منكم، ما خرجت إليكم.

وجرى بينه وبين زوجته يوماً كلامٌ، فدعا رجلاً يصلح بينهما، فقال لها الرجل: لا تنظري إلى عموشة عينيه، وحموشة ساقيه[1]؛ فإنه إمام، وله قدر، فقال له: أخزاك الله! ما أردت إلا أن تعرفها عيوبي.

ولد سنة ستين للهجرة، وقيل: ولد يوم مقتل الحسين في يوم عاشوراء، سنة إحدى وستين[2].

* * *

(١) في الأصل: «عمشة عينيه، وحماشة ساقيه»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٠١).

(٢) قال في «وفيات الأعيان» (٥/ ٤٠٣): «وتوفي سنة ثمان وأربعين ومئة، =

١٦٩ ـ قاضي القضاة سعد الدين سعد ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد الديريُّ الحنفيُّ: شيخ الإسلام، كان إماماً عالماً.

مولده في سابع عشر رجب، سنة ثمان وستين وسبع مئة.

والديري: نسبة إلى قرية بمردا يقال لها: الدّير، وانتهت إليه رئاسة الديار المصرية، وكان والده قاضي قضاتها، وقرره الملكُ المؤيد شيخٌ في مشيخة جامعه الذي أنشأه بباب زويلة، ولما توفي، استقر ولده الشيخ سعد الدين في المشيخة عوضاً عنه، ثم ولي قضاء قضاة الديار المصرية في خامس عشر المحرم، سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة، في أيام الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي، بوساطة الملك الظاهر جقمق، حين كان المتصرف في المملكة، ثم لما استقر الظاهر جقمق في السلطنة، عظم أمره في أيامه، وعَلَت رتبته، ونفذت كلمته، واستمر في القضاء نحو خمس وعشرين سنة إلى أيام الملك الظاهر خشقدم، ثم ضعف بصره، وطعن في السن، وصار عمره نحو مئة سنة، فعزل نفسَه في أوائل سنة سبع وستين وثمان مئة، وولى عوضه قاضي القضاة محب الدين محمد أبو الفضل بن الشحنة، فعظُم ذلك على قاضي القضاة سعد الدين، وشقَّ عليه.

ثم توفي بعد مدة يسيرة في ليلة الجمعة، عاشر شهر ربيع الآخر

= في شهر ربيع الأول، وقيل: سنة سبع وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين ـ رحمه الله تعالى ـ».

من السنة المذكورة، ودفن بتربة الملك الظاهر خشقدم ـ رحمه الله وعفا عنه ـ.

وكان شكلاً حسناً، بهي المنظر، منور الوجه، من نظمه: ما كتبه على إجازة لابن عذيبة المؤرخ:

يَـا مُقْتَـدِراً جَـلَّ عَـنِ الأَشْـبَاهِ
مَـنْ لَـيْسَ سِـوَاهُ آمِـراً أَوْ نَـاهِي
الْطُـفْ بِعَبْـدِكَ الـضَّعِيفِ الـسَّاهِي
سَـعْدِ بْـنِ مُحَمَّـدِ بْـنِ عبـدالله

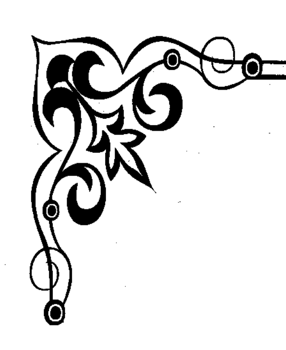
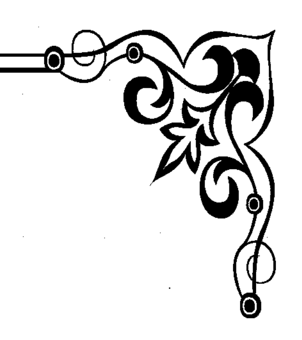
وسأله السلطان مرة عن سبب وقوع الطاعون، فقال:

لما خالفوا في وضع ما هم، عوقبوا بأخذ ما هم.

وقال في قولة: «حبُّ الدنيا رأسُ كُلِّ خَطيئة»: إنَّ حُبَّ الدينارِ أُسُّ كلِّ خطيئة.

وله في ذلك لطائفُ كثيرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

حَرْفُ ٱلشِّينِ ٱلمُعْجَمَة

١٧٠ ـ أبو أميـة شُرَيح بن الحارث بن قيس : كان من التـابعين، وأدرك الجاهلية، واستقضاه عمر بن الخطاب ﷺ على الكوفـة، فأقام قاضياً خمساً وستين سنة، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنـع فيها من القضاء في فتنـة ابن الزبير، واستعفى الحجـاجَ بنَ يوسف من القضاء، فأعفاه، ولم يقض بين اثنين حتى مات، وكان أعلم الناس بالقضاء.

وتزوج امرأة من بني تميم تسمى زينب، فنقم عليهـا، فضربهـا، ثم ندم فقال:

رَأَيْـتُ رِجَـالاً يَـضْرِبُونَ نِـسَاءَهُمْ
فَـشَلَّتْ يَمِينِـي يَـوْمَ أَضْـرِبُ زَيْنَبَـا

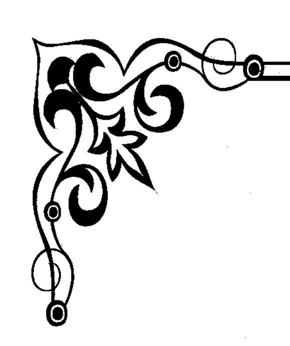
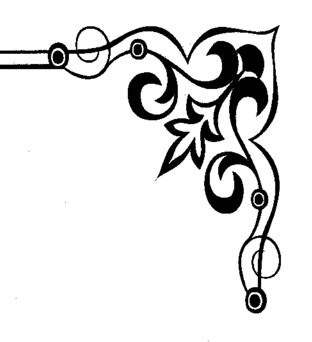
أَأَضْـرِبُهَا مِـنْ غَيْـرِ ذَنْـبٍ أَتَـتْ بِـهِ
فَمَا العَدْلُ مِنِّي ضَرْبُ مَـنْ لَـيْسَ مُـذْنِبَا

فَزَيْنَـبُ شَـمْسٌ وَالنِّـسَاءُ كَوَاكِـبٌ
إِذَا طَلَعَـتْ لَـمْ يَبْـدُ مِـنْهُنَّ كَوْكَبَـا

وكانت وفاة شريح سنة تسع[1] وثمانين للهجرة، وهو ابن مئة وعشرين سنة، وقيل: مئة وثمان سنين.

* * *

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٦٣): «سبع»، وذكر أقوالاً أخرى في وفاته.

حَرْفُ ٱلصَّادِ ٱلْمُهْمَلَة

١٧١ ـ أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعيُّ البغداديُّ اللغويُّ: صاحب كتاب «الفصوص» أصله من بلاد الموصل، دخل بغداد، فأكرمه المنصور[1]، وجمع له كتاب «الفصوص»، أثابه عليه خمسة آلاف دينار، وكان يُتهم بالكذب في نقله، فلهذا رفض الناس كتابه.

توفي سنة سبع عشرة وأربع مئة بصقلية.

ولما ظهر للمنصور كذبهُ في النقل، وعدمُ تثبته[2]، رمى كتاب «الفصوص» في النهر؛ لأنه قيل له: جميعُ ما فيه لا صحة له، فعمل فيه بعض شعراء عصره:

قَدْ غَاصَ فِي البَحْرِ كِتَابُ الفُصُوصْ
وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصْ

فلما سمع صاعدٌ هذا البيت، أنشد:

---

(١) هو المنصور بن أبي عامر.

(٢) في الأصل: «تلبيته»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٨٩).

عَـــادَ إِلَـــى عُنْـــصُرِهِ إِنَّمَـــا
يَخْـرُجُ مِـنْ قَعْـرِ البُحُـورِ الفُـصُوصْ

* * *

١٧٢ ـ أسـد الدولـة أبـو علي صـالح بن مـرداس بن إدريـس، الكلابيُّ: كان من عرب البادية، قصد مدينة حلب، وبها مرتضى الدولة الجراحي نيابة عن الظاهر بن الحاكم العُبيدي صاحـبِ مصر، فاستولى عليها، وانتزعها منه، فجهز إليه الظاهرُ أميـرَ الجيوش أنوشتكّين الدزبري في عسكر كثير، وكان بدمشق نائباً، فخرج متوجهاً إليـه، وتلاقيا على الأقحوانـة، وجرى بينهما مقتلة انجلت عن قتل أسـد الدولة صالح في جمادى الأولى **سنة عشرين وأربع مئة**.

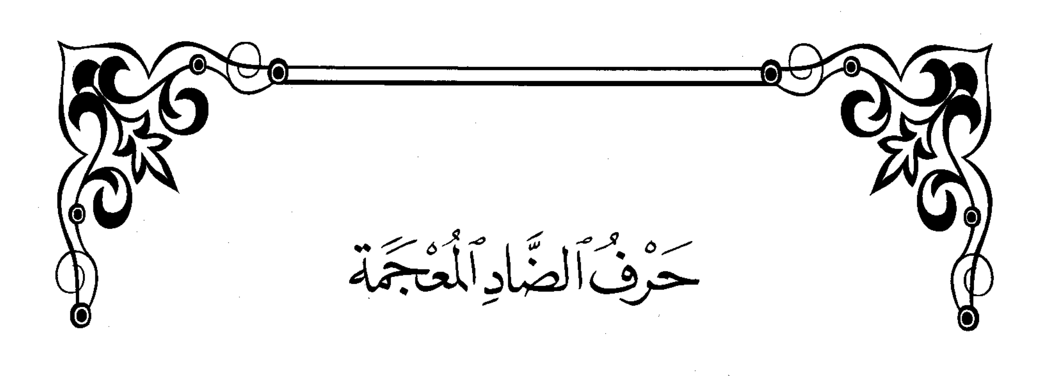
والأقحوانة: بلدة بالشام من أعمال فلسطين، بالقرب من طبرية، وبالحجاز ـ أيضاً ـ بليدة يقال لها: الأقحوانة، كان يسكنها الحارث بن خالد.

* * *

١٧٣ ـ قاضي القضـاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر، البُلقينيُّ الشـافعيُّ: شيخ الإسلام، سلالـة العلمـاء، ولي قضاء قضاة الديار المصرية وهـو شاب عوضاً عن شيخ الإسلام ولي الدين العراقي، في أول دولـة الأشرف برسباي، سنة خمس وعشرين وثمـان مئـة، وصـار يعزل ويولِّي، وكان خصمـه قاضي القضـاة شيخ الإسلام

شهابُ الدين بن حجر، يتولى هذا تارة، وهذا أخرى، في أيام الأشرف برسباي، والظاهر جقمق، ثم لما تولى الأشرف أينال، استمر طول مدته بكمالها، وتوفي في أيام الظاهر خشقدم، وهـو على القضـاء، في يوم الأربعاء، سادس رجب الفرد، سنة ثمان وستين وثمان مئة، فكانت مدة ولايته من حين استقراره في القضاء إلى حين وفاته نحو ثلاث وأربعين سنة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *



١٧٤ ـ أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة ابن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث، التميميُّ، المعروفُ بالأحنف: وهو الذي يُضرب به المثل في الحِلْم، كان من سادات التابعين، أدرك عهد النبي ﷺ، ولم يصحبه، وشهد بعض الفتوحات.

ولما أتى النبيُّ ﷺ بني تميم يدعـوهم إلى الإسلام، كان الأحنف فيهم، فلم يجيبـوا إلى اتباعـه، فقال لهم الأحنـف: إنـه ليدعوكم إلى الإسلام، ومكـارم الأخلاق، وينهـاكم عن ملائمها فأسلَمـوا، وأسلم الأحنف.

ولم يَفِدْ على رسول الله ﷺ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفد عليه، وكان من جملة التابعين وأكابرهم، وكان سيدَ قومه، موصوفاً بالعقل والدهاء، والعلم والحلم.

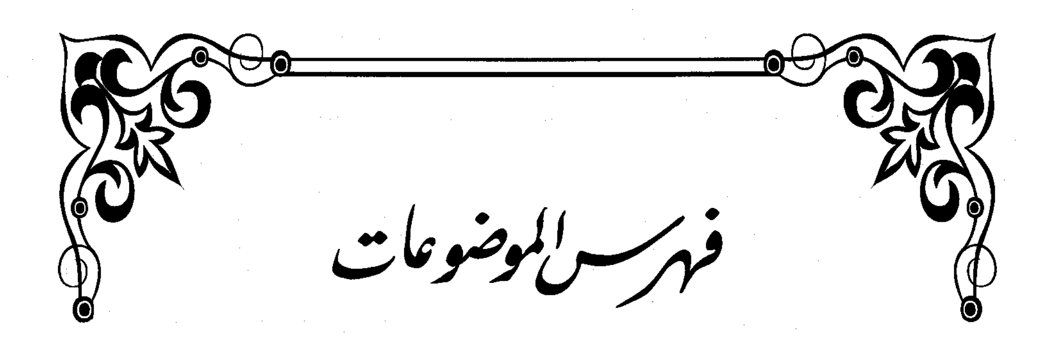
ومن كلامه: ما خان شريف، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن.

وقال: كثرة الضحك تُذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومَنْ لَزِمَ شيئاً عُرف به.

وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة، فمات بها سنة سبع وستين للهجرة ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

❑ ❑ ❑





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الدولة العلوية الفاطمية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❒ ❒ ❒